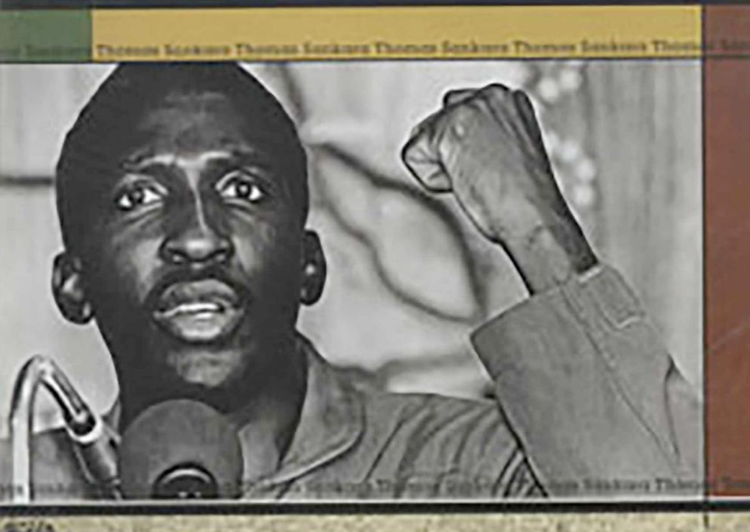
مركز البحوث العربية والإفريقية

# جيفارا الأفريقي

## دراسة في الفكر السياسي لتوماس سانكارا





دكتور
حمدي عبد الرحمن


تقديم
حلمي شعراوي


مكتبة جزيرة الورد

مركز البحوث العربية والأفريقية

# جيفارا الأفريقي

## دراسة في الفكر السياسي لتوماس سانكارا

دكتور
حمدي عبد الرحمن

تقديم
حلمي شعراوي



مكتبة جزيرة الورد

# بطاقة فهرسة



**مكتبة جزيرة الورد**

اسم الكتاب : جيفارا الأفريقي

دراسة في الفكر السياسي لتوماس سانكارا

المؤلف : د. حمدي عبد الرحمن

تقديم: حلمي شعراوي

رقم الإيداع : 14479/ 2015

**الطبعة الأولى 2015**



# المحتويات



## الإهداء

إلى آية ..ابنتي الغالية

# تقديم

## هل أمكن حضور جيفارا .. في أفريقيا؟

حلمي شعراوي

توفرت أمام الشعوب الأفريقية، عقب الحرب العالمية الثانية بوجه خاص ووسط الصراع الحاد بين معسكرى الحرب (الرأسمالى والاشتراكي) نماذج جديدة لمحاولات التحرر من الأنماط الاستعمارية التقليدية وسط اشتداد هذا الصراع، فعرفت شعوبنا النموذج السوفيتى، والمثال الصينى، وأمثلة قادة التحرر الوطنى، الناصرى والنكرومى، بل والنضال المسلح الجزائرى والكوبى، والغينى والأنجولى.... الخ.

كان أشهر ما وصلنا من الصيحات الأفريقية المعبرة عن حالة الانطلاق الجديد، فضلاً عن تجارب نكروما وناصر ومانديلا، انطلاقات «فرانز فانون» و«أميلكار كابرال»... والأخيران هما من أضافهما متابع جيد لثورات العالم الثالث؛ مثل «جيرارشاليان» واصفاً إياهما مع «تشى جيفارا» بأنهم «أساطير ثورية»... بكل ما قصده من تهوين عن إمكانيات«الأسطورة» فى التحقق إلا بقدر، و«إن بقى رحيقها الواعد».. ضمن خبرات الشعوب.....! وكان هذا درس «جيفارا» على وجه الخصوص...

ما الذى يدفع إذن صديقنا الدكتور « حمدى عبد الرحمن حسن » ، لأن يتحمس الآن لتقديم دراسة عن زعيم أسطورى، مثل الزعيم الراحل «توماس سنكارا» (1949-1987) استشهد وهو ملىء بالوعود، وأن تأتى هذه الدراسة الغنية بعد حوالى ربع قرن من اغتياله عقب تبشيره لأفريقيا بالكثير ؟ بل وتأتى الدراسة نفسها عن سنكارا بعد جولات « حمدى عبد الرحمن » من الدراسات متعددة الأبعاد عن عالم السياسة الأفريقية الواقعية لا المثالية .

لم يبق «سنكارا » إلا مدة وجيزة على رأس الحكم فى بوركينا فاسو (1983/1987)

الدولة الحبيسة فى غرب أفريقيا غير ذات النجومية اللامعة على مستوى القارة. ولكن حين يأتيها ذلك الفتى ذو الأربعة والثلاثين ربيعاً فإنه يفجر فيها اندفاعاته الكاريزمية بكل عناصر «الأسطورية» عبر ما حمله لشعبه من وعود.. حتى أنه لم يعجبه الاسم الجغرافى لبلاده «فولتا العليا» «فيحوله بحق إلى «أرض الأكرمين» «بوركينا فاسو» «وليظل البوركينابى حاملا ذكرى توماس سنكارا «حتى تظل مرة أخرى برحيقها تحت الأضواء الأفريقية بانتفاضة واجادوجو فى نوفمبر 2014 فيما سمى بالربيع الأفريقى..

حين تسلمت نص «حمدى عبد الرحمن» عن «جيفارا أفريقيا»... فهمت مقصده من اختيار «جيفارا» كناية عن «توماس سنكارا»، فهو لم يشأ أن يربطه باسم «فانون» لكثرة ما اقترن كلاهما بهموم الفلاحين، ولم يقل أنه «كابرال» لما جسده من معنى ردده «توماس» عن انتحار البرجوازية الصغيرة تجاوزا لدورها المحدود، ولكن «حمدى عبد الرحمن» أصاب مقصده عندما ربط «سنكارا» بجيفارا. وتعددت أسبابه بالطبع؛ ليس أولها فقط «الأسطورية» الثورية التى سرعان ما خبت، وهو فى قمة عطائه.. ولا لأنه استضاف قبل اغتياله بأسبوع واحد، أخو تشى جيفارا، وحمَّل الاحتفال به فى واجادوجو أبعد معانى التذكر الراقى والأمل المشحون بالعطاء والفداء المماثل. هذا فضلاً عن معنى الغدر فى مقتل جيفارا بين ناسه ، ومقتل «سنكارا» بيد زملائه الذين قرروا سرعة التخلص منه بالغدر الدامى، فقطعوا بين الحلم والواقع..

«جيفارا» والبؤرة الثورية- «الفوكو»

كان «جيفارا» رمزاً لشعار «البؤرة الثورية»- «الفوكو»- الحلم الأسطورى الذى رأى فيه جيفارا أن «الحرب الثورية لا يمكن أن تهزم»..... وهو اعتقاد رومانسى بالطبع سبقته خسائره، ومع ذلك صمم أصحابه، أمثال «دوبربيه» الفرنسى وبعض الكوبيين- على عدم ضرورة انتظار نضج الظرف الذاتى أو الموضوعى، ما دام يمكن إعداد الثوار المناسبين ،«فالتعبئة عبر الكفاح المسلح (قل الشعبوى عند توماس) يمكن أن تسبق التعبئة السياسية!

ويبدو أن ذلك كان جوهر صعود وانتحار«توماس سنكارا» نفسه مثلما انتحر

جيفارا...! وبقى صراع الكاريزمى أو الأيديولوجى أو الثورى مع الواقع ، دائم الحضور مقابل التنظيم الضرورى «للعمل السياسى» والتعبئة السياسية الشعبية «الحقيقية» ولا أقصد هنا ما يتردد عن ميل الثورى أحياناً إلى البراجماتية الفجة لتحقيق هدفه القصير ، وإذ به يفقده . وهو جدل طويل توفر المادة التى يقدمها كتاب «حمدى عبد الرحمن» هنا- الكثير فى هذا الصدد...

ارتبطت نظرية «البؤرة الثورية» أو «الفوكو» الجيفارية على نحو ما بنظرية الانتفاضة العفوية من قبل الفلاحين الثوريين، كما عند «فانون»، أو بالزحف الثورى عند ماوتسى تونج، أو بالحزب القائد عند لينين . وفى كل الحالات تصبح الزعامة الكاريزمية تلقائية بدورها، حيث تنبثق عن الجماعة الثورية حتماً مثل هذه الشخصية، أو تقوم الشخصية بخلق الجماعة المحدودة من حولها.

ولكل فترة من فترات التحولات الكبرى فى أفريقيا طبيعتها مع مثل هذه الشخصيات الكاريزمية.. جاء «سنكارا» فى إحدى حلقاتها المتأخرة .. ففى فترة التحرر الوطنى السياسى عقب الحرب الثانية، مرحلة باندونج إن جاز التعبير، كان المطلب الوطنى جماهيريا مهما كان التشكيل الاجتماعى طبقياً أو تابعاً.... وهنا ظهرت شخصيات عبد الناصر ومحمد الخامس ونكروما وسيكوتورى وموديبوكيتا وبومدين ونيريرى.... وغيرهم.

وظل «المطلب الوطنى» للتخلص من آثار الحالة الكولونيالية، مع ميل لتجذير المطلب الاجتماعى بدرجات مختلفة بين هؤلاء القادة، وبدا تضامن باندونج حامياً لبعضهم أو كاشفاً للتآمر ضد بعضهم الآخر، ولم تبد فى هذه المرحلة إلى حد كبير مشكلة عسكرية عبد الناصر أو بومدين مثلاً ولا حتى من توارثوهم مثل «القذافى» و«سياد برى» والنميرى، حيث حرص الجميع على الإبقاء على الإيقاع الوطنى وقدر من السؤال الاجتماعى ..وهنا كانت نظرية الحزب الواحد وانطلاقة التحديث التى روجها الغرب والشرق على السواء، خدمة كبيرة لهذه الزعامة الوطنية أو تلك، بل وساعدت نظريات أكثر راديكالية مثل طريق التنمية اللارأسمالية أو التطور اللارأسمالى على مساندة هذه النظم الوطنية. وبالغ البعض

فى المساندة فيما أطلقوه عن «الديمقراطيين الثوريين» إشارة إلى الضباط والثوريين الطليعيين. وكان المعسكر السوفيتى بل وفى تنافسه مع الصين يقدم من الخدمات ما وفر الحماية لبعض الوقت لهذه النظم، ومن ثم كان نموذج «الوطنى التقدمى»، وليس «البؤرة الثورية» هو المثال السائد من حول جيفارا...، وبعد تنحى الكثير من «النظم الوطنية» نفسها أواخر الستينيات، أفرزت مقاومة «الحالة الكولونيالية» جيلاً جديداً من كاريزمات الكفاح المسلح، ممن ربطوا إلى حد كبير بين التحرر الشامل من الاستعمار شبه الاستيطانى (غينيا بيساو- أنجولا- موزمبيق) أو الاستيطانى العنصرى مثل جنوب أفريقيا وحتى فلسطين...، وبين تنظير وطنى للتغيير السياسى أو الاجتماعى معاً، تعميقاً لفكرة البؤرة الثورية المتعجلة... وترسخ ذلك عند أميلكار كابرال (غنيا بيساو)، وأوغسطينو نيتو (أنجولا) وإدوارد موندلانى (موزمبيق) وأوليفر تامبو أو مانديلا فى جنوب أفريقيا... بل إن درس جيفارا الذى دفع بالثوريين فى بعض أنحاء أمريكا الجنوبية لم يرتضيه كثيرا اصحاب طريق البوليفارية الوطنى، وحركة التسييس الشعبى ،على نحو ما تمثل بعد ذلك فى البرازيل وعلى الأخص فى فنزويلا.... الخ.

أصبحت الماركسية اللينينية والماوية والفانونية شائعة بين قيادات وكوادر هذه الحركات الثورية الجديدة، وتماسكت نظرية «التنظيم الواحد» باعتباره هنا تنظيماً «مقاتلاً» يقبل التعدد عند الضرورة بديلاً لهشاشة «الحزب الواحد» المترهل والمسيطر من قبل، وأدخل كابرال البعد الثقافى، وأنكرت ثورة موزمبيق نظرية البرجوازية الصغيرة وكان «نيتو»، الشاعر يضرب المثال عن مفهوم التشكيلات الطبقية والتوازن الدولى بين السوفيت والصين فى نفس الوقت...

وهنا أصبحت «الجيفارية» موضع مراجعة مع رحيل «الأسطورة» و أصبح ما تردد من أفكار «ثورية» فى هذه الفترة أقرب للديمقراطية الاجتماعية والقبول بتيارات متنوعة للماركسية فى أمريكا الجنوبية وأوروبا الغربية على السواء ولا شك أن ذلك وضع فكر جيفارا تحت مناظير عديدة.

وفى هذا الإطار أصبح التثقيف السياسى، والفكر الاجتماعى الجديد، والرغبة

فى بناء تنظيمات سياسية متعددة الأصوات هى الأكثر بروزاً بين الصفوف من فكرة البـؤرة الثورية الجيفارية... ومن هنا بدا «سنكارا » بعد ذلك بين أهله ... غريبًا...

«سنكارا »بين الكاريزمات الجديدة

كانت المرحلة الكولونيالية قد انتهت مع منتصف السبعينيات تقريباً، بوصول تجـارب الكفاح المسلح إلى الاستقلال (بيساو- أنجولا- موزمبيـق) وعـادت ملامـح الحـرب البـاردة تشير إلى الانتقال «لمرحلة إمبريالية» جديدة تستهدف سيطرة الـدول الرأسـمالية الكـبرى على فضـاءات الشرق الأوسـط بعـد كامـب ديفيـد، والتمهيـد للحـل المسـاوم فى الجنـوب الأفريقى، للسـيطرة عـلى البـترول ومنـاجم المعـادن الإسـتراتيجية الأخـرى... ومـع الأزمـة الاقتصادية الحادة منذ أوائل الثمانينيات بدا أنـه لابـد مـن فـرض تكيـف هـيكلى جديـد بتأكيد نفوذ صندوق النقد الدولى والبنك الـدولى عـلى صياغة الاقتصـاد «العـالمى» فـيما عرف «بروشتة الصندوق»، بل وصياغة السياسات والزعامات التى تنفذها!

ولأن لكل ظاهرة نقيضها بالضرورة، فقد بدأت مناطق معينة تكشف أيضاً عن عنـاصر مقاومة، سواء بالاستجابة للطرف الآخر من الحرب الباردة (وقوف السوفيت وراء الكوبيين فى أكـثر مـن منطقـة شرقـى وجنـوبى أفريقيـا) أو بـالانطلاق كزعامـات راديكاليـة تجـرب المواجهة المباشرة.

وهنا بدت كاريزمات جديدة طوال الثمانينيات تبرز على الساحة فى أنحاء القارة ممتـدة من ليبيا (القذافى)، إلى غانا (رولنجز) لإثيوبيا (منجستو) لمدغشقر (تسيرانانا )وبين هؤلاء لمع اسم توماس سنكارا (1987/83) فيماً أسماه مفكر غانى مثل «إيبوهوتشـفول» بالعسـكريين الشعبيين فى دراسة هامة له: «العناصر الجديدة فى العسكرتارية الأفريقية» (1986). معتـبراً إن هذه القيـادات قـد نقلـت مكانـة العسـكريين سـيئى السـمعة فى أفريقيـا مـن مقـولات التصحيحية والانتقالية التى سادت الستينيات والسبعينيات فى براجماتيـة تسـلطية صـارخة وحسب، إلى فضاء الأيديولوجيا والتسييس فى عدد من حالات الانقلابات الجديدة... أسـماها «هوتشـفول» بـدورها «الـنظم العسـكرية الشـعبية التقدميـة» التـى شـهدت تحقيـق

قطاعاً مستقلاً ينظر للسياسة والديمقراطية كعنصر معوق»....

وتلخص مقارنة «هوتشفول» فى دراسته بين حالات إثيوبيا وغانا وبوركينا فاسو، نموذجاً لرؤيته بالتالى عن حالة «توماس سنكارا» فيما يتطلب متابعة ذلك فى الدراسة المدققة التي يقدمها «حمدى عبد الرحمن» هنا تفصيلاً، بينما نود فقط أن نشير إلى منطلقنا فى حدود هذا التقديم بشأن نموذج «سنكارا» الذى انتهى باغتياله... دون تفاصيل النماذج الأخرى. ويكفى أن نذكر بين نماذج «العسكريين الثوريين» من وضع حياته بسرعة على كفه اندفاعاً مثل «مرتضى محمد » فى نيجيريا (1976/75) وبين من ظلوا على صدور شعوبهم ببلاده وادعاءات سياسية ساذجة مثل «موبوتو» 1994/1961!

هناك تصور سائد فى الإعلام البرجوازى الغربى عن فترة وزعامات الثمانينيات، وبعض التسعينيات، تكتفى بتصوير عائد السياسات الإمبريالية التى صاحبت فلسفة السوق الحرة والتكيف الهيكلى، وتفكيك تجارب الشعوب التنموية الوطنية، باعتبار هذا «الاقتصاد الانقلابى» هو قاعدة السياسات الديمقراطية (التعددية) وبداية بروز دور جماعات المجتمع المدنى، وحرية التبادل وانفتاح العالم المغلق (الثالث) على العالم الحر وسوقه العالمية...!

هذا التصور الذى ساد كثيراً من التحليلات الجديدة باسم الليبرالية، هو الذى رفض الإشارة أو توفير الدراسات عن تجارب، قدمت الكثير من الإنجاز الاقتصادى الاجتماعى لشعوبها، فى وقت قصير ، وفى مقدمتهم «توماس سنكارا» . ورغم ما تردد كثيرا عن أخطاء «الكاريزميين»... ولكنهم كادوا يتصدون بحق للهيمنات الطبقية والإمبريالية على السواء، حتى اضطر أعداؤهم إلى اللجوء للاغتيال الوقح إن جاز التعبير (قتل مرتضى محمد فى إشارة مرور، وسنكارا فى مكتبه بيد بعض قادة التجربة نفسها !!).

في مواجهة الواقع

سوف يجد القارئ كثيراً من التفاصيل عن واقع «بوركينا فاسو» فى عهد

«توماس سنكارا» فى الكتاب الذى نحن بصدده . ولكنى سأواصل قليلاً هنـا، عـما يتوجـب على شباب الباحثين متابعته بشأن النقطة السابقة . وأضيف - حيث أننا إزاء سنكارا الآن- أن هؤلاء القادة الشبان الذين تصدوا للمخططـات الإمبرياليـة، لم يكونـوا مجـرد «أطفـال متمردين» كما أشار ميتران إلى «سنكارا» بعد هجوم الأخير على السياسـة الفرنسـية أثنـاء زيارة الرئيس الفرنسى لواجادوجو.. (1987)، وإنما كان سنكارا ابن تجربـة سياسـية، وعـلى اتصال بالتجارب السياسية الأخـرى مـن «رولنجـز» غانـا إلى مـاثيو كيريكـو بنـين إلى كوبـا والصين وكوريا الشمالية فضلاً عن تجربته الطويلـة داخـل تطـورات التجربـة الملجاشـية.. (تعدد الانقلابات من 1972 حتى حسمها الماركسيون 1975)، ومع كل ذلك كانت تجربته داخل بوركينا فاسو مع الحركة الشيوعية والديمقراطيـة والعماليـة فى غـرب أفريقيـا غنيـة بدورها، كما سنرى بعد قليل.. ومن يواصل الدراسة سيجد مثل هذا التدريب متوفرا أيضًا لدى قيادات أثيوبيا وغانا ومدغشقر من «العسكريين الثوريين»..

وهذه الإشارة هامة فى تقديرى، لأن صورة الثـوريين الأفارقـة تعـرض دائمـاً بالتشـويش الكامل مقابل مزاعم مفكرى التعددية الليبرالية للسوق العالمى الذى قبله بعـض الـزعماء التقليديين أو الجدد تمهيداً لفـرض سـياق العولمـة الكامـل مـع بدايـة التسـعينيات، ذلـك السياق الذى اقترن بالهيمنة الرأسمالية المتوحشة وليس مجرد الإمبريالية التقليديـة وكـان لابد من اغتيال صوت مثل « سنكارا » لينتهوا من هذه الموجـة الراديكاليـة التـى تشـوش على السوق الليبرالى..!

وللقارىء أن يعود إذن إلى كتابات عديدة أخرى لحمدى عبد الـرحمن حـول ظـروف «ظاهرة التحول الديمقراطى فى أفريقيا» ليدرك كيف ابتلعت بعض الشعوب طعم هذه الدعاوى الليبرالية، وكيف قاومتها شعوب أخـرى بانتفاضـات جذريـة أراهـا تمثـل الربيـع الأفريقى منذ وقت مبكر من بداية التسعينيات، ويحسب لما عرف «بـروح سـنكارا» أنهـا ظلت فى مخيلة الجماهير حتى زحفت على عواصمها فى أنحاء مختلفة من القارة وخاصـة فى الغرب منها، ولنتابع هذا المشهد.

ففى أجواء منتصف الثمانينيات حتى أواخرها طرحت محاولات التحدى نفسها

من أجل عمل تنموى مستقل. وبدت النظم «المتكيفة» دوليا فى أفريقيا تعامل الدول الفقيرة المجاورة بقسوة ساندتها المصالح الأجنبية فيها بشكل كبير، ونذكر هنا طرد العمال الأجانب «الغانيين وغيرهم من الأفارقة من نيجيريا، كما حدث هذا لأبناء فولتا العليا (بوركينا فاسو لاحقاً) فى ساحل العاج حيث يذكر سمير أمين مثلاً فى مقالة عن« سنكارا » (2012) أن بوركينا فاسو كانت «مستعمرة لمستعمرة» ويقصد هنا ساحل العاج. وكان يمكن حل مشكلة بلد فقير مثل بوركينا فاسو يملك كفاءة عمالية مهاجرة عن طريق أفكار مطروحة عن «وحدة البلدين» لتحل المشكلة الاقتصادية لبوركينا فاسو، «والمشكلة السياسية» فى ساحل العاج!

لذلك ليس صدفة أن يذكر مؤرخ ثقة لنظام « سنكارا » مثل «إليوت سكينر» (سفير أمريكا الأفرو أمريكى فى بوركينا فاسو فى مقال له عن «الكاريزما والسلطة» سنكارا وثورة بوركينابى» كيف تعاونت فرنسا وساحل العاج ( هكذا تحدث سفير أمريكا) لإبعاد « سنكارا » من رئاسة الوزارة 1982 قبل أن يعيده الشعب بالقوة لرئاسة البلاد فيما اعتبر «انقلاب 1983»! بينما هى الثورة التى قادها« سنكارا » وزملاؤه العسكريون! كما أنه ليس صدفة أن يكون «سنكارا» وحدوياً أفريقياً، بشكل آثار القادة النيجيريين والإيفواريين إلى حد تشجيع زملائه فى النهاية على اغتياله.!

المشكلة التى واجهت بوركينا فاسو بزعامتها هذه هو أنها وهى الدولة الداخلية الصغيرة وذات الكثافة السكانية العالية فى نفس الوقت (بين 15-17مليون نسمة) وحيث تسيطر طبقة من 3% من السكان على 60% من الدخل القومى، لم تكن تملك من الثروات المحفزة على قيام نظام قوى بقدر كاف، ولا هى الجاذبة للاستثمارات ومنافساتها النافعة أحياناً، ولا هى المغرية للأقطاب الدوليين المتنافسين مثل السوفيت والصين وقتها مقابل وضع فرنسا وقيادات الإقليم الرجعية فى ساحل العاج ونيجيريا والسنغال ومالى.

سنكارا وعولمة المواجهة

ورغم كل هذه الظروف حاول «سنكارا » التحرك الإقليمى والدولى، دون عائد

سريع منقذ...ذهب إلى كوريا الشمالية والهند والصين ومدغشقر وليبيا ، وأعلن أنه غير ملتزم بنظرية كارل ماركس أو كاسترو كما لا يلتزم برؤى مفكرى الرأسماليين العتاه، وهو ما بدا ترضية لبعض الأطراف الخارجية إلا أن سمير أمين الذى عرفه شخصياً نظر إليه باعتباره «ماركسياً أمميا، نسوياً يهتم بالتنمية الاقتصادية الاجتماعية وبالمشروعات الصغيرة والمحلية...» الخ (فى كتاب تكريمى: سنكارا شهيد الحرية سنة 2012).

وكأنما ينبهنا سمير أمين هنا إلى اختلاف مثل هذا النمط عن نموذج القذافى الذى ادعى الأممية دون أى منتج اجتماعى سياسى . كان كل ذلك محاولات من « سنكارا» لإخراج بلاده من محبسها فى غرب القارة، الملغومة بالمشروعات الرأسمالية العالمية خاصة مع بروز أهمية مشروعات الغرب المبكرة فى الصحراء الكبرى وإعدادها لاستثمار الثروة المعدنية البديلة لبترول الشرق!

وقد ذهب « سنكارا » بعيدا فى محاولات المقاومة المتسارعة للنفوذ العالمى للرأسمالية المتوحشة، وذلك بحملته الدولية على الديون باعتبارها ميراثاً استعمارياً، وحاول تعبئة رموز العالم الثالث لحملة دولية لهذا الغرض جعلته يهاجم الولايات المتحدة فى عقر دارها بحديثه عن «هارلم» باعتبارها البيت الأبيض للأفارقة، كما هاجم الرؤساء الأفارقة فى عقر دارهم أيضا فى منظمة الوحدة الأفريقية بأديس أبابا باعتبار أنه لا يجدى أن يكون وحده فى رفض الديون، وأنه يلمح لتصدير الثورة إن لم يتوافقوا معه لمواجهة المديونية الإمبريالية، وإلا فإنهم لن يجدوه بينهم فى العام التالى، إشارة إلى تهديدهم أيضاً بنفس المصير! (ولكنه ذهب وحده بعد عدة شهور وبقوا هم على قلوب شعوبهم لعدة عقود )!

لم يتردد «سنكارا » فى دخول المعارك الدولية كالديون، كما دخل المعركة القارية ضد النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا، فى وقت كان جيرانه فى ساحل العاج والسنغال يقودون حملة «الوفاق» والمصالحة مع نظام الأبارتهيد، وترتيب اتفاقية «لوفاقه» مع ثورة موزمبيق (كوماتى) بينما يقود هو التعاون مع كوبا فى دعم أنجولا ضد الثورة المضادة فى المنطقة.

كان صعباً أن يحقق «توماس سنكارا» كل أحلامه فى هذا الزمن القصير، خاصة وأنها أحلام أكبر من «الوطنية» وليست جزءًا مباشراً من مصالح كبرى، استعمارية أو معادية للاستعمار. كما شرحنا فقد تحدثنا عن هشاشة علاقاته الإقليمية أو الدولية رغم طموحه الجارف بصوت ارتفع كثيراً، وفى ظروف بناء العولمة المهيمنة ،وتركز اهتمام أمريكا على الكتل الإقليمية لا الدول الصغيرة ، تساءل السفير الأفروأمريكى «سكينر»: كان الخيار صعباً بين البطولة واللحظة فى بلد صغير، صعب فيه إدراك التغير فى العالم«... لذلك لم يتحرج ذلك السفير من معاونة «سنكارا» فى «بناء معهد دراسات عالم السود» كما لم يتحرج من القول أن فرنسا وساحل العاج هما اللذان قتلا الرجل»!

عناصر الصراع الداخلي

لم تكن الأوضاع الداخلية فى بوركينا فاسو، بدورها- تساعد الرجل على خوض المعارك الكبرى التى قرر خوضها، ورغم ثقافته السياسية، فإنه لم يدرك جيداً ضرورة فهم الفارق بين شعارات «المشاركة السياسية» وآليات السلطة الديمقراطية السياسية.... ولم يدرس جيداً حتى تجربة «رولنجز» فى غانا أو «منسجتو» فى إثيوبيا- فالأول ساعدته القاعدة الوطنية النكرومية السابقة والتحالفات القريبة منها، والثانى ساعدته مدركاته الاجتماعية ومشاريعه لمساكن الفقراء وتوزيع الأراضى الإقطاعية.

فى إطار ارتباك هذين البعدين، يبدو أن « سنكارا » قد أغراه نمط اللجان الجماهيرية الليبية فى تصور للمشاركة السياسية الواسعة (شكل عشرة آلاف لجنة شعبية بقيادات عسكرية ثورية!). ورفض فكرة الحزب السياسى، معتمداً على بعض ولاءات سياسية منفرطة من أحزاب اليسار واتحادات العمال والطلبة.. وذلك فى بداية الثورة، ولكن سرعان ما اصطدم بها جميعاً فواجه مظاهرات الطلاب، واعتصامات العمال، وعزوف الشيوعيين عن التعامل معه (حتى إنه طلب من سمير أمين التدخل لدى الأحزاب اليسارية للالتفاف حوله) وذلك لشيوع ما ردده الشيوعيون خاصة «أن الثورة لا ينجزها العسكريون »مهما كانوا ثوريين!»...

اعتمد «سنكارا » على قطاع المرأة والفلاحين، والبرجوازية الصغيرة فى الجهاز الإدارى، فاستثار الكثيرين من رجال أعمال ومزارعين كبار وقوى البيروقراطية حين فرض على الرجال الخدمة المنزلية مع النساء. وقرر أن يلبس الجميع الأزياء القطنية تشجيعاً للصناعة المحلية، ووضع البيروقراطية فى مواجهة السياسيين بحجة دفع البرجوازية الصغيرة إلى الدور التاريخى بالانتحار توجها إلى الريف لا زيف الحضر...! وهنا قيل الكثير عن دور الفلاحين السلبى- وهو نصيرهم الأساسى- فى خضوعهم للسلطة القبلية المحلية و مشيخة قبائل «الموسى » بزعامة إمبراطورهم موجو نابا.

ظلت قاعدة الجيش إذن سند « سنكارا » الرئيسى، مسيطراً على السلطة، وعلى اللجان الشعبية، ومتحالفاً مع البيروقراطية ضد السياسيين الثوريين أنفسهم، وكانت شخصية «سنكارا» الكاريزمية ذات نفوذ عال على جماهير واسعة رغم كل العناصر السلبية القائمة فى السلطة.

ويبدو أن هذه الكاريزما هى أيضاً التى أثارت قطاعات العسكريين العليا ممن أفسدوا النظام باستغلال مصادر السلطة والثروة فيه، مما جعل زميلاً له، بل وكان يبدو معلمه «بليز كومباورى» وبعض زملائه من رابطة الضباط الشيوعيين سابقاً، هم الذين يستثيرهم خطابه الجماهيرى الكاسح ، وهم الذين قرروا التخلص منه بقتله فى مكتبه فى منتصف أكتوبر 1987. ورغم علمه بخبر هذا التحرك ضده، فإنه لم يصدق، لكنهم سرعان ما برروا فعلتهم متهمين إياه: بخيانة الثورة، والأوتوقراطية وإثارة الفوضى، وإشاعة وهم قيادة الثورة العالمية»...! تلك الاتهامات التى مهدت لقلة ممن أعدتهم فرنسا، والأعداء الإقليميين ليحكموا بقيادة «كومباورى» زميل «سنكارا » للبلاد لربع قرن، ولتتحول بوركينا فاسو من مصدر لصوت الثورة العالمية («الفوكو«الجيفارية» إلى بؤرة لتجارة السلاح والماس وغسيل الأموال.

إعادة اكتشاف سنكارا

لم يمض اغتيال« سنكارا » عام 1987 عبثاً، لأن الانتفاضات الشعبية الأفريقية بين 1991/89 لم تتوقف فيما سمى بمحاولات التحول الديمقراطى الشعبى عبر تشكيلات مؤتمرات السيادة الشعبية... وإن لم يكتب لها أن تحدث التحول المنشود،

لكن وبعد مرور ربع قرن تقريباً على اغتيال «توماس سنكارا» تقوم الانتفاضة الشعبية فى بوركينـا فاسـو (نـوفمبر 2014) بتطهـير «أرض الكـرام» أو المكـرمين مـن «الخونـة... والأوتوقراطية الحقيقية، وتنطلق أكثر من ست تنظيمات «للسنكاروية» مع عشرات من الأحزاب الديمقراطية والليبرالية لبناء الثورة مجدداً، وعلى أسس جديدة ما زال يجرى صياغة دستورها حتى كتابة هذه السطور . ويأمل الثوار الجدد أن يحمل وجهاً جديداً يليق باستمرارية «السنكاروية» «ممقرطة وشعبية» حقيقة هذه المرة، وهذا ما طرحته باسم «سنكارا» محاولات شبابية فى الدياسبورا وجنوب أفريقيا وغيرها ، مما يضعه البعض تحت عنوان..«إعادة اكتشاف سنكارا »

لقد انطلقت «الحملة الدولية للعدالة من أجل «سنكارا» منذ عام 2012 تضم أصدقاء «سنكارا » للتحقيق فى اغتياله بطريقة غامضة، ولكن الأساس هو إعادة تقديم سنكارا وثورته وأخلاقياته وحقيقة نضاله مع شعبه، ودعم حركات الشباب فى العالم التى عادت تذكر جيفارا وسنكارا معاً ، بشكل ملفت فى السنوات الأخيرة ، وهذا ما حمله عنوان هام أصدره هؤلاء الأصدقاء بالفرنسية باسم «إعادة اكتشاف سنكارا... شهيد الحرية» فى ذكراه بعد ربع قرن حيث صدر فى داكار 2012 من تحرير «ندونجو سامبا سيللا» مستكتباً عشرات الأصدقاء من كبار المفكرين العالميين.

ولم تمض الشهور طوالاً على محاولة إعادة اكتشاف «سنكارا» من قبل الأصدقاء حتى اكتشف شعبه أنه الأولى باكتشافه، فانتفض (فى نوفمبر 2014 ضد محاولات كومباورى» الاستمرار فى حكمه الفاسد للبلاد. وليثبت شعب بوركينا فاسو أنه لم ينس أن ثمة زعيم مثل «توماس سنكارا» حاول مع هذا الشعب أن يخلق «بؤرة ثورية» فى أفريقيا على نمط محاولة «جيفارا» فى أمريكا الجنوبية.. وإن كان الزعيمان لم يوفقا فى تحويل البؤرة إلى ساحة نضالية عريضة، فإن الزخم المعنوى والأخلاقى للثورة فى أمريكا الجنوبية، قد أثبت قدرته على البقاء، وما زالت أفريقيا تحاول الإجابة عما إذا كان جيفارا أمكن حضوره بنفس القوة على أرض القارة المناضلة؟ ولو باسم سنكارا؟ هذا ما حاول «حمدى عبد الرحمن إثباته» .

**القاهرة 10 أغسطس 2015**

# المقدمة

د. حمدي عبد الرحمن

لا شك أن التغيير هو سنة كونية، بل حياة الإنسان نفسه من المهد إلى اللحد تُجسد هذا التغيير. ومع ذلك فإن التمسك بالموروث والخوف من الفشل وغياب روح الاجتهاد والطموح تمثل جميعها عوائق أمام عجلة التغيير. والمُلاحِظ للتغيرات الكبرى التي غيرت العديد من المجتمعات، بل والعالم بأسره، يجد أنها بدأت بأحلامٍ امتلك أصحابها شجاعة البوح بها والعمل من أجل تحقيقها. ربما ينظر الناس إلى هذا الحالم بأنه غير واقعي أو مجنون. ألم يزعم كفار مكة أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- قد اختلق القرآن وأن به جنوناً لا يدري ما يقول؟.

وإذا انتقلنا من عالم الوحي إلى عالم الشهادة وعمارة الأرض لوجدنا أن تغيير الواقع بكل تعقيداته قد يكون وجهاً من أوجه الجنون والتمرد. وهنا تأتي أهمية دراسة تجربة أكبر ثورة حقيقية شهدتها منطقة غرب أفريقيا في منتصف ثمانينيات القرن الماضي. لقد قاد هذه الثورة زعيم شاب يؤمن بأهمية تحرر وانعتاق الشعوب من أجل تحقيق النهضة. إنه توماس سانكارا رئيس دولة بوركينا فاسو خلال الفترة من 1983-1987.

لقد آمن سانكارا أن قهر الخوف والتحرر منه هو عماد التغيير. يقول في خطبة له في العاصمة واغادوغو من أجل تكريم المناضل أرنستو تشي جيفارا: «ربما يُقتل الثوار لكن أفكارهم لا تموت». كان عليه أن يدير ظهره إلى الصيغ القديمة والموروثة في بلاده من أجل أن يحقق التغيير الجوهري الذي يصبو إليه ، ومن أجل أن يبتكر المستقبل الذي يطمح إليه. ففي مقابلة أجريت معه عام 1985 قال توماس سانكارا «لا يمكن تنفيذ أي تغيير جوهري دون وجود قدر معين من

الجنون. ففي هذه الحالة لابد من شجاعة التمرد على الصيغ الموروثة، شجاعة ابتكار المستقبل. ألم يكن مجانين الأمس هم أصحاب الفضل في أننا نعمل بوضوح ورؤية تامة اليوم. إنني أريد أن أكون واحداً من هؤلاء المجانين»[1].

لا تزال أفريقيا تعاني من سيادة وهيمنة الصيغ القديمة ولا أحد يفكر في حلول بديلة أو في ابتكار المستقبل الذي كان يطمح إليه توماس سانكارا. يقول موليتسي مبيكي عالم الاقتصاد السياسي الجنوب أفريقي: إن أزمة أفريقيا المستعصية ترجع إلى عاملين أساسيين يساعدان على الفهم والتفسير، أولهما يتمثل في سوء إدارة النخب الوطنية الأفريقية الحاكمة للفائض الاقتصادي في مجتمعاتها طوال عقود ما بعد الاستقلال، والثاني يتمثل في عمليات السلب والنهب التي تقوم بها القوى الدولية لموارد أفريقيا وثرواتها الطبيعية.

ولا شك أن اشتداد محنة أفريقيا وتحولات التكالب الدولي الجديد لاستغلال مواردها الطبيعية تجعل توماس سانكارا ملهماً للجميع بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية. ففي أثناء ما عُرف بثورة الخبز التي اجتاحت العديد من بلدان غرب أفريقيا عام 2008 قام مغني الراب السنغالي ديديه عوض بإصدار أغنية حماسية تؤكد كلماتها على أن سبب الجوع هو الفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء. واللافت هنا أن الصور التسجيلية المصاحبة للأغنية كانت جميعها تشير إلى اقتباسات من أقوال توماس سانكارا، ولا سيما تلك التي ترفع شعار «دعونا نبتكر مستقبلنا».

ويسعى هذا الكتاب إلى البحث في أسباب استمرار الموروث الفكري والثقافي لتوماس سانكارا؟. لماذا لا يزال الشباب والحالمون بالتغيير في بوركينا فاسو وغيرها من أنحاء أفريقيا يتبنون أفكاره ويطالبون بتطبيقها؟. ربما يقول قائل أن السبب هو استمرار سياسات الفشل وعدم تحقيق إنجازات ملموسة يشعر بها

(1)Thomas Sankara Speaks, The Burkina Faso Revolution 1983-87, Pathfinder 1988, p. 144.

المواطن العادي. فأوضاع الفقر والجوع وانتشار الفساد والبطالة لم تتغير؛ و«كأنك يا أبوزيد ما غزيت»! إشارة إلى عدم جدوى تحقيق المملكة السياسية التي طالب بها كوامي نكروما في خمسينيات القرن الماضي. أضف إلى ذلك فإن التحولات الديموقراطية وإجراءات الانتخابات التعددية التي شهدتها العديد من البلدان الأفريقية لم تُفلح في تحقيق أي تغيير حقيقي. لا تزال النخب الأفريقية الحاكمة تدير ظهورها لمطالب وطموحات الجماهير العريضة في نفس الوقت الذي تُولي فيه وجوهها شطر العواصم الغربية طلباً للمودة والرضا. وعليه فقد أضحى توماس سانكارا رمزاً للتغيير، فالشباب الذي يتغنى بكلماته أو يلبس «تي شيرت» يحمل صورته إنما يعبر بصورة رمزية عن حالة التحدي والاغتراب التي يعاني منها.

في الرابع من أكتوبر عام 1984 وقف توماس سانكارا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة مخاطباً العالم بقوله: « إنني أتحدث نيابة عن ملايين البشر الذين يعيشون في معازل إما بسبب لون بشرتهم الأسود أو لأنهم جاءوا من ثقافات مختلفة، وهم يعيشون بالكاد في وضع أقرب إلى الحيوان. إنني أعاني نيابة عن الهنود الذين تم ذبحهم وسحقهم وإذلالهم ومحاصرتهم لقرون عدة بهدف منعهم من المطالبة بحقوقهم أو الاندماج مع ثقافات أخرى بما في ذلك ثقافة الغزاة أنفسهم»[1]. وقد أكد سانكارا في هذا الخطاب الأشهر على مفاهيم التضامن العالمي والدروس المستفادة من الثورات الأخرى وأهمية التحرر والاعتماد على الذات. يقول في ذلك:« إن ثورتنا في بوركينا فاسو تُعبر عن آلام ومصائب جميع الشعوب. كما أنها تستلهم الخبرات السابقة منذ بدء الخليقة. إننا نود أن نكون ورثة جميع الثورات العالمية والنضالات من أجل التحرر في بلدان العالم الثالث... إننا نستخلص الدروس من الثورة الأمريكية ولاسيما انتصارها على السيطرة الاستعمارية، والنتائج المترتبة على ذلك. نحن نتبنى مبدأ عدم التدخل فلا يجوز

(1)Thomas Sankara, We Are Heirs of the World's Revolutions, Pathfinder, 2007. P.67.

للأوروبيين أن يتدخلوا في شئون الأمريكيين، كما لا يجوز للأمريكيين التدخل في شئون الأوروبيين. تماماً مثلما أعلن مونرو في عام 1823[1]: أن أمريكا للأمريكيين فإننا نُعلن اليوم أن أفريقيا للأفارقة، وأن بوركينا للبوركينابيين».

ولعل الافتراض الأساسي الذي ينطلق منه هذا الكتاب يتمثل في القول بأن الثورات التي شهدتها بعض البلدان المستقلة لا تمثل خروجاً على شرعية الحكم السائد بعد رحيل الاستعمار وإنما يُنظر إليها باعتبارها بدائل مختلفة لتحقيق تطلعات الجماهير من أجل النهضة والتقدم. نحن إذن أمام حالة غير تقليدية للحكم في ظل قيادة واعية تمتلك في الأغلب سمات كارزمية. تلك الرؤى التنموية البديلة تطرح حلولاً وطنية غير مفروضة من الخارج.

لقد اعتقد سانكارا أن الشرعية الحقيقية تتمثل في الانتماء للجماهير وليس لأي قوة خارجية دولية كانت (مثل فرنسا) أو إقليمية (مثل ساحل العاج) أو حتى القوى السياسية المحلية التي تسير في فلك الخارج. واستنادا إلى ذلك كله فإن هذا الكتاب ينطلق من حقيقة كونه دراسة في الفكر السياسي الأفريقي الحديث، وعليه فقد تم تخصيص القسم الأول منه ليناقش من خلال رؤية شاملة طبيعة وخصائص الفكر السياسي الأفريقي وأهم قضاياه وكيفية تحليل البعد السياقي لخطاباته السياسية المعبرة عنه. وإلى جانب ذلك تم تخصيص الجزءين الثاني والثالث من الكتاب لمناقشة تجربة الثورة البوركينابية في عهد سانكارا، حيث يناقش القسم الثاني سياق وأفكار السنكارية السياسية من خلال محورين أساسيين : يناقش أولهما عوامل ومحددات التجربة الثورية في بوركينا فاسو مثل التطورات السياسية التي أدت إلى الاستقلال عن فرنسا، وكذلك العوامل الاجتماعية والاثنية التي وقفت وراء الانقسام المجتمعي والصراع على السلطة. أضف إلى ذلك عوامل

(1) أعلن الرئيس جيمس مونرو خلال خطابه السنوي أمام الكونغرس مبادرة جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية الجديدة، وهي المبادرة التي أضحت معروفة باسم «مبدأ مونرو». وطبقا لهذا المبدأ لا يجوز التدخل الأوروبي في الشئون الأمريكية،كما تلتزم الولايات المتحدة بموقف الحياد تجاه الصراعات الأوروبية في المستقبل.

النشأة والتكوين الفكري لقائد الثورة توماس سانكارا. أما المحور الثاني فإنه يُعنى بتحليل وشرح أهم الملامح الفكرية والثورية عند توماس سانكارا مثل قضايا بناء الدولة والتحولات الاقتصادية والاجتماعية وأهمية الحشد الجماهيري ودور المرأة في تحقيق التنمية وهي أمور تفترض ضرورة إعادة هيكلة السلطة.

ويناقش القسم الثالث السنكارية في عالم الممارسة من خلال توضيح أبعاد نموذج التنمية المستقلة وسياساته الخارجية غير المنحازة، مع طرح ما بقي من ميراث الثورة البوركينابية والدروس المستفادة أفريقياً ولاسيما ضرورة ابتكار المستقبل، وهو الشعار الذي رفعه وناضل من أجله توماس سانكارا. وبالإضافة إلى الخاتمة التي أثارت نماذج من الإبداعات الأفريقية في التحول الديموقراطي ودور السنكارية السياسية في الإلهام الثوري وابتكار المستقبل الأفريقي تمت إضافة قسم للملاحق. فقد قام الباحث بترجمة بعض النصوص المهمة التي تعبرعن الفكر السياسي لتوماس سانكارا والتي وردت في بعض خطاباته الشهيرة داخل بوركينا فاسو وخارجها.

ولاشك أن الصعوبة الكبرى التي تواجه الباحث تتمثل في حاجز اللغة وضعف الروابط التي جمعت بوركينا فاسو بعالم الأنجلوفونية نظرا لعلاقتها الوثيقة بالرابطة الفرنكفونية. وعليه فإننا سوف نعتمد على الخطب والوثائق التي تمت ترجمتها إلى اللغة الانجليزية، بالإضافة إلى بعض الأدبيات والأعمال البحثية التي تعاملت مع الفترة من 1960 إلى 1987 من تاريخ بوركينا فاسو.

ويطرح براين ويليامسون Bryan J. Williamson ثلاثة أنماط من الدراسات العلمية تعاملت مع التحولات الثورية في بوركينا فاسو[1]. يميل النمط الأول منها إلى التوكيد على أن الثورة في بوركينا فاسو كانت تعبيراً عن فشل النظام القديم في

(1)Williamson, Bryan J. From Upper Volta to Burkina Faso A Study of the Politics of Reaction and Reform in a Post-Colonial African Nation-State, 1960-1987. (M.L.A.)--University of South Florida, 2013.

تحقيق التنمية أو استيعاب جيل الشباب الذي كان مفعماً بالأفكار اليسارية المعادية للغرب عموماً. أما النمط الثاني فإنه يميل إلى وضع أفكار توماس سانكارا في وضع وسياق عولمي، ولعل إصدار كتابه توماس سانكارا يتحدث والذي صدر عام 1988 يعبرعن هذا المنحنى الفكري. يقول السفير الأمريكي الأسبق في بوركينا فاسو إليوت سكنر Elliot Skinner: «إن دلالة ثورة سانكارا هي أنها أظهرت وجود جيل جديد سئم من طريقة تعامل الساسة والزعماء التقليديين مع الشئون المحلية والعالمية. إنهم يريدون رسم مسار جديد قريب من واقع السلطة على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية»[1]. أما النمط الثالث والأخير من الدراسات فقد ظهر بعد عام 2000 وهو يؤكد في معظمه على تفرد تجربة بوركينا فاسو في ظل حكم توماس سانكارا نظراً لأنه ربط الشعارات الثورية بالأفعال، وهو ما أدى إلى إحداث تحولات حقيقية في المجتمع. إن العالم الذي يحلم به سانكارا ليس من صنع التكنوقراط أو الممولين الرأسماليين أو السياسيين المتمسكين بأهداب السلطة، ولكنه عالم تصنعه جماهير الفلاحين العاملة والتي تمثل المصدر الحقيقي لكل ثروة يمكن تقاسمها.

إن مما لاشك فيه أن ميراث توماس سانكارا الفكري والأيدولوجي باق ولن يندثر أو يموت نظرا لارتباطه الشديد بالواقع الأفريقي المعاصر. أليست عوائق النهوض الأفريقي كما هي وإن اختلفت صورها وسماتها؟. انظر على سبيل المثال إلى قضايا الاستعمار الجديد والهيمنة الاقتصادية على الموارد الأفريقية وشيوع أوضاع الفساد والفقر والصراع لا تزال جميعها تواجه طريق النهضة منذ اغتيال سانكارا على أيدي قوى الغدر الآثمة. لقد كانت هذه القضايا مهيمنة على المجتمعات الأفريقية أثناء حكم سانكارا ولاتزال باقية حتى اليوم. وعليه فإننا

(1)Skinner, Elliott Percival. 1988. «Sankara and the Burkinabe Revolution: Charisma and Power, Local and External Dimensions». The Journal of Modern African Studies: a Quarterly Survey of Politics, Economics and Related Topics in Contemporary Africa. 26, no. 3: 437-455.

لازلنا بحاجة إلى هذا الزعيم الملهم الذي يلقى خلف ظهره الصيغ التقليدية بما في ذلك «توافق واشنطن الرأسمالي الجديد» و«توافق بكين البديل» ليبتكر حلولا أفريقية بديلة[1]. زعيم يؤمن بقيمة العمل والاجتهاد، يقهر الخوف ويعلي من قيمة الحرية والابتكار وإن اتهمه الناس بالجنون. إننا بحاجة إلى هذا «المجنون» مجازاً القادر على العبور بأفريقيا إلى طريق المستقبل. وعليه ربما يكون هذا الكتاب مصدر الهام لجيل جديد من الشباب الأفريقي الذي يؤمن بالعمل والاعتماد على الذات وأخذ شعار ؛حلول أفريقية لمشكلات أفريقية؛ محمل الجد.

إن المدخل الأنسب لفهم سوسيولوجية الدولة الأفريقية بعد رحيل الاستعمار يتمثل في إقتراب «ملء البطون» الذي نادى به جان فرنسوا بايار. يعني ذلك أن السياسة تعد المدخل الأساس إلى الثروات الطائلة، والتنافس على السلطة يصبح شرسا وعنيفا. فالهزيمة يمكن أن تعني النفي أو السجن أو الموت جوعا. أما أولئك الذين يفوزون بجائزة السلطة فإنها تترجم إلى مناصب رئيسية تُمنح لأفراد قبيلتهم، أو المقربين والمؤيدين لهم .

ولعل ذلك كله يُظهر أن التحدي الأكبر الذي تواجهه أفريقيا اليوم يتمثل في طبيعة أجهزة الدولة الوطنية التي تعد بحق موطن الداء، وهو ما أدركه سانكارا وعمل على تغييره. وللإجابة على سؤال ما العمل؟ فإننا نذهب مع الاقتصادي الغاني جورج آيتي في قوله بضرورة تولي جيل جديد من الشباب الأفريقي المتعلم (جيل الفهود بحسب قوله) زمام المسؤولية بدلا عن النخب الحاكمة الفاسدة. إنهم بالفعل موجودون ويعملون في العديد من المجالات مثل الزراعة والقطاع غير الرسمي، وتكنولوجيا المعلومات، والتصنيع، وحتى في الحكومة. ولكن

---

(1) صاغ جون ويليامسون «اجماع واشنطن» الذي أكدعلى تحرير التجارة وخصصة الشركات المملوكة للدولة واطلاق العنان للاستثمار الأجنبي المباشر. غير أن ظهور المعجزة الصينية والقوى الآسيوية الصاعدة خلال العقود الماضية أدى إلى تحدى هذا الإطار النيوليبرالي وطرح ما أطلق عليه جوشوا كوبر رامو «اجماع بكين».

ينبغي على هؤلاء الشباب أولا: بناء وصقل مهاراتهم وزيادة تراكمهم المعرفي قبل التصدي لسؤال السلطة والحكم. وذلك هو أمل أفريقيا الجديد.

ولعل تدارس تراث السنكارية بما لها وما عليها من منظور الخبرة السياسية الثورية يساعد الأجيال الصاعدة من الشباب على تدارك أخطاء الماضي من أجل صناعة المستقبل الأفريقي الذي نحلم به. وتلك هي غاية هذا الجهد المتواضع الذي نقدمه لمكتبة الدراسات الأفريقية.

والله من وراء القصد

**حمدي عبد الرحمن**

# القسم الأول

## عالم الأفكار
## في أفريقيا

# الفصل الأول

# في الفكر السياسي الأفريقي

مقدمة:

يشير الفكر السياسي في جوهره إلى جملة الأفكار والقيم والتوجهات العامة التي تسعى إلى تحقيق حياة أفضل وتكون مرشداً وهادياً للنظم والمؤسسات السياسيات القائمة. وعليه فإن الفكر السياسي الأفريقي هو المعنى بوضع حلول عملية للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تواجه المجتمعات الأفريقية. ويختلف هذا الفكر من حيث سياقه التاريخي والتغيرات المتلاحقة التي تشهدها أفريقيا والعالم من حولها[1].

وبمراجعة الأدبيات التي كُتبت عن تطور الفكر السياسي والاجتماعي الأفريقي يُلاحظ أن ثمة اتجاهاً يركز على الأفكار السياسية الكبرى عبر العصور المختلفة ومنذ ما قبل التاريخ (حضارة كوش ومصر القديمة قبل الميلاد) وحتى اليوم، في حين يركز اتجاه آخر على الأشخاص ولا سيما في الإطار الضيق للنخب الحاكمة مثل قادة ما بعد الاستقلال أمثال نكروما وسيكوتوري ونيريري وغيرهم.

وتطرح دراسة الفكر السياسي الأفريقي المعاصر عدة تساؤلات عامة تمثل الإجابة عليها محدداً لطبيعة ونطاق هذا الفكر. ولعل أبرز تلك التساؤلات ما يلي:

(1) لاشك أن دراسة تاريخ الأفكار السياسية الأفريقية كحقل معرفي مستقل لم تجد الاهتمام الكافي من قبل الدارسين لتطور الفكر السياسي بشكل عام والفكر الأفريقي بشكل خاص. لم يكن مستغربا أن يلجأ الدارس إلى الأعمال الفردية المتناثرة في حقول معرفية عدة مثل التاريخ والاجتماع والأنثربولوجي والفلسفة والأدب وهلم جرا.

أولاً طبيعة الأفكار السياسية الأفريقية

**اتسمت الأفكار السياسية التي قام عليها الفكر السياسي الأفريقي المعاصر بسمتين رئيسيتين:**

**1-أفرقة المفاهيم والأفكار استناداً إلى خصوصية الواقع الأفريقي.** وتعنى عملية الأفرقة تلك التوكيد على واقع الخبرة التاريخية وتحديات الواقع المعاصر للمجتمعات الأفريقية عند استخدام مفاهيم غربية. وعلى سبيل المثال فإن مفهوم الاشتراكية في أفريقيا اكتسب بعداً إنسانياً عاماً يتجاوز التوجه السياسي والاقتصادي الذي يعبرعنه الواقع الأوروبي. لقد اتخذ مفهوم الأفرقة أبعادا ومضامين مختلفة في الخطاب السياسي الأفريقي وذلك استنادا إلى السياق التاريخي والمجتمعي السائد. فقد تبنى الرئيس كينياتا شعار «هارمبي» الذي يعني حرفيا بلغة الكيكيو «نبني معا» ليعبر عن مفهوم الوحدة الوطنية. كما أن استراتيجيات التنمية الوطنية اتخذت في العديد من البلدان الأفريقية أبعادا محلية مثل «الأوجاما» في تنزانيا و«الإنسانية المسيحية» في زامبيا. على أن فهم سيكوتوري للأفرقة يتخذ بعدا تأصيليا للمفهوم في كتاب مشهور له يحمل نفس الإسم حيث يؤكد على أهمية إعادة أفرقة الأفراد والممارسات والمؤسسات. وتبدأ عملية الأفرقة بالفرد حينما يتحرر بعقله وقلبه من الاستعمار ويعود إلى أفريقيا ثقافيا وأخلاقيا. يقول في ذلك:«نظرا لأن كل واحد منا يحمل بداخله جانبا من التعليم تلقاه عن النظام الاستعماري فإن عليه واجب إعادة تأهيل نفسه بالكامل للتخلص من هذا الموروث...ولعل ذلك يتطلب التخلص من العادات والمفاهيم ومعايير السلوك الغربية واستبدالها بأنماط أفريقية تلائم تطلعات الجماهير»[1].

**2-المزاوجة بين اللغة المستوحاة من المصادر الخارجية واللغة المستوحاة من المصادر التقليدية** في صياغة الفكر السياسي الأفريقي. فقد ذهب البعض إلى

(1)Sekou Toure, Toward Full Re-Africanization (Paris: Presence Africaine, 1959.

استخدام استعارات من كتابات ماركسية أو ليبرالية. ولعل ذلك هو الغالب في الخطاب السياسي المعادي للإمبريالية في فترة ما قبل الاستقلال وما بعده. ومن جهة أخرى كان هناك تركيز وبدرجات متفاوتة على أهمية المكون التقليدي في إظهار الشخصية الأفريقية. وعلى سبيل المثال يتم التعبير عن التوجه الأخلاقي التقليدي في الفكر الأفريقي من خلال مفاهيم «الجمعوية» تمييزا لها عن الروح الفردية في الغرب. وغالبا ما يهاجم النقاد هذا التوجه باعتباره شكلا من أشكال الشيوعية. ويعتقد آخرون أن الروح الفردية يتم قمعها من قبل التوجهات السلطوية الأفريقية التقليدية. وعليه فقد انشغل جانب من الفكر السياسي الأفريقي بعملية تصحيح هذه التشوهات من خلال اظهار القيم الجماعية التقليدية التي تقوم على أساس من الافتراضات الميتافيزيقية الأصيلة لدى المجتمعات الأفريقية. ففي حالة مجتمع الآكان Akans في غانا تقوم تصوراتهم المعيارية للشخصية، (nipa) بالارتباط مع المفهوم الثلاثي للشخص ( الجسد، والذي يعبر عن صلة الدم من الأم، والنفس التي تعد قبسا من الخالق، والروح التي تدل على شخصية الأب)[1]. ويمكن مراجعة لغة الخطاب السياسي الوطني سواء في فترة تصفية الاستعمار أو بعد الاستقلال مباشرة لمعرفة طبيعة لغة هذا الخطاب.

ثانياً: مصادر الفكر السياسي الأفريقي

يمكن الإشارة إلى ثلاثة مصادر أساسية أسهمت في صياغة الفكر السياسي الأفريقي المعاصر. ارتبط أولها بالميراث التقليدي والذي يشمل التأثير الذي أحدثه انتشار الإسلام في أفريقيا.إذ يمكن القول بأن الأفكار والقيم الاسلامية المتعلقة بالحكم والصالح العام قد أثرت على الممالك الإسلامية المختلفة التي قامت في غرب أفريقيا خلال القرن التاسع عشر ولاسيما خلافة سوكتو تحت زعامة عثمان دان فوديو (1808-1837) ومملكة الفولاني (1808-1818) وإمبراطورية التكرور تحت زعامة الحاج عمر فال (1852- 1893). ويلجأ

(1)Kwame, Safro. Readings in African Philosophy: An Akan Collection. Lanham: University Press of America, 1995.

بعض الكتاب إلى دراسة أفكار ابن خلدون ولاسيما تلك المتعلقة بمفهوم العصبية ونشأة الدولة لتفسير أسباب قيام وانهيار النظم والمؤسسات السياسية في شمال أفريقيا بعد دخول الإسلام إليها. ومن جهة أخرى فقد مثلت مفاهيم السلطة والقيم الجماعية المتعلقة بنظم الملكية والتي جسدتها النظم والمؤسسات السياسية التقليدية مصدرا مهما للأفكار السياسية في مرحلة ما بعد الاستقلال. وقد لجأ بعض الكتاب إلى تتبع جذور الفكر السياسي الأفريقي من خلال دراسة الأشكال الأولى لنشأة الدولة في مصر وبلاد النوبة.

أما المصدرالثاني فإنه يرتبط بالأفكار الأوروبية التي عبرت عنها بعض جوانب الفكر السياسي والاجتماعي الأوروبي.وعلى سبيل المثال فإن جيمس هورتون (المكنى بهورتون الأفريقي) والمولود عام 1835 كان مغرما بالثقافة البريطانية ونمط الحكم البريطاني على الرغم من دعوته لاستقلال الدول الأفريقية. وعلى صعيد آخر فإن بعض النخب الأفريقية التي تلقت تعليمها في الغرب ولاسيما الولايات المتحدة مثل الرئيس أزيكوي في نيجيريا قد نادت بتبني القيم الليبرالية في التنمية. ويرتبط المصدر الثالث بالتأثير الزنجي في بلاد الشتات ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية ومنطقة الكاريبي. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى أهمية كتابات زنجية أمريكية على تشكل الحركة الوطنية في أفريقيا، ومن ذلك كتابات إدوارد بلايدن ودو بوي ووليم إلياس وماركوس جارفي وجورج بادمورر وغيرهم.

ثالثاً : أهم قضايا الفكر السياسي الأفريقي

ركزت معظم دراسات الفكر السياسي الأفريقي على بعض قضاياه مثل الاشتراكية والجامعة الأفريقية والزنوجة.

الاشتراكية الأفريقية

أكد الرئيس المؤسس لغانا في مرحلة ما بعد الاستعمار كوامي نكروما على وجود شكل واحد فقط للاشتراكية هو الاشتراكية العلمية. وعليه فإن «النكرومية» نُظر إليها على أنها تمثل التطبيق العملي لهذه الأيديولوجية العلمية. وفي المقابل

نصت أيديولوجية التنمية في كينيا في عهد جومو كينياتا على أن كلمة «أفريقية» التي تصف الاشتراكية لا تعني القارة التي يتم استيراد أيديولوجية أجنبية لها، ولكن تعني تتبع الجذور الأفريقية لنظام هو نفسه أفريقي من حيث خصائصه وبنيته الفكرية. ومن هذين الموقفين المتناقضين وجدنا تنوعاً كبيراً في الفكر السياسي الاشتراكي الأفريقي، فنجد الاشتراكية الوطنية سواء كانت غربية أو سنغالية أو ملاجاشية، والاشتراكية الإمبريقية والاشتراكية الفابية. وهلم جراً.

وقد نظر بعض الباحثين مثل روث مورجانثو **Ruth Morganthau** أن الاشتراكية الأفريقية هي بمثابة اعلان استقلال أيديولوجي. وهذا يعني من وجهة نظرها أنها أداة من أدوات تصفية الاستعمار، فضلاً عن أنها تمثل النموذج المثالي الذي يسعى القادة الأفارقة إلى تحقيقه[1].

ويمكن القول بأن الشكل الأكثر تعبيرا عن مفهوم الاشتراكية الأفريقية هو الذي تطرحه الخبرة التنزانية في عهد نيريري باسم الأوجاما Ujamaa. فقد أضحى هذا المفهوم التقليدي الذي يعبر عن أواصر القربى ولحمة صلة الدم الأساس الذي تقوم عليه أيديولوجية الاشتراكية الأفريقية. ولم يستخدم هذا المفهوم من قبل نيريري لإحداث تحولات جذرية في بنية المجتمع من حيث جسر الفجوة بين الأغنياء والفقراء فقط ولكن لتحقيق قيم المساءلة والشفافية بين القادة وكبار موظفي الدولة من خلال محاربة الفساد ومقاومة إغراء السلطة.

الشخصية الأفريقية

استطاع بلايدن تطوير نظرية متكاملة عن الأجناس البشرية والتي تمثل أساس فهمه لما يعرف بالشخصية الأفريقية وذلك من أجل دحض الافتراءات الأوروبية المتعلقة بدونية الجنس الأفريقي. وقد اتصفت الشخصية الأفريقية عند بلايدن بحب الطبيعة والتعاطف مع كافة الجهود المبذولة من أجل الحرية. وقد ناقش علي مزروعي في ورقته المشهورة التي تحمل عنوان: «في مفهوم أننا جميعاً أفارقة عام

(1)Berg, Elliot J. Socialism and Economic Development in Tropical Africa, the Quarterly Journal of Economics (1964) 78 (4): 549-573.

1963» مفهوم الشخصية الأفريقية بالتطبيق على منطقة شرق أفريقيا[1]. واعتقد أن خطاب ثابو مبيكي المعنون «أنا أفريقي» يؤكد على استمرار هذا المنحى الفكرى في تحديد الهوية الأفريقية الجامعة.(أنظر نص الخطاب في الملاحق).

الزنوجة

يمكن اعتبار مفهوم الزنوجة أحد المفاهيم المحورية التي ميزت الحركات الفكرية والاجتماعية الأفريقية خلال القرن العشرين. وقد ارتبط في نشأته الأولى بإسهامات الباحثين السود من المستعمرات والأراضي الفرنسية والذين أتيحت لهم فرصة الدراسة في الجامعات الباريسية. كان المفهوم مرتبطاً بالخطاب الفكري حول العنصرية والمركزية الأوروبية والاستعمار، وهو ما أسهم في إثارة الجدل النقدي وصياغة الفكر السياسي والاجتماعي الأفريقي في مرحلة ما بعد الاستقلال.

وبعد ليوبولد سيدار سنغور من أبرز المدافعين عن أيديولوجية الزنوجة في أفريقيا بعد الاستقلال. وقد استخدمها ليس فقط في تطوير رؤيته حول الاشتراكية الأفريقية ولكن أيضا في دعم رؤيته عن الشخصية الأفريقية. وقد عبرت أعمال كل من إيمي سيزار وفرانتز فانون بشكل أو بآخر عن مفهوم الزنوجة وارتباطه بالشخصية الأفريقية. وقد استطاع سنغور أن يطور جانبين للزنوجة أحدهما موضوعي يسعي إلى اكتشاف الجذور الحقيقية للثقافة الجماعية الأفريقية في مرحلة ما قبل الاستعمار والمحافظة عليها. أما البعد غير الموضوعي فهو يتمثل في التعبير عن القيم الثقافية الجماعية.

الجامعة الأفريقية

ارتبط مفهوم الجامعة الأفريقية في نشأته بحركة النضال ضد العبودية والاستعمار والاستعمار الجديد. وعليه فإنه ضم جماعات وهيئات متنوعة من أصول أفريقية قاومت الاستغلال والعنصرية وتبنت أيدولوجيات سياسية مناهضة

(1)Mazrui, Ali A. 1963. «On the Concept of »We Are All Africans«. the American Political Science Review. 57, no. 1: 88-97.

للعنصرية. وعادة ما ينظر لحركة الوحدة الأفريقية على أنها نتاج لتجارة الرقيق.

وقد تم تطوير فكرة الجامعة الأفريقية لتصبح أيديولوجية تسعي إلى توحيد القارة الأفريقية وإقامة الولايات المتحدة الأفريقية، وهنا يمكن أن نتحدث عن الإسهامات الكبرى لكل من سيلفستر ويليامز وإدوارد بلايدن وكوامي نكروما وماركوس جارفي.

لقد ازدهرت فكرة القومية الأفريقية الجامعة خلال الفترة ما بين الحربين. ففي بلاد الشتات الأفريقي نجد أن ماركوس جارفي قاد حركة العودة إلى أفريقيا والتي أطلق عليها « الصهيونية السوداء». ورغم أن جارفي ولد في جامايكا بجزر الهند الغربية البريطانية فإن دعوته وجدت رواجا واسعا في الولايات المتحدة خلال عشرينيات القرن الماضي. وقد ارتبطت هذه الفكرة في بلاد المهجر كذلك بالمدرسة «الأثيوبية السوداء» التي قامت على أساس العقيدة «الرستفارية» التي تقدس الإمبراطور هيلاسلاسي الأول باعتباره تجسيدا للرب.

وفي فترة مابعد الاستعمار ظهرت صيغ متعددة من القومية الأفريقية الحديثة نستطيع أن نبين من بينها اتجاهين : أولهما وحدوي أفريقي جامع عبر عنه الآباء المؤسسون في حركة التحرر الوطني أمثال نكروما وسيكوتوري وعبدالناصر. أما الاتجاه الثاني فكان يرتبط بالمفهوم الوطني الضيق والذي شجع على ظهور بعض النزعات الانفصالية مثلما حدث في جنوب السودان ومحاولة الايبو اقامة دولة مستقلة عن نيجيريا باسم بيافرا، وأيضا أزمة إقليم كاتنجا في الكونغو البلجيكي (جمهورية الكونغو الديموقراطية حاليا).

رابعاً : جدلية الأصالة والعالمية في الفكر السياسي الأفريقي

من المعلوم أن النخب السياسية الأفريقية في مرحلة تصفية الاستعمار وما بعد الاستقلال قبلت ضمناً، ولو بطريق خفي، المبادئ والقيم الأوروبية ولكنها رفضت السيطرة الأجنبية المباشرة على بلدانها. وعليه كان لزاماً من أجل تصفية الاستعمار وإقامة حكم وطني طرح مجموعة من الأيدولوجيات التي حملت

شعارات وطنية فضفاضة لتبرير هذا الحكم الجديد. وتشكل هذه الأيديولوجيات جوهر الفكر السياسي الأفريقي في مرحلة ما بعد الاستقلال ويطرح أوساغي Osaghae عددا من الآثار المترتبة على عملية الإحلال تلك والتي تعكس جدلية المزاوجة بين الأصالة والعالمية في الفكر السياسي الأفريقي[1].

- على الرغم من قبول الفكر السياسي الأفريقي بالمسلمات الفكرية الغربية، فقد كان عليه في نفس الوقت توظيفها لمحاربة الاستعمار والاستعمار الجديد، بمعنى محاربتهم بنفس أسلحتهم. بالإضافة إلى ذلك فقد خضعت هذه الأفكار الأوروبية لعملية مواءمة وتكيف لتناسب الواقع الأفريقي. ولكن الروح الحماسية التي صاحبت تبني مفاهيم الشخصية الأفريقية والجامعة الأفريقية والهوية الأفريقية دفعت المفكرين الأفارقة إلى التركيز على كلمة أفريقي لوصف جميع الأفكار التي تم تبنيها. وعلى سبيل المثال فإن مفهوم القومية الذي كان يعني حق كل الشعوب في تقرير مصيرها كما تقره التقاليد الأوروبية سرعان ما أصبح أيديولوجية الحركات الوطنية في أفريقيا.

- انشغل الفكر السياسي الأفريقي المعاصر بقضايا التحرر العرقي والتنمية الثقافية والاستقلال السياسي حتى نهاية الفترة الاستعمارية. ولا شك أن هذا الإطار الفكري والنظري المناهض للاستعمار أضحى يمثل عبئاً على عملية التفكير المبدع والخلاق في أفريقيا. وعليه فإن قضية الملاءمة تصبح على المحك عندما نتحدث عن قضايا المرحلة ما بعد الاستعمارية. ولذلك ذهب سكلار Sklar إلى القول بضرورة التخلص من حالة الولع المرتبطة بإسار الإطار الاستعماري والاستعماري الجديد[2].

(1)Osaghae, Eghosa. 1991. »Colonialism and African Political Thought«. Ufahamu: Journal of the African Activist Association. 19, no. 2/3: 22-38.

(2)Sklar,R. and Toyin Falola ,African politics in postimperial times : the essays of Richard L. Sklar, Trenton, NJ : Africa World Press, cop. 2002.

-يتسم الفكر السياسي الأفريقي بتزايد الفجوة بين النظرية والتطبيق. ولعل النتيجة المرتبطة بذلك هي أن معظم هذا الفكر يتسم بالمثالية والتناقض وعدم الاعتداد بواقع الأوضاع على الأرض. ولعل أحد السلبيات الكبرى التي عانى منها النموذج الفكري الثوري لتوماس سانكارا هي عدم إيلائه اهتماماً كبيراً للتناقضات الواقعية التي فرضها مجتمع بوركينا فاسو في ظل فترة حكمة.

وحاول الزعماء الأفارقة تبرير نمط التنمية القائم على نظام الحزب الواحد أو رفض المعارضة المؤسسية باعتبارها غريبة على التقاليد الأفريقية من خلال توظيف مفهوم التنمية المستقلة المعتمدة على الجذور التاريخية الأفريقية من أجل تعبئة الجماهير ومشاركتهم. ولعل الهدف المستبطن من وراء ذلك كله كان يتمثل في دعم شرعية النخب الحاكمة.

-لقد أدت عمليات الأفرقة والتأكيد على أصالة الفكر السياسي الأفريقي إلى حالة من الرفض لكل ما هو أجنبي أو أوروبي. ولعل مثل هذا الرفض كان في صالح الطبقة الحاكمة الأفريقية بعد الاستقلال. فقد أنكر بعض الزعماء الأفارقة أمثال سنغور ونيريري وكينياتا وجود الصراع الطبقي أو التناقض بين البرجوازية والبلوريتارية الذي ظهر في النظام الرأسمالي الأوروبي. لقد تم التأكيد على أن أفريقيا تخلو من النظام الطبقي أصلاً. ولعل الفكرة الأساسية التي بررت هذا الرفض تتمثل في أن المجتمعات الأفريقية التقليدية كانت ذات طبيعة جمعوية لا تعترف بالملكية الفردية وتقر بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج. وعليه فقد رفض الفكر السياسي الأفريقي النماذج الرأسمالية والاشتراكية الغربية سواء بسواء. ولعل ذلك يفسر لنا نزوع الفكر السياسي الأفريقي إلى دعم التضامن مع دول عدم الانحياز في القارات الثلاث: أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

-اتسم الفكر السياسي الأفريقي بعملية «شخصنة» كبيرة، أي ارتباط الأفكار بالأشخاص، وهو ما يعني تراجع التأييد لها بعد وفاة صاحبها. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى أن فكرة الجامعة الأفريقية التي حكمت التوجه الأفريقي نحو

الوحدة منذ أوائل القرن العشرين وارتبطت بأفكار جارفي وبلايدن ودي بوي ونكروما قد خبا بريقها منذ إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية عام 1963. بيد أن تصاعد الدور السياسي للزعيم الليبي الراحل معمر القذافي على الساحة الأفريقية وترويجه للوحدة الأفريقية مرة أخرى قد أسهم في إعادة هيكلة المنظمة وانشاء الاتحاد الأفريقي عام 2002.

خامساً: سؤال الهوية في الفكر السياسي الأفريقي

يرى علي مزروعي أن كلمة اسود تسبق في التاريخ المكتوب كلمة أفريقي. وعلى سبيل المثال فإن الإنجيل يعبر عن الأفريقي بوصف السواد وذلك من خلال التساؤل ذو الطبيعية البلاغية : «هل يمكن للأثيوبي أن يغير جلده أو يستطيع النمر أن يزيل البقع من على جلده؟» . وفي سعيه لبيان واقع أفريقيا في تطور الفكر السياسي والاجتماعي يميز بين ثلاثة مواريث هي : التراث الأفريقي التقليدي، والإسلام والقيم الثقافية الأوربية الحديثة.

و يطرح مفهوم المركزية الأفريقية **Afrocentrity** إطارا معرفياً مهماً لفهم الواقع الأفريقي والذي جسدته أعمال عدد من المفكرين الأفارقة أمثال شيخ أنتا ديوب ومولفي كنتي أشانتي وعلي مزروعي. وتُعزي أهمية هذا الإطار المعرفي إلى أن كثيراً من المفاهيم والافتراضات التي تم توظيفها لفهم الواقع الأفريقي والشتات انطلقت من سياق معرفي مغاير يركز على الخبرة الأوروبية بانحيازاتها الفكرية والمنهجية غير الخافية. وعليه فقد تم الاعتماد على هذا المدخل المعرفي الأفريقي من قبل المفكرين الأفارقة لمواجهة مقولات الفكر الغربي عبر تطوراته المختلفة من أرسطو حتى هيجل ووصولاً إلى تحدي مفهوم «الآخر» في العصر الحديث. و تعد أعمال المفكر الكونغولي الأشهر فالنتين موديمبي Mudimbe مهمة في هذا السياق من حيث إعادة اكتشاف أفريقيا حيث رأى أن أفضل فترة لتقويم خبرة الاستعمار هي بعد رحيله[1].

(1)Mudimbe, V. Y. The Invention of Africa: Gnosis, Philosophy, and the Order of Knowledge. Bloomington: Indiana University Press, 1988.

لقد استخدمت الروايات الدينية المسيحية والتفسيرات الأرسطية في الفكر السياسي لتبرير مؤسسة الرق واستعباد الأفارقة نظراً لأنهم في مرتبة أدنى من العبيد، فثمة من يؤمن بأن نوحاً لعن ابنه حام في الوقت الذي بارك فيه سام[1]:

**ملعون كنعان ( ابن حام)**

**إنه أدنى من العبيد**

**فعليه أن يكون لأخيه**

**وليبارك الرب سام**

**وليكن كنعان عبداً له**

ومن جهة أخرى فإن فكرة الأصول الفطرية للاسترقاق بمعنى أن يُولد الإنسان عبداً تماماً مثلما يُولد الآخرون سادة كانت هي الأساس الأيديولوجي لنظرية «عبء الرجل الأبيض» والتي أعطت المسحة الأخلاقية للاستعمار. لقد استطاع روديارد كبلنج تخليد هذه النظرية شعراً بقصيدته التي نشرتها «التايمز» اللندنية أول مرة عام 1899 :

**خذوا على عاتقكم عبء الرجل الأبيض**

**أمضوا قدماً يا خير سلالة**

**أرسلوا أبناءكم للمنفى**

**للقيام على خدمة أسراكم**

**وليصبروا على أعباء جسام**

**على شعب همجي متباعد**

**شعوبكم النكدة التي وقعت في قبضتكم**

(1)Mazrui, Ali Al Amin, and Ricardo René Laremont. Africanity Redefined. Trenton, NJ: Africa World Press, 2002, pp3-4.

**هي نصف شيطان ونصف طفل**

**خذوا على عاتقكم عبء الرجل الأبيض**

**حروب السلام الوحشية**

**املؤوا الفم الذي أنهكته المجاعة**

**واطلبوا من الأمراض أن تتوقف**

**الموانئ التي لم تدخلوها**

**والطرق التي لم تطأها أقدامكم**

**اذهبوا واجعلوها حياتكم**

**وضعوها شاهداً على موتاكم**

ولا يخفي أن هذه الصورة المزدوجة التي وضعها شاعر العنصرية «كبلنج» لأفريقيا باعتبارها «نصف «شيطان» و«نصف طفل» هي التي شكلت الوعي الغربي بأفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر، فهي قد دفعت الأوربيين إلى الاهتمام بالبعثات التبشيرية لتصلح من أحوال هذه الشعوب الهمجية باعتبارها «نصف شيطان». ومن ناحية أخرى دشنت لمفهوم «الأبوية السياسية» الذي حمله الاستعمار مدعياً الوظيفة الحضارية باعتبار أن الشعوب الأفريقية ما هي إلا «نصف طفل». ولا يخفي أن نظريات التطور البيولوجي والبقاء للأصلح وما إلى ذلك لم تؤثر فقط على العلوم البيولوجية وإنما شكلت مصدراً للتعميم في الفكر السياسي والاجتماعي أيضاً.

استناداً إلى هذا الميراث الفكري الذي يقوم على المركزية الأوربية وعبء الرجل الأبيض جاء فكر الحداثة ليحمل أيضاً مفهوم القيادة الأوروبية والمسئولية عن تغيير وتطوير الشعوب المتخلفة في آسيا وأفريقيا. وعلى سبيل المثال فإن رسول الليبرالية «جون ستيورات ميل» يبرر حكم الاستبداد لمواجهة بربرية بعض

المجتمعات والتي ذكر من بينها أغلبية الشعوب الأفريقية. لم يكن غريباً أن يجعل «ميل» المؤسسات الديمقراطية الغربية هي منتهى عملية التنمية السياسية والاجتماعية. والمتابع لفكر التنمية عموماً والسياسة المقارنة بمنظوره الغربي يجد أنه يقوم على تلك المركزية الأوروبية المنحازة. وعلى سبيل المثال نجد أن أبرز تصنيفات النظم السياسية ذلك النمط الذي يستبطن المفهوم الديني المتعلق بشعب الله المختار بالإضافة إلى التفكير الذرائعي المتعلق بعبء الرجل الأبيض كما بينا. ولننظر مثلاً في التقسيم التالي للنظم السياسية:

- **النمط الأنجلو الأمريكي**
- **النمط الأوروبي القاري**
- **الأنماط الشمولية**
- **الأنماط الموجودة في أفريقيا وآسيا**

لقد جادل المؤرخ البريطاني تريفور روبر في سلسلة محاضرات بثتها هيئة الإذاعة البريطانية عام 1963 أن أفريقيا ليس لها ماض يعتد به. يقول في ذلك «ربما في المستقبل نجد شيئاً عن الماضي الأفريقي، و لكن في الوقت الحاضر ليس هناك شئ مهم إلا تاريخ الأوروبيين في أفريقيا، و ما تبقى فهو مجرد ظلام دامس».

ولعل التعامل مع هذا الميراث الاستعلائي في التعامل مع أفريقيا هو الذي دفع الفكر السياسي الأفريقي المعاصر إلى التركيز على سؤال الهوية باعتباره محدداً للنهضة. ونستطيع أن نميز بين ثلاثة أنماط كبرى لهذا الفكر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وذلك بغض النظر عن التسلسل التاريخي في عالمي الأشخاص والأفكار.

النموذج الأول: المركزية الأفريقية المرتكزة على الوعي بالذات

ينطلق هذا النموذج الفكري من تحديد الوعي الأسود، كما تعبر عنه كتابات ستيف بيكو Steve Biko. فالوعي هنا يعبر عن الاعتزاز الجماعي وتصميم الإنسان الأسود على تحقيق ذاته. و كما يقول بلايدن « كن كما أنت لأنه إذا

تخليت عن شخصيتك فلن يتبقى شئ تقدمه للعالم». وقد ظهر مفهوم الزنوجه ليدافع عن جمال ووحدة الذات الأفريقية في مواجهة الذات الأوروبية. ونلاحظ أن المدرسة التاريخية واللغوية التي يمثلها السنغالي شيخ أنتا ديوب قد أسهمت بدور كبير في الدفاع عن أصالة التاريخ الأفريقي وتقاليده الحضارية.

ويمكن تحديد أبرز عناصر هذا النموذج الذي يعتمد على الهوية والوعي بالذات الأفريقية من خلال ثلاثة عناصر أساسية ينطوي عليها فكر بلايدن:

- **العنصر الأول هو الذات**. إذ على الرغم من تعدد أبعاد الهوية السوداء فإنها تتكامل جميعها وتتحد في ذات واحدة. وعليه فإننا يمكن أن نتحدث عن «الشخصية الأفريقية» و«الجماعية الأفريقية» ونستخدم وصف الأفريقي للتحدث عن الشعوب والتاريخ وهلم جراً.

- **العنصر الثاني هو الجذور الضاربة في أعماق التاريخ والتي ترجع إلى بداية الحياة البشرية**. فقد اهتم بلايدن بتتبع ودراسة التاريخ المصري القديم وشارك في تأسيس المدرسة الأثيوبية التي نادت بمفهوم الأصالة المسيحية الأفريقية. وعليه فإن هذه الجذور التاريخية تضفي على الذات الزنجية أصالة تنفض عنها أية مؤثرات أوروبية أو أجنبية.

- **العنصر الثالث هو الإطار المعياري**. لقد نظر بلايدين بتكوينيه الديني إلى الزنجي وتاريخه بحسبانه تعبير عن روح الله الخيرة. ولعل هذه السمة الإلهية لا تجعل مسألة حماية الهوية السوداء أمراً نظرياً وإنما واجب أخلاقي وديني.

النموذج الثاني : الحداثي:

و الذي يعبر عنه السجال الفكري الذي طرحته النخبة الأفريقية المثقفة خلال الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر وحتى سبعينيات القرن الماضي. ولكن هذا السجال الحداثي لم ينادي قط بالبعد عن الجذور الأفريقية أثناء عملية التحديث. ولا يخفى أن هذه النخبة الأفريقية على تعدد انتماءاتها الفكرية والأيديولوجية سواء من يمينية أزيكوي في نيجيريا أو يسارية كل من باديمور ونكروما فإنها نادت

بناء أفريقيا الجديدة على أيدي شبابها. ويطرح هورتون رؤيته الحداثية التي تقوم على عالمية الرؤية الإنسانية من خلال ثلاثة افتراضات كبرى.

- ضرورة تحديد إستراتيجية التنمية بهدف تحديد العوامل المؤثرة عليها.
- المساواة بين بني البشر تقتضي عدم الانشغال بقضايا الثقافة والعرف.
- أهمية الاستفادة من الخبرات السياسية للآخرين أينما كانوا.

النموذج الثالث : التحرر الوطني:

لقد انشغل الفكر السياسي الأفريقي طويلاً بقضايا التحرر الوطني والاستقلال. وهنا يمكن ملاحظة تنوع مضمون ونطاق هذا الفكر ابتداء من بادمور ووصولاً إلى نكروما وفانون وكابرال. و يقوم هذا النموذج التحرري على ثلاثة افتراضات كبرى هي:

- العالم المعاصر يعيش حالة اغتراب ينبغي التخلص منها، والرأسمالية باعتبارها نتاجاً إمبريالياً سوف تزول لا محالة.
- يوجد انقسام في هذا العالم بين الأغنياء والفقراء أو بين الدول الاستعمارية والمستعمرات المقهورة.
- إن نظام القطبية يحمل بذور فنائه حيث أن الشعوب المقهورة سوف تفرض إرادة تغييره.

وعلى الرغم من تنوعات فكر التحرر الوطني في أفريقيا فإنه كان يتفق على ضرورة التخلص من الدولة القائمة وإقامة دولة جديدة قادرة على حل كل المشكلات الاجتماعية الأساسية. ويأتي تحقيق هذه الدولة في التوجهات الوطنية وتحقيق «المملكة السياسية» التي طالب بها كوامي نكروما. على أن بعض التوجهات الراديكالية في الفكر السياسي الأفريقي والتي يعبر عنها فانون وكابرال طالبت بالعودة إلى الجذور وإحياء الهوية الأفريقية الحقيقية. لم يكن مستغرباً أن تكون لغة هذا الخطاب الفكري محملة ببعض العبارات البلاغية ذات المضمون

الأيـديولوجي الواضـح مثـل « حطمـوا القيـود» و«فـك الارتبـاط» و«الـتخلص مـن حالـة الاغتراب» وهلم جراً.

سادسا: المناظرة حول الديمقراطية

يمكن القول بأن المناظرة الأفريقية حول الديمقراطية والتي انشغل بها الفكر السـياسي الأفريقي منذ نهاية ثمانينيات القرن الماضي قـد عـبرت عـن اتجاهـات ثلاثـة أساسـية، وإن اتفقت جميعها على رفض دولة الحزب الواحد ونمط ديموقراطيته التي أثبتت عجزاً وفشلاً واضحاً. ومن الواضح كذلك أن هـذه المنـاظرة الأفريقيـة قـد تـأثرت بـالتحولات الفكريـة العولمية ونقل الاهتمام من التركيـز عـلى «الدولـة» باعتبارهـا فـاعلاَ مركزيـاً إلى الاهـتمام بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية، أي التركيز على منظـور المجتمـع. ويمكـن أن نشـير إلى كتابات الفرنسي جان فرانسوا بايار التي أثرت تأثيراً لا ينكر على توجهات الفكـر السـياسي الأفريقـي منـذ أزمـات التنميـة المستعصـية في عقـد الثمانينيـات. أضـف إلى ذلـك تنـامي الاهتمام بدراسة المجتمع المدني ودوره في تحقيق التحول الـديمقراطي. فقـد اتجـه الفكـر لمناقشة دور الاتحادات النقابية والعالمية ومنظمات الشباب والدور الذي يمكـن أن تقـوم به في تحقيق التحول الديمقراطي الأفريقي.

سجال الليبرالية الجديدة

يبدو أن هذا السجال الأفريقي قـد تـأثر بـالتحولات الدوليـة في حقبـة مـا بعـد الحـرب الباردة وفرض نموذج «توافق واشنطن» بمشروطيته السياسية التي ربطـت بـين الديمقراطيـة وتبنى سياسات التعدد الحزبي والانتخابات الحرة. ولعـل الأطروحـة الرئيسـية التـي يتبناهـا هذا الاتجـاه انطلاقـاً مـن فشـل دولـة الحـزب الواحـد هـي أن قيـام المؤسسـات السياسـية الديمقراطية هو أمر لازم لإحداث التحول الديمقراطي في أفريقيا نظراً لأن هذا النظام قد أثبت نجاحه في الغرب. وتكمن الدلالة الرمزيـة في هـذا السـجال الفكـري في صـندوق الانتخابـات، حيث ينظر إليه باعتباره جوهر النموذج الليبرالي الجديد. وعلى أية حـال فقـد هـيمن توجـه التعدد الحـزبي عـلى وثـائق المؤسسـات الدوليـة والمـنظمات الدولـة غـير الحكوميـة المعنيـة

في أفريقيا.

سجال التقليدية الجديدة

اتجه عدد من المنظرين والمفكرين الأفارقة إلى رفض نموذج الأغلبية الذي تفرضه الليبرالية الجديدة باعتباره متعارضاً مع التقاليد الثقافية الأفريقية التي تقوم على اتفاق الرأي. وهنا نجد العودة إلى تقاليد اجتماعات الشجرة على المستوى القروي والقبيلي والتي اتخذت أسماء عديدة مثل الأوجاما والبونجي والكجوتلا.

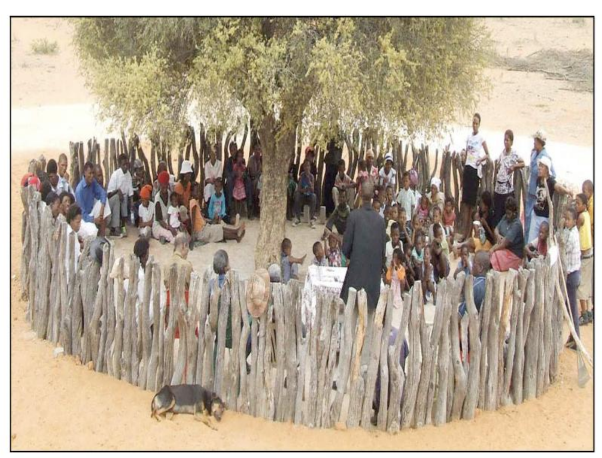
- **الكجوتلا Kgotla** : عبارة عن اجتماع عام أو محكمة عرفية، وخصوصا في قرى بوتسوانا..وعادة ما يرأس الاجتماع رئيس القرية أو كبير القوم فيها، ويتم التوصل إلى القرار دائما بتوافق الآراء. وللجميع حق إبداء الرأي دون مقاطعة من أحد. وكما يقول المثل التقليدي فإن «أعلى درجات الحرب هي الحوار». لقد مثلت مؤسسة الكجوتلا ولاتزال أحد أشكال الحكم في المجتمع التسواني. وفي السياق المعاصر ينظر إليها باعتبارها منتدى لصياغة السياسات وصنع القرار، بما في ذلك الأنشطة التنموية وتسوية النزاعات[1].

- **البونجي Mbongi**: توجد في التقاليد البانتوية الجنوب أفريقية اجتماعات تقليدية عامة يطلق عليها البونجي، أي حلقات التعلم. وهي مفتوحة للجميع لمناقشة كافة القضايا المتعلقة بمصلحة الجماعة ماديا ومعنويا.وتهدف هذه الاجتماعات للوصول إلى أفضل الآراء والتطبيقات بما يعود بالنفع على المجتمع[2].

(1)Schapera, Isaac. A Handbook of Tswana Law and Custom. [London]: F. Cass, 1970.

(2)Gallardo, Miguel E. Culturally Adaptive Counseling Skills: Demonstrations of Evidence-Based Practices. Thousand Oaks, Calif: Sage Publications, 2012.p48.

صورة تمثل نموذج ديمقراطية الشجرة في مجتمع التسوانا



**المصدر:** http://www.dailynews.gov.bw/news-details.php?nid=1634

ويلاحظ أن قضية التمثيل السياسي تختلف في نمط اتفاق الرأي عن النمط الليبرالي. فالنمط الأخير يفترض اتفاقاً على قواعد اللعبة أولاً، أي أن الاتفاق على الإجراءات والسياسات الديمقراطية يمثل ولو بطريقة غير مباشرة مصدراً لشرعية القرار حتى بالنسبة لهؤلاء الذين عارضوه. أما في نمط اتفاق الرأي فإن الأمر جد مختلف لأن المفهوم الديمقراطي يعني توافق الآراء على القرار نفسه. وينظر التقليديون الجدد في أفريقيا إلى محدودية نطاق الديمقراطية الليبرالية حيث يحاط الشأن الخاص والديني بسياج منيع يصعب اختراقه ، كما أنه لا يراعي الخصوصيات الحضارية للشعوب حينما يعبر عن فهمه وتحديده لمفهوم الديمقراطية وقواعد ممارستها. وعلى النقيض من ذلك تماماً فإن نموذج اتفاق الرأي يتسع نطاقه ليشمل كل ما يتعلق بالصالح العام

للجماعة مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الواقع الأفريقي .

سجال الديمقراطية الشعبوية

يعبر هذا السجال الأفريقي عن قراءة راديكالية لاختلافات النظام الدولي القائم بحسبان أن النظام الاقتصادي هو المحدد الأساسي للنظم السياسية والاقتصادية وعليه فلا جدوى من الحديث عن التحول الديمقراطي دون إحداث إصلاحات جذرية في بنية النظام الدولي. وهنا تأتي أطروحات سمير أمين المنطلقة من حقل الاقتصاد السياسي لتقدم حلولاً جذرية من خلال فك الارتباط مع النظام الرأسمالي. ويرى أمين أن حركات النضال الشعبي في دول الجنوب هي معادية للإمبريالية فضلاً عن كونها لا تقوم على أساس الانتماءات الأولية دينية أو طائفية أو قبلية. و لعله هنا يعيد التأكيد على المفهوم الماركسي القائل بأن الطبقة العاملة هي المعامل الموضوعي لقيام الثورة. وينتمي محمود ممداني إلى هذا السجال كذلك حيث أنه يدعو إلى تبني منظور تنموي جديد يخالف المنظور( الفوقي الدولاتي). لقد أراد الانتقال من الدول إلى ما أسماه بالمنطق الاجتماعي الذي يأخذ بعين الاعتبار كافة العوامل غير الموضوعية ومختلف أشكال التنظيمات التي عبرت عنها الحركات الشعبية في أفريقيا. وفي تحليله للحالة الأوغندية يظهر ممداني تناقضًا واضحا بين الدولة الوطنية ونموذج الحركات الاجتماعية الشعبية.

وعلى أية حال فإن نموذج النضال الشعبي هنا يقوم على عاملين رئيسيين أولهما الدولة والثاني هو القوى الشعبية التي تمثلها جماهير الطبقة الوسطى. على أن الملفت للانتباه أن منظري هذا الاتجاه أكثر اهتماماً بمتغيرات الواقع الراهن من أجل صياغة المستقبل. وعلى سبيل المثال كما يقول حلمي شعراوي أن محمود ممداني «يبدو أكثر انحيازاً للحالة الريفية أو الفلاحية مجازفاً بتجاهل حالتها التقليدية أو العرقية التي يتمسك الكثيرون بها باسم المقاومة للحداثة وليس مقاومة القهر الطبقي»[1].

(1) حلمي شعراوي، الفكر السياسي والاجتماعي في أفريقيا، القاهرة: مركز البحوث العربية والأفريقية،2010، ص 296.

سابعا: سياق الفكر السياسي الأفريقي (إطار للتحليل)

لعل من أبرز ما كتب بالعربية عن الفكر السياسي والاجتماعي الأفريقي من خلال التركيز على البعد السياقي لهذا الفكر هو ما كتبه حلمي شعراوي أحد رواد جيل الشوامخ في فكر النهضة الأفريقي. وعلى الرغم من اتساع الرؤية المعرفية للكاتب بحيث أنها شملت الجوانب الثقافية والاجتماعية ولم تقف عند حدود السياسي فقط فإنها تعبر عن حالة من التفاعل الفكري. فالرجل ساهم شخصياً في كثير من المناظرات الفكرية الأفريقية ولاسيما تلك المتعلقة بجدلية العلاقات العربية الأفريقية.

والملاحظ أن المنهج الذي اتبعه حلمي شعراوي قد جمع بين القضايا الفكرية والخطاب الفكري المرتبط بها كما ظهر في التفاعل الثقافي بين العروبة والأفريقانية أو الحديث عن المسألة السودانية. ومن جهة أخرى فقد ركز على اجتهادات المفكرين البارزين. يفرد شعراوي جزءاً كبيراً من مؤلفه لتحليل بعض الاسهامات المتميزة في الفكر السياسي والاجتماعي الأفريقي والمرتبطة بعدد من القضايا الكبرى مثل الجامعة الأفريقية وبناء الشخصية الأفريقية ودورها في عملية التحرر الوطني. لقد قدم نماذج لشخصيات تعكس من حيث المكان والزمان تنوع واتساع نطاق الفكر الأفريقي. ولعل اختيار وليم ديبوي يُظهر تأثير المكون الزنجي خارج أفريقيا على تطور حركة الوحدة الأفريقية، كما أن الحديث عن فانون وكابرال يؤكد على محورية حركة التحرر الوطني والنضال من أجل الاستقلال في بناء الشخصية الأفريقية. على أن خيارات حلمي شعراوي الأخرى مثل أرشي مافيجا وسمير أمين ومحمود ممداني وعبد الملك عودة تعكس اهتمامه الفكري وخبرته العملية الطويلة بالتفاعل العربي الأفريقي.

وعلى أية حال فإن أحد القضايا الكبرى التي تفرضها دراسة الفكر السياسي الأفريقي ترتبط بقضية التجانس والتعبير عن السياق الفكري والمجتمعي. فإذا أخذنا على سبيل المثال مفهوم الإمبريالية عند أملكار كابرال لوجدنا أنه يفضي إلى

الكساد الاقتصادي وأن الإمبريالية كنظام مستغل سوف تسقط لا محالة نتيجة تناقضاتها الداخلية. ومن ناحية أخرى فإن الفكر السياسي لكابرال يتضمن مسألة الاندماج القومي عند الاستقلال وأهمية تحقيق التنمية من خلال الحزب الجماهيري الثوري. ولاشك أن هذه كلها أفكار تضع مسألة الاتساق على المحك. وعليه فإنه يمكن اقتراح إطار تحليلي لفهم الفكر السياسي الأفريقي ولاسيما المرتبط بالنخبة الحاكمة.

**يستند هذا الإطار التحليلي على ثلاثة مكونات أساسية هي[1]:**

- **هدف الخطاب السياسي**
- **لغة الخطاب السياسي**
- **الجمهور المستهدف**

**بالنسبة للهدف:** يمثل جوهر أي خطاب سياسي لأنه يحدد طبيعة الأفكار ونوعية التعبيرات التي يستخدمها القائد السياسي. ومن جهة أخرى فإن الهدف يرتبط بالسياق العام والموقف السياسي. وعليه فإنه يستخدم ويوظف في العديد من المناسبات. وتنقسم الأهداف إلى :

- أهداف عامة مثل المطالبة بتحقيق الاستقلال الوطني قبل الاستقلال أو إدخال إصلاحات راديكالية آو الحصول على التأييد الشعبي
- أهداف ذات طبيعة تفصيلية مثل محاولة الحصول على التأييد الشعبي في سياقات مختلفة (نظام الحزب الواحد، نظام التعدد الحزبي، حكومات عسكرية، أو سياسات حكومية محددة)
- أهداف محددة مثل بناء مستشفى أو شق طريق أو ما شاكل ذلك.

**أما اللغة.** فإنه على الرغم من تبعيتها للهدف السياسي فإنها تضفي عليه مذاقاً

(1)Clapham, Christopher S. 1970. »The context of African political thought«. The Journal of Modern African Studies : a Quarterly Survey of Politics, Economics and Related Topics in Contemporary Africa. 8 (1): 1-13.

قوياً. وتعبر لغة الخطاب عن الفروق الظاهرة بين الزعماء السياسيين. وعلى سبيل المثال كان أحمد سيكوتوري، الزعيم المؤسس لغينيا يفضل ما يمكن أن نطلق عليه الاشتراكية الأفريقية، في حين أن ليوبولد سيدار سنغور في السنغال استخدم نهجاً فلسفياً خالصاً.

وعلى الرغم من أن اللغة تعبر عن المكون الأيديولوجي لفكر القائد السياسي فإنها لا تعدو أن تكون غطاءً براقاً يستبطن داخله الهدف المبتغى والذي يمكن التعبير عنه بأكثر من وسيلة.

ولعل **الجمهور** هو الذي يدفع القائد السياسي إلى التعبير عن خطابه بطرق مختلفة. فإلقاء خطاب في منظمة دولية قارية أو إقليمية بهدف حشد الدعم الدولي للتخفيف من حدة الديون على الدول الفقيرة يختلف عن مخاطبة حشد شعبي (مثل اتحاد نسائي أو جماعة عمالية أو شباب الجامعات) بهدف إقناعهم بالوقوف صفاً واحداً خلف سياسات الحكومة التي تحاول تحقيق مطالب الجماهير.



# القسم الثاني

## سياق وفكر السنكارية

# الفصل الثاني

## واقع الدولة ما بعد الاستعمارية

## 1960-1983م




**خريطة بوركينا فاسو السياسية**

مقدمة

إن فهم وتقدير التحولات الثورية التي شهدتها تجربة توماس سانكارا في بوركينا فاسو منتصف الثمانينيات من القرن الماضي تقتضي شرح وتحليل السياق الاجتماعي والسياسي الذي كانت تعيش فيه البلاد في ذلك الوقت. وتعد بوركينا

فاسو دولة حبيسة (غير ساحلية) في غرب أفريقيا، كما تتسم جغرافيتها بوجود السافانا العشبية الكثيفة في الشمال والتي تتحول تدريجياً إلى غابات متناثرة في الجنوب.

أطلق المستعمر الفرنسي على هذه الأراضي اسم «فولتا العليا»،حيث نظرت إليها سلطات الإدارة الاستعمارية بعدم اهتمام نظراً لفقرها الشديد في الموارد الطبيعية. وعليه فقد حظيت المستعمرة باهتمام محدود من حيث الاستثمارات وتنمية البنية التحتية، وقد بات الوجود الاستعماري قاصراً على العاصمة وبعض المدن الكبرى. ولعل النتيجة الأساسية هنا تتمثل في أن النخب والجماعات الرئيسية في المستعمرة لم تجد فرصة حقيقية لتطوير رؤاها حول العالم خارج إطار انتماءاتها القبلية والإثنية وذلك على عكس خبرة المستعمرات الأخرى التي أفرزت نخبا وطنية أفريقية ذات تعليم غربي.

أولا : التركيبة الإثنية والاجتماعية

تعيش على أرض بوركينا فاسو أكثر من ستين جماعة إثنية وعرقية تتحدث لغات ولهجات متباينة. واللافت للانتباه أنه على الرغم من الحروب والصراعات الأهلية التي شهدتها دول الجوار مثل ليبيريا وسيراليون وساحل العاج فإن الشعب البوركينابي لم يشهد صراعاً مجتمعياً حاداً مماثلاً[1]. ونستطيع أن نشير إلى أبرز مكونات الخريطة المجتمعية لدولة بوركينا فاسو على النحو التالي:

الموسى **Mossi**

تشكل قبائل الموسي نحو نصف السكان وهو الأمر الذي يجعلهم أكبر جماعة اثنية على الإطلاق. ويعتز الموسي دائماً بنزعتهم التحررية ورفضهم الهيمنة الخارجية،

(1) لمزيد من القراءات أنظر على سبيل المثال:

Skinner, Elliott Percival. The Mossi of Burkina Faso: Chiefs, Politicians and Soldiers. Prospect Heights, Ill: Waveland Press, 1989, Wheelock, Thomas G. B., Christopher D. Roy, and Jerry L. Thompson. Land of the Flying Masks: Art and Culture in Burkina Faso; the Thomas G.B. Wheelock Collection. Munich: Prestel, 2007 and Shoup, John A. Ethnic Groups of Africa and the Middle East: An Encyclopedia. Santa Barbara, Calif: ABC-CLIO, 2011.

وهو ما جعلهم يسيطرون على ممتلكاتهم في الإقليم الأوسط لقرون طويلة. وثقافة شعب الموسي سكونية محافظة تميل إلى الاستقرار ومقاومة التغيير.

وقد اعتنق مورو نابا دولغو الإسلام عام 1785، وهو ما أدى إلى دخول كثير من أبناء الموسى فيه بعد أن وقفوا سدا منيعا أمام انتشاره في ديارهم. وكانت السلطة في مجتمعات الموسي ذات طبيعة هيراركية مركزية وهو الأمر الذي سهل كثيراً على السلطات الاستعمارية الفرنسية التي كانت تتبنى نمط الحكم المباشر.

كانت الموسي تحكم بواسطة ملوك يطلق عليهم اسم «نابا Naba» وعلى رأس هؤلاء الملك الأعظم أو مورو نابا Moro Naba ، الذي كان يجلس على عرشه في واغادوغو ويتحكم في البلاد والعباد. على أن نظام الخلافة السياسية الذي كان يستند إلى نقل السلطة من الأخ إلى أخيه عوضاً عن مبدأ توريث الأب السلطة إلى ابنه أدى إلى صراعات كثيرة نالت من بنية واستقرار مجتمع الموسي. وعليه فقد تم اسناد كثير من الوظائف في القصر الملكي للغرباء أو العبيد المحررين نتيجة عدم الثقة في أفراد الأسرة الحاكمة. وعلى الرغم من قيام ثورة سانكارا بإلغاء الألقاب والامتيازات التقليدية فإن نفوذ الزعماء التقليدين لا يزال قائماً بشكل غير رسمي.

- الفولاني Fulani

يعرف هؤلاء بالفرنسية باسم البول Peul وهم يشكلون نحو 8٪ من إجمالي عدد السكان، وهو ما يجعلهم ثاني أكبر جماعة إثنية في البلاد. ويعد شعب الفولاني من القبائل الرعوية التي تتنقل دائماً وراء الكلأ والماء. وقد جاءت في القرن السابع عشر من شرق السنغال طلباً للرعي. وكان دخول هؤلاء للإسلام أسبق بكثير من الجماعات العرقية الأخرى حيث قاموا بتأسيس إمارات إسلامية في دوري Dori وجيبا .Djiba

وعلى الرغم من ميل الفولاني إلى حياة الاستقرار بشكل تدريجي فإن التزامهم بتربية الماشية والرعي يفوق اهتمامهم بزراعة المحاصيل الزراعية. وعادة ما تثور نزاعات حول الأرض بين الفولاني والجماعات الأخرى.

الجماعات الأخرى

تعيش جماعات الغورمانتشي في الشرق، وهم يعدون الأقرب إلى الموسي باعتبارهم من القبائل السودانية ويتبنون نظاماً اجتماعياً مشابهاً لهم. ويشكل هؤلاء نحو 6٪ من جملة السكان، وتنتشر بينهم الديانات التقليدية، كما أنهم يقطنون في أكثر المناطق فقراً وعوزاً. وتوجد جماعات البوبو Bobo في مناطق غرب البلاد، وهي تشكل كذلك نحو 7٪ من إجمالي عدد السكان.

وتشكل جماعات البيسا Bissa والسامو Samo مجتمعة نحو 6٪ من التعداد العام للسكان. وترجع أصول هذه الجماعات إلى تجمعات الماندي الكبرى التي تعيش في حوض نهر النيجر. وتشكل جماعتي الماركا والبوبو نحو 3٪ من إجمالي السكان.

أما مناطق الجنوب فتوجد بها قبائل الغورنسي Gaurounsi التي تضم العديد من الجماعات الفرعية والتي تشكل في مجموعها نحو 6٪ من السكان. وبالاتجاه إلى أقصى الجنوب توجد جماعات داجارا Dagara ولوبي Lobi، وهي تحمل عموماً اسم لوبي، ويعتقد بأنهم قدموا من غانا. وفي أقصى الجنوب الغربي توجد جماعة السينوفو Senoufouالتي تضم العديد من الجماعات الفرعية والتي تشكل في مجموعها نحو 2٪ من عدد السكان. ومن الملاحظ أنه بالاضافة لوجود قبائل الفولاني في الشمال توجد كذلك جماعات الطوارق الناطقة بلغة التماشيق وقبائل البلاBella ، وهم من العبيد المحررين لدى الطوارق.

ثانيا: السياسات الاستعمارية

قامت فرنسا باستعمار الأراضي التي كان يقطنها شعب الموسي (مثل مملكتي واغادوغو وياتينجا) والبول أو الفولاني والغرونزي والماركا واللوبي والبوبو وغيرها من الجماعات الإثنية الأخرى التي كانت تعيش بالقرب من سهول نهر النيجر. وقد عمد الفرنسيون إلى استغلال الانقسامات والصراعات العرقية بهدف الهيمنة على المنطقة. لقد كانت فرنسا بحاجة إلى مزيد من الأراضي والمواد الخام

لتطوير ودعم حصونها الساحلية على المحيط الأطلسي مثل أبيدجان وداكار وكوناكري التي سيطرت عليها في وقت سابق. ويلاحظ أن نهر النيجر قد مثل بالنسبة للسلطات الاستعمارية ممراً مائياً لربط الأقاليم الفرنسية في المناطق الداخلية لغرب أفريقيا.

ويلاحظ أن الرؤية الفرنسية للتقسيمات الإثنية في المجتمع البوركينابي اعتمدت على عدد من المعايير التصورية التي تستند إلى نمط التفاعلات الإثنية وطبيعة الأراضي التي تقطنها الجماعات المختلفة. ونظراً للتشابه بين تركيبة مجتمع الموسى البيروقراطية والإدارية والنمط الإداري الفرنسي فإن السلطات الاستعمارية أقرت بتفوق شعب الموسي، وهو ماجعلها تعطي الأولوية للسيطرة على القبائل والجماعات الإثنية الأخرى قبل أن تعود وتهيمن على ممالك الموسي[1].

وبالرغم من مقاومة السكان المحليين للسيطرة الفرنسية وتغيير اسم أراضيهم إلى فولتا العليا فإن فرنسا قامت بتقسيم هذه الأراضي إدارياً وفقاً لنمط الادارة المباشرة إلى نظام الدوائر دون أدنى اعتبار للحدود السياسية التقليدية التي كانت تفصل بين الجماعات الإثنية الكبرى. لقد قامت فرنسا ببناء المدارس والإرساليات والطرق ونقلت الأفراد والموارد إلى خارج إقليم فولتا العليا. وعليه فقد كانت المستعمرات الأخرى مثل مالي وساحل العاج المستفيد الأكبر من الأيدي العاملة والموارد القادمة من فولتا العليا، وهو الأمر الذي أسهم في سرعة تنمية هذه المستعمرات[2].

(1) وقع الفرنسيون اتفاقية حماية مع ملوك الموسي عام 1896 ، وهي الاتفاقية التي مكنتهم من العودة لوضع المنطقة تحت سيطرتهم. انظر محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، مجلد 15، بيروت، دمشق ،عمان، 1997، ص 149.

(2) يمكن القول أن التاريخ الاستعماري لفولتا العليا ينقسم إلى عدة مراحل شهدت تقسيما لأراضيها تارة وإعادة توحيدها تارة أخرى. ففي الفترة ما بين عامي 1896و1904 خضعت فولتا العليا للحكم العسكري الفرنسي ثم تم إلحاقها بمستعمرة السنغال العليا والنيجر حتى عام 1919. =

ونتيجة لسياسات الإدارة الاستعمارية القاسية مثل دفع الضرائب والاستيلاء على الأراضي عنوة وفرض أعمال السخرة على السكان شهدت فولتا العليا بعض أعمال الاحتجاج والتمرد المسلح مثلما حدث مع شعب الموسي عام 1908. على أن نجاح السلطات الاستعمارية في قمع هذه الحركات الاحتجاجية أدى إلى فرض الهيمنة الفرنسية. وخلال الفترة من 1919 وحتى عام 1932 حملت فولتا العليا لقب المستعمرة الفرنسية. ويبدو أن هذه الخطوة الفرنسية كانت محكومة باعتبارات اقتصادية بالأساس حيث كان الفرنسيون بحاجة إلى الأيدي العاملة، ولاسيما من قبل شعب الموسي وذلك من أجل استخدامها في المناجم وبناء شبكات السكك الحديدية.

لقد أدت هذه السياسة الاستعمارية الفرنسية إلى خلق ظاهرة العمالة المهاجرة بما تحمله من آثار سلبية على النسيج الاجتماعي للمجتمعات التي تعيش فيها. وعلى سبيل المثال في عام 1922 أرسل آلاف العمال من فولتا العليا إلى كل من ساحل العاج ومالي للمشاركة في بناء السكك الحديدية في هاتين المستعمرتين. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية حصلت مستعمرة فولتا العليا كسائر المستعمرات الفرنسية الأخرى في أفريقيا على بعض الحقوق السياسية. وبالفعل ظهرت تنظيمات وأحزاب سياسية متعددة في مستعمرة فولتا العليا حيث كان الجميع يتنافس للفوز بمقاعد الجمعية التأسيسية لاتحاد غرب أفريقيا الفرنسية، ولعل اللافت للانتباه أن خبرة ما قبل الاستقلال في فولتا العليا أظهرت انقساماً

=بعدئذ أضحت المنطقة تعرف باسم فولتا العليا تحت إدارة الحاكم الفرنسي العام لغرب أفريقيا حتى عام 1932 حينما تم تقسيمها مرة أخرى. لقد تم توزيع أراضي فولتا العليا على مستعمرات ساحل العاج والنيجر والسودان الغربي. ولا شك أن عملية الفك والتركيب تلك التي تعرضت لها فولتا العليا إنما كانت تستهدف تسهيل حركة العمال صوب المزارع الساحلية ولتنفيذ خطط الري في حوض نهر النيجر. وقد عارض شعب الموسي هذه السياسة الاستعمارية التي أدت إلى تقسيم مملكتهم وتوزيعها على المستعمرات المجاورة. ومن المعلوم أن الحكم الاستعماري قد نال من سلطات زعماء الموسي التقليدية وأدى في نهاية المطاف إلى تراجعها بفعل سياسة التقسيم تارة وسياسة الحكم المباشر تارة أخرى.

سياسياً بين القوى والتنظيمات السياسية، وهو ما يعني عدم بروز زعيم وطني يحظي بشعبية كبيرة كما كان الحال عليه في ساحل العاج تحت زعامة هوفي بوانيه. وعلى أية حال فإن فرنسا اضطرت في نهاية المطاف إلى الإقرار باستقلال فولتا العليا في عام 1960 [1].

ثالثا: سياسات ما بعد الاستقلال

على الرغم من أن فرنسا قامت بإعطاء الحكم الذاتي لفولتا العليا عام 1953 ثم قامت تدريجياً بوضعها على عتبة الاستقلال الرسمي عام 1960 فإنها ظلت مهيمنة علي المشهد السياسي في فولتا العليا من خلال مجموعة محدودة من الطبقة البرجوازية الكمبرادورية التي تتألف من ضباط الجيش الفاسدين وكبار العاملين في جهاز الدولة والحركات العمالية والنقابية. وقد أضحت ثقافة تغيير السلطة في ظل هذا الوضع النيوكولونيالي الذي شهدته فولتا العليا برعاية فرنسية تعتمد على ضباط الجيش الذين انشغلوا بالتدخل في الحياة السياسية فأضحوا يطيحون ببعضهم البعض عن طريق الانقلابات المضادة. لم يكن بمستغرب أن تنتهي السياسات الراديكالية التي طبقها توماس سانكارا بنفس الطريقة التي جاء بها، وهي الانقلاب العسكري.

وعليه فإن فهم وضعية العلاقات المدنية العسكرية في سياق التطور السياسي والاجتماعي لفولتا العليا بعد الاستقلال يعد أمراً لازماً لشرح وتفسير فشل عملية التغيير الثوري في عهد سانكارا.

في انتخابات ديسمبر1960 تمكن مرشح حزب اتحاد فولتا الديموقراطي، موريس ياميوغو من الفوز بالأغلبية ليصبح أول رئيس للبلاد بعد

(1) بعد التصويت على دستور ديجول عام 1958 أضحت فولتا العليا جزءا من الرابطة الفرنسية. وفي مارس 1959 انتخبت الجمعية التشريعية في فولتا العليا موريس ياميوغو ليصبح رئيسا للدولة المستقلة. أنظر المرجع السابق

استقلالها[1].وقد اعتمد الدستور الجديد برلماناً من غرفة واحدة، وإن ظل التعدد الحزبي ترفاً لا تستطيع البلاد تحمله. وعليه فقد أعلن في فبراير 1962 أن فولتا العليا دولة حزب واحد، حيث أصبح حزب اتحاد فولتا الديموقراطي هو الحزب الشرعي الوحيد في البلاد، وهو الذي يعلو كافة المؤسسات الوطنية في الدولة.

سعى ياميوغو إلى تأسيس سلالة حاكمة تحت زعامته، حيث تخلص من معارضيه وتجاوز الدستور، وأضحت المناصب الحكومية الكبرى مثل رئيس الوزراء ورئيس الأركان في الجيش ووزارة الخارجية بأيدي أشقائه وأبناء عمومته. وعلى الرغم من حياة الترف والبذخ التي اتسم بها نظام حكمه فإنه انتهج سياسات تقشفية قاسية، الأمر الذي أدى إلى أعمال احتجاجية كبرى من قبل الحركات العمالية والنقابية في البلاد. لقد كانت هذه الاضطرابات كافية لاستدعاء الجيش من أجل التدخل والاستجابة لمطالب الجماهير بالإطاحة بدكتاتورية أول رئيس منتخب للبلاد. وبالفعل في مساء 3 يناير 1966 استجاب العقيد سانغوليي لاميزانا لنداء الجماهير وقام بعزل الرئيس ووضعه قيد الإقامة الجبرية ليصبح بذلك أول رئيس عسكري للبلاد بعد الاستقلال، وليمهد الطريق أمام سلسلة من الانقلابات والانقلابات المضادة التي صاغت المشهد السياسي لفولتا العليا في مرحلة ما بعد الاستقلال[2].

(1) ولد نوالاغمبا ياميوغو في 21 ديسمبر 1921 بمقاطعة كودوغو. والطريف أن اسمه الأول يعني «الرجل الموحد»، وهو ما استخدمه لفرض نظام الحزب الواحد في البلاد. وقد تم تعميده في سن الثامنة حيث حمل اسم «موريس». وقد تلقى تعليمه في ارسالية كاثوليكية بمدنية بابري وقد عمل بعد انهاء تعليمه الرسمي في الادارة الاستعمارية. وسرعان ما تحول إلى النشاط السياسي وتم تعيينه في وظيفة قنصل عام في الجمعية الإقليمية لمقاطعتة عام 1946، وظل في هذا المنصب حتى عام 1958 حينما أصبح شخصية سياسية بارزة في اتحاد فولتا الديموقراطي (الذي يضم الرعيل الأول من النخبة السياسية في فولتا العليا).

(2) استقال الرئيس ياميوغو رسمياً في 4 يناير 1966 ومنع من ممارسة النشاط السياسي كما حكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات.

## جدول رقم (1)

عسكرة السياسة في بوركينا فاسو

| شهدت بوركينا فاسو منذ الاستقلال 1960 سبعة انقلابات عسكرية . وقد مثل إعادة انتخاب الرئيس بليز كومباوري عام 1998 حدثا مهما لأنه يعد أول رئيس يكمل مدته دون الإطاحة به من السلطة. بيد أن محاولاته بعد ذلك تعديل الدستور من أجل الترشح لولاية أخرى إلى إثارة احتجاجات شعبية عارمة في واغادوغو نهاية أكتوبر 2014 أجبرته على الاستقالة في مشهد يعيد إلى الأذهان ثورة 25 يناير المصرية التي أطاحت بنظام الرئيس حسني مبارك.سرعان ما أعلن قائد الجيش الجنرال تراوري أنه رئيس الدولة بعد استقالة كومباوري وحل البرلمان وتعطيل الدستور. ويبدو أن الجيش قد تبين لاحقا عدم ملاءمة جنرال معروف بارتباطه بالنظام القديم لتقدمه في حلة ثورية فإذا به يساند العقيد إسحاق زيدا، وهو من الحرس الجمهوري وغير معروف إعلاميا ليصبح الرئيس الانتقالي. بيد أنه تحت الضغوط الدولية والأفريقية تم تسليم السلطة لرئيس مدني هو الدبلوماسي المخضرم ميشال كافاندو. |
|---|
| **جدول زمني بأهم التطورات السياسية** |
| • **الاستقلال:** 5 أغسطس 1960.<br>• **الجمهورية الأولى:** 1960-1966 .«موريس ياميوغو» رئيس حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي، يتولى الرئاسة في فولتا العليا.<br>• **انقلاب عسكري:** 3 يناير 1966 «سانجولي لاميزانا» يصبح رئيسًا للدولة بعد استيلاء الجيش على السلطة.<br>• **الجمهورية الثانية:** 1971-1974 يظل لاميزانا رئيسا في حين يتولى جيرالد كانغو يودرياغو رئاسة الوزراء بعد فوز حزبه في الانتخابات العامة. |

- **انقلاب عسكري**: 8 فبراير 1974 أدى الانقسام داخل الحزب الحاكم إلى إقالة الحكومة وتعليق العمل السياسي وعودة العسكر إلى الحكم مرة أخرى.
- **الجمهورية الثالثة**: 1978 – 1980 عودة لاميزانا رئيسا بعد انتخابه في جولة الاعادة.
- **انقلاب عسكري**: 25 نوفمبر 1980 العقيد «ساي زيربو» يتمكن من الإطاحة بالرئيس «لاميزانا» في أعقاب احتجاجات شعبية كبرى.
- **انقلاب عسكري**: 7 نوفمبر 1982 وجود أزمة حادة في اللجنة العسكرية للاصلاح من أجل التقدم الوطني مما أدى إلى الانقسام والمواجهة، انتهى الأمر بانقلاب جاء بالرائد طبيب «جان- بابتست أويدراوغو» ليتقلد مهام الرئاسة.
- **انقلاب عسكري**: 4 أغسطس 1983 «المجلس الوطني للثورة» يتولى السلطة ويصبح توماس سانكارا رئيسا.
- **تغيير اسم الدولة**: 4 أغسطس 1984 لتصبح بوركينا فاسو
- **انقلاب عسكري**: 15 أكتوبر 1987 يفضي إلى اغتيال سانكارا ويصبح على أثره بليز كومباوري رئيسا.
- **الجمهورية الرابعة**: 2 يونيو 1991 استفتاء شعبي وإقرار الدستور حيث أضحت بوركينا فاسو دولة تعددية.
- **انتخابات تعددية**: 1 ديسمبر 1991 وفوز كومباوري لمدة رئاسية تبلغ سبع سنوات.
- **انتخابات تعددية**: 11 مايو 1998 وفوز كومباوري لمدة رئاسية تبلغ سبع سنوات.
- **انتخابات تعددية**: 1 نوفمبر 2005 وفوز كومباوري لمدة رئاسية تبلغ خمس سنوات.

- **انتخابات تعددية:** 21 نوفمبر 2010 وفوز كومباوري لمدة رئاسية تبلغ خمس سنوات.
- **انتفاضة شعبية:** أكتوبر 2014 ضد محاولات كومباوري تعديل الدستور وهو ما أدى إلى إجباره على الاستقالة.
- **انقلاب عسكرى:** 30 أكتوبر الجيش يعلن الاستيلاء على السلطة في أعقاب استقالة وفرار كومباوري.
- **عودة الحكم المدني:** نوفمبر 2014 تعيين ميشال كافاندو رئيسا انتقاليا[1].

**ويمكن تحديد الملامح العامة لفترة حكم الجنرال لاميزانيا والتي استمرت لنحو أربعة عشر عاماً على النحو التالي:**

-ظلت فولتا العليا تحت الحكم العسكري الخالص حتى عام 1969 وذلك من خلال فرض أحكام الطوارئ وانتقاء بعض المدنيين الذين يقبلون التعاون مع النخبة العسكرية.

-وفي مسعى من الرئيس لاميزانا نحو «مدينة» حكمه العسكري قام أوائل عام 1971 بتعيين أحد الساسة البارزين وهو جيرالد يودراوغو في منصب رئيس الوزراء.

-وفي أعقاب سلسلة من الصراعات بين الحكومة والمعارضة أعلن لاميزانا عودة الحكم العسكري مرة أخرى في فبراير 1974. فقد تم إقالة الحكومة وتشكيل مجلس حاكم يعينه الرئيس.

-في أكتوبر 1977 تم السماح بعودة الأحزاب السياسية، وفي الشهر التالي تم إقرار دستور جديد للتمهيد لعودة الحكم المدني. وفي مايو 1978 أعيد انتخاب لاميزانا رئيساً.

(1) المصدر : من إعداد المؤلف.

رابعا: توماس سانكارا :السيرة والتطور الفكرى

ولد توماس إيزيدور نويل سانكارا في 21 ديسمبر 1949، في بلدة ياقو في شمال بوركينا فاسو. وهو ينتمي إلى جماعة السلمي موسي التي تعد الأقل تميزا بين شعوب إثنية الموسي.ولعل ذلك في حد ذاته يعبر عن أحد العوامل المؤثرة في تشكيل وعيه الطبقى ورفضه بعد ذلك لكافة الامتيازات التقليدية الموروثة.أكمل دراسته الابتدائية في غاوا ،أما دراسته الثانوية فقد أكملها في بوبو ديولاسو ثاني أكبر مدينة بعد العاصمة واغادوغو. وقد حارب والده في صفوف الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الثانية وتم اعتقاله من قبل قوات النازي. والطريف أن أسرة سانكارا كانت ترغب في أن يصبح ابنها راهبا كاثوليكيا. ونظرا لوجود الإسلام بكثافة في التفاعلات اليومية في بلاده فقد كان سانكارا على دراية كافية بالقرآن[1].

لقد روى بنفسه بعض تجاربه الشخصية خلال نهاية الفترة الاستعمارية في مدينة غاوا جنوب شرق البلاد. كان مدير المدرسة الابتدائية رجلا أوروبيا متعجرفا. يتذكر سانكارا أيام طفولته الأولى والتي عاني خلالها مرارة التمييزالسلبي والحرمان. كان يتطلع دائما بشوق طفولي إلى ركوب الدراجة الهوائية التي كانت بحوزة أطفال المدير، ولم يكن يُسمح لأي من أطفال الحي الاقتراب منها . كان جميع الأطفال يحلمون دوما بركوب هذه الدراجة. يسترجع سانكارا هذه الذكريات بقوله: «كنا لا نمل التفكير فيها . رسمنا لها الصور في مخيالنا. حاولنا التغلب على هذا الشوق الذي يجري في عروقنا دون جدوى. فعلنا كل شيء تقريبا في محاولة لإقناعهم بإعارة الدراجة لنا. فإذا أراد أطفال المدير بناء القلاع الرملية ذهبنا على الفور وأحضرنا الرمال لهم.. وفي يوم من

(1) تذكر بعض الروايات أن والده كان مسلما ثم تحول إلى المسيحية أثناء التحاقه بالجيش الفرنسي، ويعتنق معظم أفراد عائلة (سانكارا) الاسلام . أما والدته فهي مارجريت كندا من قبائل الموسي. وبعد عودة الأب من فرنسا استعاد اسم سانكارا مرة أخرى حيث أنه تحت ضغط أحد الزعماء التقليدين كان قد غير اسمه ليصبح يودراوغو. أنظر:

Ernest Harsch, Thomas sankara Prominent African Leaders since Independence. [S.l.]: New Africa Press, 2013.p.295

الأيام، أدركت أن كل جهودنا ذهبت سُدى. أمسكت الدراجة وقلت لنفسي : إنه لأمر سيئ للغاية، سوف أجرب بنفسي هذه المتعة مهما كانت العواقب».

ومن جراء هذا التصرف الطفولي، تم اعتقال والد سنكارا وطرد سانكارا نفسه من المدرسة. هذه الحادثة المؤلمة التي جسدت واقع الظلم وعدم المساواة في العهد الاستعماري أسهمت في تشكيل وعي سانكارا وصياغة رؤيته العالمية في وقت مبكر من حياته. وقد تكرر الأمر مرة أخرى عندما قامت أخت سانكارا بقذف الفواكه البرية بالحجارة فسقطت إحداها على منزل المدير، عندئذ اعتقل والد سانكارا جراء فعلة ابنته. يقول سانكارا بعد سنوات من هذه الحادثة :« إن سقوط الحجارة أرق زوجة المدير وأيقظها من نومها. لقد حاولت بعد تناول وجبة شهية طازجة أخذ سِنة من النوم ولكن أصوات الحجارة أزعجتها. ومع ذلك أردنا نحن أن نأكل».

هذا الالتقاء بنظام القهر والتفاعل معه والذي ترتب عليه اعتقال الوالد ،كان يُعزى في جوهره إلى رغبة أبنائه في الحصول على الطعام، يعبرعن المراحل الأولى المبكرة التي شكلت وعي سانكارا السياسي. لقد كان سانكارا منزعجا للغاية بسبب وجود فجوة كبرى في المجتمع بين هؤلاء الذين يعيشون في ترف نسبي، حيث يصبح شغلهم الشاغل هو الحصول على أدوات الترفيه، وبين أولئك الذين يعيشون في حالة من عدم اليقين، حيث يصبح البحث عن الطعام هو همهم الأكبر. إن النضال من أجل الكرامة والتمكين أصبح في موقع القلب من مشروع سانكار السياسي.

قرر توماس سانكارا أن يكمل تعليمه في مدرسة الليسيه الثانوية حيث كانت فترة دراسته نقطة تحول فاصلة في حياته. فقد خرج عن وصاية والده وأهله حيث كانت المدرسة تقع في مدينة بوبو دياولاسو التجارية. وكان يحلو للفتى سانكارا أن يجوب شوارع المدينة وأزقتها راكبا دراجته. تستغرق رحلته ساعات طوال وهو لايبالي. هناك تعرف على أصدقائه المقربين مثل فديلي توي وسوماني توري.

وعندما أنشأ الجنرال لاميزانا الأكاديمية العسكرية في واغادوغو قرر توماس سانكارا الالتحاق بها حيث كانت المؤسسة العسكرية تحظى باحترام ومكانة كبيرة في مجتمع فولتا العليا. وقد نظر بعض المثقفين إليها بحسبانها مؤسسة وطنية يمكن أن تواجه فساد البيروقراطية المدنية وهيمنة الزعماء التقليديين. وعندما التحق توماس بالأكاديمية عام 1966 كان فتى يافعا في السابعة عشرة من عمره. وكان هدف الأكاديمية هو تدريب جيل جديد من الضباط الوطنيين للعمل بالجيش.

ولعل النقطة الجديرة بالاهتمام هنا هي أن الأكاديمية كانت تتعاقد مع بعض الأساتذة المدنيين لتدريس العلوم الاجتماعية والإنسانية. وعلى سبيل المثال فإن المدير الأكاديمي آداما توري الذي درس التاريخ والجغرافيا ،كان في حقيقة أمره مثقفا يساريا . كان توري يقوم بدعوة مجموعة من طلابه النابهين ومن بينهم سانكارا للمشاركة في جلسات نقاش وعصف ذهني غير رسمية ، أي خارج قاعات الدرس. ومن خلال هذه الدروس والحوارات ازداد وعي سانكارا بالأفكار والآراء المتعلقة بالاستعمار والإمبريالية والاشتراكية والثورات وحركات التحرر الوطني في أفريقيا وآسيا وما إلى ذلك من موضوعات.

بالإضافة إلى هذه الأنشطة العلمية والمعرفية سواء داخل الصف الدراسي أو خارجه اهتم سانكارا بتوسيع دائرة معارفه في العاصمة واغادوغو ، كما أنه مارس هواياته في عزف الموسيقى حيث كان مولعا بآلة الجيتار. وبعد مرور ثلاث سنوات أكمل سانكارا دراسته في الأكاديمية العسكرية في واغادوغو وكان واحدا من اثنين فقط من الخريجين تم اختيارهما لحضور دورة تدريبية في مدغشقر.وقد تميزت فترة تدريبه في الأكاديمية العسكرية بأنتسيرابي Antsirabe بالثراء الشديد حيث درس العلوم العسكرية وغير العسكرية ، وهو ما دفعه للاهتمام بالعلوم الزراعية ولا سيما طرائق زيادة الإنتاج الزراعي. وكانت الأكاديمية تتميز كذلك بوجود وحدات غير مقاتلة تخصص للخدمة العامة ( يطلق على أفرادها أصحاب

الباريهات الخضراء) والتي ركزت على الأنشطة التنموية. ولعل ذلك هو ما دفع سانكارا إلى أن يطلب تمديد بعثته لعام آخر للعمل مع وحدات الأكاديمية المختلفة.

استغل سانكارا فترة وجوده في مدغشقر لتحسين لغته الفرنسية فكان شغوفا باستخدام الكلمات والتراكيب اللغوية بأسوب بلاغي لا يخلو من الفكاهة، وهو ما جعله يحسن الخطابة وفن الإلقاء. ونظرا لمهارته اللغوية والأدبية تم اختياره محررا لنشرة الأكاديمية الإخبارية. كما استفاد سانكارا أيضا من بعض الكتاب الماركسيين وكتاب التنمية الفرنسيين من ذوي النزعة الاشتراكية أمثال رينيه ديمون Rene Dumont . بيد أن سانكارا لم يقتصر على القراءة والكتب فقط في تنمية وعيه الثوري حيث أنه شهد الاحتجاجات الشعبية العارمة التي واجهت حكومة فلبرت تسيرانانا، وقد انتهت هذه الانتفاضة الشعبية بتدخل مجموعة من الضباط الراديكاليين واستولوا على السلطة في مدغشقر. وقد سافر سانكارا إلى عاصمة مدغشقر بصحبة أحد أصدقائه من مالي لمقابلة الكابتن ديديه راتسيراكا ، (أحد زعماء الإنقلاب والذي تولى منصب الرئاسة فيما بعد).، وقد نجحا بالفعل في لقائه بعضاً من الوقت.

بعد عودة سانكارا إلى بلاده عام 1973 كان مؤهلاً لتولى وظائف قياديه. وبالفعل حصل على أول وظيفة له وهو ملازم في الرابعة والعشرين من عمره، حيث أُسندت إليه مهمة تدريب المجندين في بوبو دياولاسو. وقد حاول سانكارا تطبيق رؤيته الجديدة في التدريب حيث طوع مناهج التدريب القائمة وقام بإضافة مقررات غير عسكرية، بالإضافة إلى إدخال النشاط الرياضي، أي أنه حاول الاستفادة عمليا من تجربة مدغشقر. بيد أن هذه التجربة لم تستمر طويلا حيث نُقل في مارس 1974 إلى وحدة المهندسين التابعة للجيش في واغادوغو. وقد فرضت عليه طبيعة عمله الجديدة أن يطوف البلاد طولا وعرضا لمراقبة الطرق والمباني ومشروعات البنية الأساسية. ولكنه رأى كذلك بعض الممارسات الفاسدة

لضباط الجيش الذين اختلسوا الأموال العامة واستغلوا مراكزهم لتحقيق العديد من المزايا لهم ولأقاربهم. لم يكن سانكارا يخشى قول الحق حيث كان مندفعا لا يحسب لقوله حساب طالما أنه يعتبره صواباً، فانتقد وزير النقل رغم كونه ابن زعيم قبلي كبير. ولعل ذلك كله هو ما لفت إليه أنظار رؤسائه وحتى مرؤوسيه. وقد شارك سانكارا في عام 1974 في الحرب التي نشبت بين بلاده ومالي بسبب نزاعات حدودية . وقد اكتسب سمعة طيبة خلال هذه الحرب بسبب شجاعته وذكائه العسكري.

كان سانكارا يشعر بالأسى لنشوب هذه الحرب حيث أنها تعبر عن سوء إدارة من قبل بلدين أفريقيين بينهما تراث وروابط مشتركة ورغم ذلك حملا السلاح بسبب الحدود المصطنعة التي رسمها الاستعمار. لقد كان أثر هذه الحرب عظيما على تطور فكر ووعي سانكارا السياسي فقد شعر بمدى رجعية وأنانية قيادة الجيش التي حاولت اثراء نفسها بشتى الوسائل بغض النظر عن مصلحة وتطلعات الجماهير أو مهنية وكفاءة الجيش . وعليه فقد تم انقاذ جيش فولتا العليا من هزيمة محققة من قبل جيش مالي بفضل تدخل بعض الوسطاء الأفارقة في أوائل عام 1975.

لعل السؤال الأهم هنا يتمثل في مقدمات التحول الشعبوي في المشهد السياسي في بوركينا فاسو أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، إذ امتلك العسكريون دائما ناصية التغيير والتحكم في عملية الخلافة السياسية.

منذ عام 1974 أصبح الكابتن سانكارا محط أنظار المؤسسة العسكرية فهو يعبر عن مزاج جديد بين صغارالضباط والجنود في الجيش الذي اتسم بدرجة عالية من التعليم والمحافظة والنخبوية. في «بو » على الحدود مع غانا، (والتي أصبحت في وقت لاحق بعد تسع سنوات الحامية التي انطلق منها الكابتن بليز كومباوري في 4 أغسطس لتدشين الانقلاب الذي أتي بسانكارا إلى السلطة)، نظم الكابتن سانكارا وحدة كوماندوز تحت قيادته بطريقة جديدة. فقد قام بتشجيع الجنود على الاندماج مع

المدنيين - كانوا يعملون معا، شكلوا أوركسترا مشتركة، ومارسوا ألعابا رياضية مشتركة. وقد انتشرت الآراء الثورية بسرعة غير متوقعة وسرت بين صفوف الجيش سريان النار في الهشيم. لم تتوقف الإجتماعات والمنشورات ومناقشة الأفكار وتجارب الدول الأخرى التقدمية طيلة فترة حكم لاميزانا.

ابتداء من عام 1975 بات واضحا أن سانكارا وحفنة من الضباط الآخرين، ولا سيما كومباوري و زونغوولينجاني، كانوا على اتصال مع اليساريين المدنيين. وكانت القوى اليسارية المدنية تنتظم في شكل مجموعات صغيرة : حزب الاستقلال الأفريقي (PAI) واتحاد النضال الشيوعي(ULC) ،والحزب الشيوعي الثوري الفولتاوي. حرص سانكارا ورفاقه على حضور الاجتماعات والمؤتمرات الحزبية والاتحادات والجماعات الطلابية. وكان لافتا أنهم يحضرون بملابسهم المدنية. ولعل هذه الفترة هي التي تمثل أساس التحالف الثوري المدني / العسكري الذي تولى السلطة في أغسطس 1983. ولكن في الوقت نفسه ظهرت بوادر التوتر والانشقاق في صفوف اليسار المدني ، وهو ما توضحة حالة كل من وزيري الإعلام والخارجية في حكومة سانكارا الأولى: أداما توري وأربا ديالو .

في الخامس والعشرين من نوفمبر عام 1980 قامت مجموعة من ضباط الجيش الساخطين بقيادة العقيد ساي زيربو بالإطاحة بنظام سانجويلي لاميزانا الذي كان يعاني من تفشي الفساد ولا يحظى بأي دعم شعبي عام. ومن المعروف أن لاميزانا نفسه قد جاء إلى السلطة عن طريق الانقلاب على أول رئيس مدني في البلاد ، موريس ياميوغو، في يناير 1966[1].

---

(1) كان الانقلاب الأول الذي شهدته فولتا العليا (بوركينا فاسو حاليا) عام 1966 تتويجا لفترة من الاضطرابات الشعبية العارمة . فقد تدخل الجيش استجابة لمطالب الجماهير الغاضبة وأجبر الرئيس موريس ياميوغو على الاستقالة ، وعين بدلا عنه وهو العميد سانجويلي لاميزانا . ويعد انقلاب عام 1966 بداية سلسلة طويلة من الانقلابات والمحاولات الانقلابية التي شهدتها بوركينا فاسو التي عاشت نحو نصف قرن تحت الحكم العسكري.

لقد تألفت المجموعة العسكرية الانقلابية من تحالف واسع فضفاض يضم أطيافا فكرية قومية واصلاحية متباينة. بيد أن هيكل الحكم ارتكز على اللجنة العسكرية للإصلاح والتقدم الوطني. وبالفعل أعلنت هذه اللجنة العسكرية عن نيتها إجراء تغيرات راديكالية في بنية الحكم والمجتمع واحداث قطيعة مع الممارسات والسياسات السابقة. ومع ذلك، فإنه نتيجة لسلسلة من القيود غير المحسوبة على الحريات المدنية مثل تقييد حق العمال في الإضراب وحظر جميع الأحزاب السياسية، وجدت اللجنة العسكرية الحاكمة نفسها في صراع مباشر مع التنظيمات النقابية التي تمثل القوة السياسية الأبرز في بوركينا فاسو.

وخلال فترة حكم ساي زيربو القمعية لم تكن جماعة سانكارا داخل الجيش على استعداد بعد لإظهار قوتها. وعوضا عن ذلك قبل سانكارا بعد تردد شديد بمنصب وزاري في الحكومة لمدة سبعة أشهر فقط كان يعرف خلالها باسم الوزير« السراب». تولى سانكارا في 13 سبتمبر 1981 أول منصب سياسي له كوزير للإعلام .لم يكن يظهر على التلفزيون أو الإذاعة أو يعطى بيانات صحفية أو حتى تتم الإشارة إليه إعلاميا. ومع ذلك فقد أدخل إصلاحات جوهرية على المؤسسة الصحفية وأرسى قواعد المهنية والاستقلال حيث شجع الصحفيين على ممارسة النقد. كما تم تقديم برامج سياسية للراديو والتلفزيون. وفي تلك الفترة كان سانكارا قد خلق لنفسه سمعة طيبة واكتسب قلوب وعقول الجماهير سواء خلال فترة الحرب مع مالي أو من خلال ممارساته وهو في الحكومة ، فقد رأي سكان واغادوغو لأول مرة وزيرا حكوميا يذهب إلى عمله راكبا دراجته . وفي آخر يوم له في منصبه الوزاري أوائل عام 1981 عقد سانكارا مؤتمرا صحافيا متلفزا انتقد فيه النظام الحاكم وممارساته انتقادا حادا وأعلن استقالته. كان رد النظام هو إبعاده عن العاصمة واسناد منصب هامشي له في أحد المقاطعات البعيدة وهو الأمر الذي حدث كذلك مع رفاقه المقربين.

لقد كان التوتر والغليان السياسي هو عنوان المشهد السياسي في فولتا العليا طوال 1982. كما أن الفرنسيين الذين كانوا متورطين في الشأن الداخلي

لمستعمراتهم السابقة بدؤوا في البحث عن بديل لنظام العقيد زيربو. لم يعد القمع الحكومي بقادر على احتواء الموقف المتدهور. وفي هذه اللحظة فكرت مجموعة سانكارا في البديل الانقلابي كوسيلة للتغيير. بيد أن أحد الاتجاهات داخل المجموعة حذرت من ذلك دون وجود وثيقة للتوجه السياسي حتى لايصبح التغيير مجرد تغيير في شكل من يتولى الحكم. كان الاتصال بين المجموعة ليس سهلا بسبب تباعد معسكراتهم. وبعد اتصال كل من كومباوري وسانكارا قررا الوقوف وراء انقلاب 7 نوفمبر 1982. وكان ساي زيربو قد فقد مصداقيته تماما حتى أن حراسه لم يدافعوا عنه واستسلموا طوعا للانقلابيين. لم تكن وجهة الانقلاب واضحة وتم إعلان بيان مقتضب من خلال الراديو مفاده: أن «مجلس سلامة الشعب» قد استولى على السلطة. بيد أن أحداً لا يعلم طبيعة وتشكيلة هذا المجلس على وجه اليقين. وقد استقر الرأي على أن يتولى جان بابتيست يدراوغو منصب الرئيس. وتألف المجلس العسكري الحاكم من 120 عسكريا كان من بينهم أبرز أعضاء مجموعة سانكارا حيث تولى جان باتيست لينجاري سكرتارية المجلس.

كان المجلس مترددا وضعيفا وهو ما أدى إلى فترة من الغموض السياسي. هذه الوضعية دفعت بالرئيس يدراوغو أن يطلب من سانكار في 11 يناير 1983 أي بعد شهرين، من نجاح الانقلاب تولي منصب رئيس الوزراء. وقد أعلن سانكارا في خطاب قبول المنصب لأول مرة آراءه الثورية علنا والتي تدعو إلى إحداث قطيعة مع الماضي. كان بيان سانكارا يعد الأكثر وضوحا وتعبيرا عن التوجه الأيديولوجي للنظام الجديد. لقد بدا واضحا وكأنه يردد مقولات أميلكار كابرال والتوجهات الثورية الأفريقية. لقد استنكر «السلطة الاستبدادية والديكتاتورية» لنظام ساي زيربو وأعلن أن مجلس سلامة الشعب قد استولى على السلطة بهدف:«تخليص البلاد من علاقات التبعية والاستغلال المذلة ولإعطاء الشعب الثقة في قدراته الذاتية لتغيير ظروفه. .. ولتوفير الغذاء ومياه الشرب النظيفة، والملابس والمساكن والمدارس والصحة للناس».

في هذه الفترة المضطربة توطدت العلاقات بين قوى اليسار في الجيش والمجموعة التقدمية المدنية ، وخاصة في النقابات وبين الطلاب. ومع ذلك يبدو أن أعضاء قياديين في «العصبة الوطنية من أجل التنمية» وجدوا أن بروز مجموعة تقدمية في الجيش يمثل بداية لحكومة تقدمية بقيادة هذه العصبة ، والتي هي نفسها نتاج الحزب الأفريقي من أجل الاستقلال.وعلى الرغم من قوة اليسار المدني ولاسيما في المعارضة المنظمة للنظام الحاكم في واغادوغو حيث برز دور مثقفين بارزين أمثال أداما توري وأربا ديالو وسوماني توريه إلا أنهم لم يُقدروا تقديرا صحيحا مدى قوة وشعبية ضباط الجيش اليساريين. سرعان ما ظهرت الصراعات بين صفوف اليسار المدني وهو ما هدد نظام سانكارا. وقد باتت التناقضات واضحة داخل المجلس العسكري الحاكم . وكانت مشاركة رئيس الحكومة سانكارا في قمة عدم الانحياز بالهند وزيارته لليبيا سببا كافيا لتهديد مصالح وتخويف قوى اليمين وحلفائها في الخارج. وقد عمد هؤلاء للتفكير في انقلاب عسكرى في أوائل مارس والتخلص من معظم أعضاء المجلس الحاكم أثناء اجتماعهم. على أن هذه الخطة قد تم تأجيلها بسبب تأخر عودة سانكارا من طرابلس بليبيا. بيد أن اعتراف أحد المتآمرين قبل تنفيذ الموعد الجديد أدى إلى إحباط هذا الانقلاب.

أضحت الاختلافات الأيديولوجية بين سانكارا ورئيس الدولة واضحة وعلنية. ففى اللقاءات العامة يستطيع سانكارا أن يلهب حماس الجماهير التي تردد الهتافات وراءه وتصفق له حتى في حضور الرئيس. عندئذ كان على قوى اليمين في الداخل والخارج التدخل من أجل التخلص من سانكارا وجماعته . ففي 16 مايو وصل جي بينيه Guy Penne مستشار الرئيس الفرنسي للشئون الأفريقية إلى واغادوغو حيث لم يسمح للصحافة باستقباله في المطار كما أنه بات ليلته في منزل السفير الفرنسي على غير ما تنص عليه التقاليد البروتوكولية.

في فجر اليوم التالي حاصرت آليات عسكرية ومدرعات منزل سانكارا بالإضافة

إلى عشرات الجنود. وفي نفس الوقت اتجهت مجموعة أخرى إلى منزل العميد لينجاني حيث تم اعتقاله. وقد شاءت الأقدار أن يظل كومباوري في بوبو ديولاسو. بعد استسلام سانكارا تم اقتياده إلى مدينة نائية في الشمال. وتم الإعلان في الإذاعة أن مجلس سلامة الشعب قد أعيد تشكيله دون ذكر لوقائع الاعتقال. وقد فشلت عمليات الملاحقة للكابتن كومباوري الذي تمكن من الفرار والتحصن بقاعدة «بو» حيث كان جنود الكوماندوز بها يدينون له ولسانكارا بالولاء . وتحت تهديد كومباوري ومطالبته بالإفراج عن المعتقلين وبدعم شعبي في واغادوغو تم الإفراج عن سانكارا ورفاقه. فقد الجناح الرجعي في الجيش السيطرة وكان على القوى الثورية أن تتقدم . وفي غضون عشرة أيام كان سانكارا على رأس السلطة في واغادوغو . ولعل هذه الفترة القصيرة هى التي تجعل البعض بما فيهم سانكارا نفسه يرفض وصف ما حدث بالانقلاب العسكري . يزعم هؤلاء أنها ثورة شعبية استولى من خلالها الشعب على السلطة . ألم يخرج الطلاب وتلاميذ المدارس إلى شوارع واغادوغو مطالبين بالإفراج عن سانكارا. وعلى أية حال فقد كانت نهاية المجلس العسكري الحاكم في 4 أغسطس حينما سيطر سانكارا ورفاقه على مقاليد السلطة.

ومن اللافت للانتباه أن عمال شركة الاتصالات قاموا بقطع الخدمة عن خطوط الهاتف. أضف إلى ذلك فإن آلاف المدنيين قاموا بانتظار القوات المتمردة وساعدوها في الوصول إلى أهدافها ، وهو الأمر الذي أسهم في سقوط واغادوغو بسرعة في 4 أغسطس 1983. وقد قتل العقيد سوميه وبعض أتباعه في القتال الذي أعقب هذه التحركات العسكرية.

**لقد وضع سانكارا عندما أصبح رئيسا، أهدافه الرئيسية على النحو التالي:**

- رفض مفهوم الدولة التي تناضل من أجل مجرد البقاء،
- التخفيف من حدة الضغوط المفروضة على المجتمع،
- تحرير الريف من حالة الجمود والتخلف السائدة منذ العصور الوسطى ،

- إقامة نظام ديمقراطي وفتح أذهان الناس إلى المسؤولية الجماعية بحيث يستطيعون ابتكار المستقبل،

- كسر القبضة الخانقة للبيروقراطية وإعادة بناء الإدارة عن طريق تغيير صورة الموظف العمومي،

- وضع الجيش في خدمة الشعب من خلال العمل المنتج والتذكير باستمرار بأن جنديا من دون تدريب ليس إلا مجرما محتملا.

لقد كانت مهمة ضخمة وعبئا ثقيلا في ظل تحديات داخلية وخارجية بالغة التعقيد. في ذلك الوقت كانت فولتا العليا واحدة من أفقر دول العالم، حيث بلغ معدل وفيات الأطفال الرضع 180 لكل ألف طفل، وبلغ العمر المتوقع 40 عاما فقط،أما نسبة الأمية فقد وصلت 98٪ ، ومعدل الالتحاق بالمدارس 16٪ . أما الناتج المحلي الإجمالي للفرد الواحد فلم يتجاوز 100 دولار فقط[1]. (كان ترتيب فولتا العليا في المرتبة 174 من أصل 177 على سلم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي) .

**جدول رقم (2)**

وقائع ثورة سانكارا

| |
|---|
| ➢ **فبراير 1984:** حظر دفع الإتاوات والعمل القسري لصالح الزعماء التقليديين في القرى. <br> ➢ **4 أغسطس 1984:** تأميم جميع الأراضي والثروة المعدنية. تغيير اسم البلاد من فولتا العليا لتصبح بوركينا فاسو. <br> ➢ **22 سبتمبر1984:** يوم التضامن: يتم تشجيع الرجال على الذهاب إلى |

(1)Bruno Jaffré, Burkina Faso's pure president , at http://thomassankara.net/spip.php? article555 &lang =fr retrieved on 28 March 28, 2015.

السوق وإعداد وجبات الطعام ليتعرفوا بأنفسهم على الظروف التي تواجهها النساء.

- **أكتوبر 1984:** إلغاء الجزية الريفية أو ضريبة الرؤوس.
- **نوفمبر 1984:** حملة التطعيم الوطنية في 15 يوما تم تحصين 2.5 مليون طفل ضد التهاب السحايا والحمى الصفراء والحصبة.
- **3 ديسمبر 1984:** مطالبة كبار موظفي الخدمة المدنية وضباط الجيش بالتبرع بشهر من رواتبهم، في حين يدفع غيرهم من موظفي الحكومة نصف شهر فقط للمساعدة في صندوق مشاريع التنمية الاجتماعية.
- **31 ديسمبر 1984:** تعليق جميع الإيجارات المحلية لعام 1985، وبدأ برنامج بناء ضخم للإسكان الشعبي.
- **1 يناير 1985:** إطلاق حملة لزراعة 10 ملايين شجرة لوقف زحف التصحر.
- **4 أغسطس 1985:** موكب نسائي عام احتفالا بالذكرى السنوية للثورة.
- **10 سبتمبر 1985:** الكشف عن العداء المتصاعد لبوركينا فاسو من الأنظمة المحافظة الإقليمية خلال اجتماع في ياموسوكرو، كوت ديفوار.
- **فبراير-أبريل 1986:** حملة «ألفا المغوار»! لمحو أمية 35000 شخص باستخدام تسع لغات محلية.
- **نهاية عام 1986:** السيطرة على مرض العمى النهري بمساعدة من برنامج الأمم المتحدة .
- **15 أكتوبر 1987:** اغتيال سانكارا في انقلاب دموي جنبا إلى جنب مع 12 من مساعديه. وقد تم على عجل مواراة أجسادهم الثرى. كان التدهور في

العلاقات مع دول الجوار واحدا من الأسباب التي قدمها السيد كومباوري لتصرفه الدموي. قبل أسبوع من وفاته قال سانكارا:إذا كان الثوار كأفراد يمكن أن يقتلوا ،فإن أفكارهم لا تموت.



# الفصل الثالث

# أيديولوجية التغيير الثوري

## 2 أكتوبر 1983م



مقدمة

يمكن القول بأن خطاب سانكارا الأشهر في اكتوبر1983 والذي يُطلق عليه خطاب التوجه السياسي يعد بمثابة مانفستو الثورة[1]. لقد اشتمل على مجموعة من المكونات الأيديولوجية الوطنية والاشتراكية والوحدوية الأفريقية والتي من المفترض أن تقود عملية التغيير الثوري في بلاده. لقد وجد سانكارا نفسه منذ البداية في معضلة حقيقية حيث اقتصر الدعم الثورى لبرنامجه على الشرائح الاجتماعية من سكان الحضر، والذين كانوا يتمتعون بمستويات معيشية أفضل من الشرائح الفلاحية المطحونة. وفي نفس الوقت كان من المستحيل تنفيذ برنامج التغيير الثوري الذي تبناه سانكارا دون التخلص من عبء جهاز الدولة ، حيث كانت مرتبات موظفي الحكومة حتى عام 1983 تشكل نحو 75 % من الميزانية العامة. حاول المجلس الوطني للثورة بقيادة سانكارا التخلص من الفساد الحكومي حيث تمت معاقبة المتورطين ومحاكمتهم أمام محاكم شعبية. فضلا عن ذلك قام بتخفيض رواتب موظفي الخدمة المدنية بنسبة تتراوح ما بين 20%

(1) هذا هو الخطاب الأساسي لثورة سانكارا في بوركينا فاسو عام 1983. يعرف هذا الخطاب باسم «خطاب التوجيه السياسي». ويشير البعض إلى أن فاليري سوميه Valére Somé أحد رفقاء سانكارا المخلصين هو الذي أعد هذا الخطاب. وقد ألقى توماس سانكارا مانفستو الثورة هذا في واغادوغو، بوركينا فاسو، في 2أكتوبر عام 1983. أنظر في ذلك:
Thomas Sankara , We Are Heirs of the World's Revolutions,NY: Pathfinders,2007, pp-29-56 and Thomas Sankara ,The 'political orientation' of Burkina Faso, Review of African Political Economy ,Vol. 12, Iss. 32, 1985.

و 30%. كما أنه أصدر الأوامر لكبار الموظفين بالتبرع بشهرمن مرتباتهم لصالح المشروعات العامة. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فقد اهتدى لنمط من التبرع يمكن أن يقدمه الأفراد، وهو التبرع بالوقت حيث أمر الموظفين بضرورة المشاركة في العمل الميداني. لقد جعل نفسه مثلا يُحتذى حيث خفض راتبه وأفصح عن جميع ممتلكاته أمام مكتب مكافحة الفساد، وأمر ببيع كافة السيارات المرسيدس الرئاسية والحكومية واستبدلها بسيارات رينو صغيرة، كما أنه لم يكن يسافر إلا على الدرجة السياحية.

**ونقوم في هذا الجزء باستعراض أبرز مكونات مانفستو الثورة البوركينابية:**

أولا : أهمية تحديد الهدف الثوري من خلال تعلم دروس الماضي:

يعترف سانكارا نفسه بأنه لا توجد سياسة بدون غطاء أيديولوجي حاكم يساعد على فهم وتحليل الواقع. وعلى الرغم من شغفه الشديد بالماركسية إلا أنه أنكر تماما أن تكون الثورة البوركينابية قد سعت إلى التقيد بأي أيديولوجية سابقة أو لاحقة. وحينما سُئل ذات مرة عن إمكانية أن يكون هو شخصيا يكرر تجربة معمر القذافي كانت إجابته حاسمة بالنفي القاطع. يقول :«أنا لست خادما لأحد.ولكن في حقيقة الأمر أنا خادم لجهة واحدة فقط .إنني خادم لشعب بوركينا». وحينما سأله أحد الصحفيين : ماذا يحدث لو أن الشعب لم ينفذ توجيهاتك ، رد قائلا يتعين عليّ عندئذ الرحيل[1]. وعلى أي حال يبدأ الخطاب بشكل حماسي بالتذكير بمعاناة المواطنين وأهمية الاستفادة من التاريخ لأخذ الدروس والعبر. يقول الخطاب في بدايته:

« ..احتشد مواطني فولتا العليا كأنهم شخص واحد وراء المجلس الوطني للثورة لبناء مجتمع فولتاوي جديد، حر ومستقل ومزدهر، وخال من الظلم الاجتماعي، ومتحرر من هيمنة واستغلال الإمبريالية الدولية التي ظلت جاثمة

(1)Guy Martin, Ideology and Praxis in Thomas Sankara's Populist Revolution of 4 August 1983 in Burkina Faso , A Journal of Opinion,Vol. 15 (1987), pp. 79.

على صدورنا على مدى قرن من الزمان. في نهاية هذه المرحلة في رحلتنا، أدعوكم أن تنظروا معي إلى الوراء لتعلم الدروس اللازمة لتحديد المهام الثورية بشكل صحيح من أجل الحاضر والمستقبل القريب. نستطيع من خلال وجود تصور واضح لمسيرة الأحداث تحصين نضالنا ضد الإمبريالية والقوى الاجتماعية الرجعية. باختصار: من أين أتينا؟ وأين نحن ذاهبون؟. إذا كنا نريد أن نسير بجرأة نحو مزيد من الانتصارات الرائعة، فإن هذه هي الأسئلة المثارة التي تتطلب إجابات واضحة وحازمة منا، ودون أي مواربة »[1] .

أهداف ثورة أغسطس:

حدد الخطاب المهام الكبرى للثورة فيما يلي:

- تصفية الهيمنة والاستغلال الإمبريالي،
- القيام بحملة تطهير وإزالة كافة الحواجز الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والثقافية التي تكرس من حالة التخلف.

الطبيعة الثورية الديموقراطية للثورة:

« الطابع الشعبي لثورة أغسطس يكمن في حقيقة أنه بدلا من آلة الدولة القديمة تم تبني آلة جديدة قادرة على ضمان الممارسة الديمقراطية للسلطة من قبل الشعب ومن أجل الشعب. ثورتنا تتميز بأنها على الرغم من مناهضتها للإمبريالية، فإنها لا تزال تعمل في حدود النظام الاجتماعي والاقتصادي البرجوازي. إذا قمنا بتحليل واقع الطبقات الاجتماعية في فولتا العليا، لتوصلنا إلى القول بأن البرجوازية الفولتاوية ليست كتلة واحدة متجانسة تعبر عن القوى الرجعية والمعادية للثورة. والواقع أن ما يميز البرجوازية في الدول المتخلفة في إطار العلاقات الرأسمالية هو عدم قدرتها المعرفية على إحداث ثورة على غرار ما قامت به البرجوازية أواخر القرن الثامن عشر في الدول الأوروبية، عندما كانت تشكل

(1) خطاب التوجه السياسي ، ص ص 29-30.

طبقة في طور النهوض. هذه هي الخصائص والقيود المفروضة على الثورة في فولتا العليا منذ 4 أغسطس 1983. إن الفهم الواضح وتحديد السياق المحدد يحمينا من مخاطر التحولات والتجاوزات التي يمكن أن تهدد المسيرة الظافرة للثورة. إنه يتعين على كل الذين حملوا شعار ثورة أغسطس تحمل دورهم الثوري، والتخلص من حالة الخوف من أجل بث الوعي بلا كلل أو ملل بين صفوف الجماهير. لا يكفي أن نقول هذا ثوري، يتعين عليه أيضا أن يكون مؤمنا بالمغزى العميق للثورة، وهو ما يجعله مؤيدا قويا لها. تلك هي أفضل وسيلة للدفاع وصد الهجمات والتشوهات التي تقوم بها القوى المعادية للثورة. تَعلُم الربط بين النظرية الثورية والممارسة الثورية سيكون اختبارا حاسما للتمييز بين الثوار الحقيقيين وبين أولئك الذين يأتون للثورة مدفوعين بدوافع لا علاقة لها بالقضية الثورية»[1].

لقد كان سانكارا يردد دائما أنه منفتح على جميع ثورات العالم حيث يعتبرها ملكا للبشرية جمعاء، يتعلم الدروس منها ويتجنب أخطاءها. الهدف المعلن لديه ولدى رفاقه هو المحافظة على النقاء الثوري. وعليه اهتم خطاب الثورة بتوضيح نطاقها وطبيعتها على النحو التالي.

العالمية والخصوصية في ثورة أغسطس

«إن الثورات التي تحدث في جميع أنحاء العالم لا تتشابه. كل ثورة لها سماتها الأصيلة التي تميزها عن الثورات الأخرى. لدينا ثورة، ثورة أغسطس، ليست استثناء على هذه القاعدة. إنها تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات بلادنا، ودرجة تطورها ومدى خضوعها للنظام الإمبريالي الرأسمالي العالمي . ثورتنا هي ثورة تحدث في بلد زراعي متخلف، حيث ثقل التقاليد والإيديولوجية التي يفرزها نمط من التنظيم الاجتماعي الإقطاعي، يؤثر بشكل كبير على الجماهير. إنها ثورة في بلد، بسبب الهيمنة والاستغلال الذي مارسته الإمبريالية على شعبنا، تغير وضعه

(1) المرجع السابق، ص 44.

من مستعمرة إلى دولة تعاني من الاستعمار الجديد . إنها ثورة تحدث في بلد ما زال يتسم بغياب الطبقة العاملة الواعية بمهمتها التاريخية وتنظيمها، وبالتالي لا تملك تقاليد النضال الثوري. إنها ثورة تحدث في بلد صغير، عندما كانت الحركة الثورية تنهار يوما بعد يوم دون أمل في رؤية كتلة متجانسة واضحة قادرة على القيادة ودعم الحركات الثورية الناشئة. هذه الجملة من الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية تعطى طابعا مميزا لثورتنا. كانت ثورة أغسطس ذات طابع مزدوج: فهي ثورة ديمقراطية من جهة وشعبية من جهة أخرى»[1].

ثانيا : ثورة أغسطس تتويج لنضال شعبي:

في ظل الحماسة الثورية كان من الضروري شرح طبيعة الثورة وارتباطها بالشعب والتأكيد على أن هدفها الأسمى هو تحقيق تطلعات الجماهير وقطع الروابط مع النظام القديم.وعلى الرغم من أن جون ماركيكس ومايكل واللر Markakis &Waller يصنفان نظام سانكارا بأنه يقع في دائرة النظم العسكرية الراديكالية التي تأتي عن طريق الانقلاب العسكري فإن الخطاب الأيديولوجي والممارسة العملية تجعل من الصعب القبول، ولو جزئيا، بهذا الوصف. تُظهر لغة خطاب سانكارا تأثرا شديدا بمفردات الخطاب الماركسي ولاسيما حديثه عن الصراع الطبقي وعن نضال الجماهير العريضة، وكذلك عن ارتباط الثوار بالجماهير مثلما يرتبط السمك بالماء.

«كانت ثورة أغسطس تتويجا لنضال شعب فولتا العليا. إن انتصار ثورة أغسطس ليس مجرد نتيجة لانقلاب ثوري ضد تحالف 17 مايو 1983 المقدس الرجعي. إنه تتويج لنضال الشعب الفولتاوي ضد أعدائه الدائمين. إنه انتصار على الإمبريالية الدولية وحلفائها في الداخل. إنه انتصار على قوى الظلام والرجعية. انتصار على كل أعداء الشعب الذين يحيكون المؤامرات والدسائس من وراء ظهورنا.

(1) المرجع السابق.

كانت ثورة أغسطس تتويجا للانتفاضة الشعبية الناجمة عن مؤامرة 17 مايو 1983 الإمبريالية، والتي حاولت وقف المد المتصاعد من القوى الديمقراطية والثورية في هذا البلد. لم يكن هذا التمرد واضحا فقط من خلال الموقف البطولي والشجاع للقوات الخاصة في مدينة «بو»، والتي أظهرت مقاومة شرسة للقوى الإمبريالية المناهضة للشعب بزعامة جان باتست يدراوغو والعقيد سوميه يوريان، ولكن أيضا بفضل شجاعة القوى الديمقراطية والثورية المتحالفة مع الجنود والضباط الوطنيين، الذين تمكنوا من تنظيم مقاومة مثالية.

إن تمرد 4 أغسطس 1983، وانتصار الثورة وظهور المجلس الثوري الوطني يعد بلا شك تكريسا، وبالتالي تتويجا لنضالات شعب فولتا العليا ضد الهيمنة الاستعمارية الجديدة والاستغلال، وضد القهر في بلدنا، وذلك من أجل الاستقلال والحرية والكرامة والتقدم لشعبنا»[1].

يرفض سانكارا لغة التبسيط في فهم السيرورة التاريخية لنضال الجماهير حيث يرى بأنها سلسلة متصلة الحلقات. وهو ينظر إلى الاحتجاجات الشعبية باعتبارها رفضا منهجيا من قبل شعب فولتا العليا، وخاصة الطبقة العاملة والكادحين الآخرين، بأن يُحكم بنفس الطريقة التي كانت مُتبعة من قبل. ولعل أهم المعالم الأكثر أهمية ووضوحا، من وجهة نظره، لهذه النضالات الشعبية هي: ديسمبر 1975، و مايو عام 1979، وأكتوبر -نوفمبر عام 1980،و أبريل 1982 ، ومايو 1983.

« إن الحقيقة الراسخة تكمن في أن حركة المقاومة الشعبية الكبيرة التي أعقبت مباشرة رجعية حركة 17 مايو 1983 المؤيدة للإمبريالية ، قامت بتهيئة الظروف المواتية لأحداث 4 أغسطس 1983. وفي الواقع، فإن المؤامرة الإمبريالية في 17 مايو عجلت بدمج القوى والمنظمات الديموقراطية والثورية التي تم تعبئتها خلال هذه الفترة من خلال تطوير مبادرات وإجراءات جريئة مهمة لم تكن معروفة سابقا. وفي الوقت نفسه، عانى التحالف المقدس من القوى الرجعية حول النظام البائد من عدم

(1) المرجع السابق.

قدرته على وقف مسيرة القوى الثورية، التي شنت هجوما صريحا وواسع النطاق ضد القوى المعادية للشعب والمناهضة للديمقراطية. لقد تركت التظاهرات الشعبية في 20 و 21 و 22 مايو صدى وطنيا واسعا نتيجة لأهميتها السياسية الكبرى، حيث أنها شكلت دعما مباشرا من المواطنين، ولا سيما الشباب، للمُثل الثورية التي يدافع عنها هؤلاء الذين تعرضوا لعدوان غادر من القوى الرجعية».

وتبدو من لغة الخطاب السياسي سمة الوضوح الثوري التي تحدد بلا مواربة مكونات النظام القديم وجماهير الشعب العريضة التي تخوض النضال الثوري.«لقد مكنت أحداث مايو 1983 الشعب من معرفة المزيد عن أعداء فولتا العليا. من الآن فصاعدا، في فولتا العليا، يعرف الجميع: كل شخص! مع من أو ضد من ! من يفعل ماذا، ولماذا!. هذا النوع من الحالات، الذي يعد مقدمة لاضطرابات كبيرة، يساعد على تحجيم التناقضات الطبقية في المجتمع الفولتاوي. لقد جاءت ثورة أغسطس كحل لهذه التناقضات الاجتماعية التي لا يمكن تسويتها بالتوفيق. إن التأييد الحماسي من الجماهير الشعبية العريضة لثورة أغسطس هو التعبير العملي للتوقعات المصاحبة لتأسيس المجلس الوطنى الثوري.إنهم يتوقون لأن يحصدوا أخيرا ثمار الديموقراطية والحرية والاستقلال. إنهم يأملون بأن التقدم الحقيقي يمكن بلوغه من خلال استعادة كرامة وعظمة بلدنا بعد أن تم تقويضها خلال 23 عاما من الاستعمار الجديد»[1].

ثالثا : إرث 23 عاما من الاستعمار الجديد:

يهتم مانفستو الثورة بعد ذلك بشرح التحديات التي تواجه المجلس الوطني للثورة في المرحلة الجديدة . ولعل مرد ذلك كله هو الميراث الثقيل الذي خلفته الدولة الاستعمارية الجديدة في فولتا العليا على مدي أكثر من عقدين من الزمان. **وعليه فهو يعترف بأن** «مهمة بناء مجتمع جديد سوف تكون صعبة وعسيرة، إنه مجتمع خال من جميع الشرور التي تبقي بلدنا في حالة من الفقر والتخلف

(1) المرجع السابق، ص 30- 31.

الاقتصادي والثقافي. في عام 1960 عندما تعرض الاستعمار الفرنسي للهجوم من جميع الجهات، هزم في ديان بيان فو (فيتنام)، وواجه صعوبات هائلة في الجزائر، اضطر، لاستخلاص الدروس من تلك الهزائم، فقام بمنح بلدنا السيادة الوطنية والسلامة الإقليمية، وهي أمور تم الترحيب بها بشكل إيجابي من قبل شعبنا الذي لم يعد غير مُبال، ولكنه بات يتبني نضالات المقاومة المناسبة»[1].

بعد ذلك ينتقل الخطاب إلى شرح طبيعة البنية التنظيمية للمجتمع النيوكولنيالي في فولتا العليا والذي يقوم على حالة من الانقسام الطبقي الواضح بين أقلية رجعية مترفة وأغلبية ساحقة مطحونة.

«إن البنية التنظيمية الكاملة للمجتمع النيوكلونيالي هي مجرد تغيير من شكل إلى آخر. الاستعمار الجديد والمجتمع الاستعماري هما في الأساس لا يختلفان. وهكذا، تم استبدال الإدارة الاستعمارية بإدارة استعمارية جديدة والتي جاءت متطابقة في جميع النواحي مع سابقتها. لقد تم استبدال الجيش الاستعماري بجيش استعماري جديد وبنفس الخصائص والوظائف والأدوار بحسبانه حارسا للمصالح الإمبريالية والحلفاء المحليين. المدارس الاستعمارية استُبدلت بمدارس استعمارية جديدة لتحقيق نفس الأهداف من اغتراب للأطفال في بلادنا واستنساخ لمجتمع يخدم في المقام الأول مصالح الإمبريالية وأذنابها في الداخل.

لقد بدأ بعض مواطني فولتا العليا بدعم ومباركة من القوى الإمبريالية، بتنظيم عمليات سلب ونهب حثيثة لبلدنا. قاموا بنهب الفتات الذي ترك لهم، وتحولوا تدريجيا إلى برجوازية طفيلية حقة، إنهم لا يستطيعون التحكم بشهيتهم النهمة.وسوف تحاول الآن هذه الطبقة بدافع من مصالحها الأنانية الضيقة، استخدام المزيد من الطرق غير الشريفة، مثل الفساد واسع النطاق، واختلاس الأموال والممتلكات العامة، واستغلال النفوذ والمضاربات العقارية، وممارسة الواسطة والمحسوبية. ولعل ذلك يفسر قيامهم بجمع الثروات المالية والمادية

(1) المرجع السابق، ص ص 31-32.

التي تراكمت على حساب قوى الشعب العامل. إن الأمر لا يقتصر على اعتمادهم في العيش على المكاسب الريعية الهائلة الناتجة عن استغلالهم الوقح للأرباح غير المشروعة، ولكنهم يحاولون انتزاع المسؤوليات السياسية التي تسمح لهم باستخدام أجهزة الدولة للاستفادة منها في أعمالهم والتغطية على سوء إدارتهم»[1].

ويذهب الخطاب إلى تحديد أبرز فئات الجماهير التي عانت من حيل وظلم النخبة الرجعية الحاكمة، ومن ذلك:

- **فئة موظفي الدولة:**« إن الغالبية العظمى من الموظفين، الذين يحصلون على دخل ثابت يعانون من معوقات وعثرات المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي. لقد رأينا جميعا أن أجورهم يتم استهلاكها حتى قبل أن تدخل في جيوبهم».

- **فئة الفلاحين** :ونظرا لأن غالبية الشرائح المظلومة والتي تعرضت للقهر هي من الفلاحين فقد أبرز الخطاب مناحي هذا الظلم الذي تعرضوا له على النحو التالي:« ضمن هذه الأغلبية الساحقة، هناك «المعذبون في الأرض»، هؤلاء الفلاحين المطحونين، الذين إن رفعوا أصواتهم زج بهم في السجون، يعانون من التجاهل التام والإذلال كل يوم،وهم، مع ذلك، ينتجون بعملهم الثروة. يظل الاقتصاد قائما، على الرغم من هشاشته من خلال الأنشطة الإنتاجية لهؤلاء الفلاحين. ومن خلال عملهم أضحت فولتا العليا بالنسبة للنخبة البرجوازية أرض السمن والعسل. ومع ذلك، فمن هم الذين يعانون أشد المعاناة من عدم وجود مؤسسات، وبنية تحتية للطرق، ونقص المرافق الصحية والتدريب. إنهم الفلاحون مصدر الثروة الوطنية هم الذين يعانون أشد المعاناة من عدم وجود المدارس والمستلزمات المدرسية لأبنائهم. يعاني أبناؤهم من الانضمام إلى طابور العاطلين عن العمل بعد فترة قضوها في مدارس سيئة لا تُحسن تدريبهم على مواجهة واقع هذا البلد. لقد وصل معدل الأمية إلى 98 في المئة»[2].

(1) المرجع السابق، ص 33.

(2) المرجع السابق، ص 33.

يركز الخطاب بشكل واضح وعميق على تحديد أبعاد التخلف الاجتماعي في المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية مع إعطاء أمثلة ومؤشرات رقمية. ولعل ذلك يعطي صورة واضحة عن حالة فولتا العليا باعتبارها بلدا زراعيا متخلفا عندما شهدت هذا التحول الثوري بقيادة توماس سانكارا:

- **فولتا العليا بلد زراعي متخلف**:«بعد 23 عاما من الهيمنة الإمبريالية والاستغلال، لا يزال بلدنا بلدا زراعيا متخلفا حيث القطاع الريفي، الذي يعمل به أكثر من 90 في المئة من القوى العاملة لا يمثل سوى 45 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي (GDP)، ويوفر 95 في المائة من الصادرات.

- **عجز الميزان التجاري**:«.إن اختلال التوازن بين الصادرات والواردات يفضي إلى خلق حالة من الاعتماد على الدول الأخرى. لقد ارتفع العجز التجاري بشكل كبير على مر السنين وبلغت نسبة تحمل تكلفة الواردات من خلال الصادرات حوالي 25 في المائة فقط. ببساطة شديدة، نحن نشتري من الخارج أكثر مما نبيع له، والاقتصاد الذي يعمل على هذا الأساس يدمر نفسه تدريجيا ويتحول إلى وضع كارثي. الاستثمارات الأجنبية الخاصة ليست فقط غير كافية ولكنها تمثل عبئا على الاقتصاد الوطني وبالتالي لا تسهم في تعزيز قدرته الاستيعابية. لقد تم استنزاف جزء هام من الثروة الناجمة عن الاستثمار الأجنبي وتهريبه إلى الخارج بدلا من استثماره لتعزيز القدرة الإنتاجية للبلد. في الفترة من 1973-1979، بلغت قيمة عوائد الاستثمار الأجنبي المباشر حوالي 1.7 مليار فرنك أفريقي سنويا، في حين بلغ متوسط حجم الاستثمارات الجديدة نحو 1.3 مليار فرنك أفريقي فقط سنويا».

- **في مجال التعليم والصحة**: « تعد بلدنا من بين أكثر الدول تخلفا حيث يبلغ معدل التحاق التلاميذ بالمدارس 16.4 في المئة وتبلغ نسبة الأمية 92 في المئة في المتوسط. وهذا يعني أنه من أصل 100 فرد في فولتا العليا، يوجد ثمانية أفراد فقط يعرفون القراءة والكتابة بأي لغة كانت. من حيث مؤشرات المرض

والوفيات تعد بلدنا الأعلى في المنطقة بسبب انتشار الأمراض المعدية ونقص التغذيـة. إلى جانب ذلك، كيف يمكن تجنب مثل هذا الوضع الكارثي ولاسيما إذا علمنـا وجـود سريـر واحد فقط في مستشفى لكل 1200 نسمة، وطبيب واحد لكل 48000 نسمة؟»[1].

لقد اعتقد المجلس الوطني للثورة جازما أنه لا يمكن أبدا إحداث تغييرات تجميلية في بنية النظام القديم حيث لا يمكن أبدا تغيير العقليات والمواقف لدى القوى القديمة التـي لاتفهم سوى لغة النضال. وعليه كان الحـل هـو اعـادة البنـاء مـن أجـل تأسـيس مجتمـع جديد: «يجب علينا أن لا نتوقع تحـولا في العقليـات والموقـف. إنهـم لا يفهمـون إلا لغـة النضال، النضال الطبقي الثوري ضد المستغلين والظالمين من البشر. ثورتنـا هـي مـن أجـل هذا الأمر، وسوف تفرض إرادة الشعب بكل الوسائل الموضـوعة تحـت تصرفـه، وإذا لـزم الأمر بقوة السلاح. هؤلاء أعداء الشعب، من هم؟ لقد تم الكشـف عـنهم أمـام الشـعب خلال أحداث 17 مايو حيث أبدوا استياءهم ضد القوى الثورية»[2] .

**ويحدد خطاب التوجه السياسي أعداء الشعب في الفئات التالية :**

**- البرجوازية الفولتاوية :** والتي تؤدى وظائف مختلفة بعضها عن البعض الآخر، فهناك برجوازية الدولة، والبرجوازية الكومبرادورية والبرجوازية المتوسطة.

- **برجوازية الدولة:** هي جزء يعرف باسم البرجوازية السياسـية والبيروقراطيـة. إنها البرجوازية الاحتكارية التي حققت ثراء فاحشا بصورة غير مشروعة. كـما أنهـا تستخدم جهاز الدولة تماما كـما تسـتخدمه البرجوازيـة الصـناعية الرأسـمالية مـن أجل استغلال وسائل الإنتاج لتحقيق تراكم الأرباح الرأسمالية وذلك عـلى حسـاب القوى العاملة. هذه البرجوازية لن تتخلى أبدا بطريقة طوعية عن مزاياها السابقة

(1) المرجع السابق،ص ص 37-38.

(2) المرجع السابق ،ص 38.

من أجل المساعدة السلبية فى التحولات الثورية الجارية.

- أما **البرجوازية التجارية:** فإن جزءا من أنشطتها في حد ذاته مرتبط بروابط وثيقة ومتعددة مع الإمبريالية. يعني ذلك أن التخلص من الهيمنة الامبريالية هو بمثابة إعلان وفاتها وتخليها عن «الأوزة التي تبيض لها البيضة الذهبية». ولذلك ستعارض بكل ما أوتيت من قوة هذه الثورة. وعادة ما تتألف هذه الفئة من التجار المارقين الذين يسعون إلى تجويع الشعب عن طريق سحب جميع المواد الغذائية من الأسواق بهدف المضاربة والتخريب الاقتصادي.

- **الطبقة الوسطى:** هذه الشريحة من البرجوازية الوطنية، على الرغم من ارتباطها بالإمبريالية، إلا أنها تتنافس معها من أجل السيطرة على السوق. ولكن نظرا لكونها الأضعف اقتصاديا، فقد تم سحقها واستيعابها من قبل الإمبريالية. لديها شكاوى ضد الإمبريالية، ولكنها تخشى كذلك من المواطنين وربما يدفعها هذا الخوف إلى التحالف مع الإمبريالية. ومع ذلك، فإن الهيمنة الإمبريالية على بلدنا قد أعاقت الدور المناسب للبرجوازية الوطنية، وربما تندفع بعض عناصر هذه البرجوازية، وفي بعض الحالات إلى التعاطف مع الثورة التي تتعامل معهم بموضوعية. يجب علينا تطوير حالة من انعدام الثقة الثورية لحماية الثورة من الانتهازيين من كافة الأنواع.

**<u>2) القوى الرجعية التي تستمد قوتها من الهياكل التقليدية للمجتمع الإقطاعي</u>.**

هذه القوى، في أغلبيتها، كانت قادرة على تحدى الامبريالية الاستعمارية الفرنسية. ولكن منذ حصول فولتا العليا على سيادتها الوطنية، اختارت هذه القوى الوقوف بجانب البرجوازية الرجعية من أجل قمع الشعب. وقد عمدت هذه القوى على استغلال جماهير الفلاحين واستخدامهم كرصيد مضمون في حروبها الانتخابية. ولحماية مصالحها المشتركة مع الإمبريالية والتي تتعارض مع مصالح الشعب، غالبا ما توظف هذه القوى الرجعية القيم السلبية الموروثة من الثقافة التقليدية التي لا تزال سائدة في المناطق الريفية. وعليه فإن الثورة وفقا للرؤية

السنكارية تسعى لدمقرطة العلاقات الاجتماعية ، ولتمكين المزارعين من خلال المزيد من التعليم والمزيد من المعرفة من أجل تحقيق التحرر الاقتصادي والثقافي الخاص بهم، والذي تعارضه القوى الرجعية .« هؤلاء هم أعداء الشعب في هذه الثورة، الأعداء الذين حددهم الشعب بنفسه خلال أحداث مايو. إنهم هؤلاء الأفراد الذين شكلوا الجزء الرئيسي من المتظاهرين ، تحت مظلة الحماية العسكرية، والذين أظهروا دعمهم للخطط البائدة التي تبناها الانقلاب والقوى الرجعية الموالية للإمبريالية»[1].

في المقابل ماهي مكونات الجماهير التي تقود النضال الشعبي يقول الخطاب:« بعيدا عن هذه الطبقات والشرائح الاجتماعية الرجعية والمعادية للثورة والمذكورة أعلاه، يأتي باقي شعب فولتا العليا. الشعب الذي أخذ على عاتقه مقاومة الهيمنة الإمبريالية والاستغلال واستمر في ممارسة النضال اليومي ضد الأنظمة الاستعمارية الجديدة. هذا الشعب في هذه الثورة يتشكل من المكونات التالية[2]:

1) **الطبقة العاملة**

ورغم أنها صغيرة وفتية، فإنها تمكنت من الثبات في كفاحها المستمر ضد أرباب العمل، إنها طبقة ثورية حقا. لديها الفرصة في هذه الثورة لتكسب كل شيء وليس لديها شيئا تخسره. ليس لديها وسائل إنتاج يمكن أن تخسرها، وليس لديها أي ممتلكات يمكن أن تدافع عنها في سياق المجتمع الاستعماري الجديد. إنها مقتنعة بأن الثورة هي شأن خاص بها، لأنها تساعدها على التطور وتحقق لها الحصانة الثورية.

2) **البرجوازية الصغيرة**

وهي طبقة اجتماعية واسعة وغير مستقرة، تتراوح مواقفها بين دعم قضايا

---

(1) المرجع السابق، ص 40.

(2) المرجع السابق، ص 40-42.

الجماهير ومواقف الإمبريالية في كثير من الأحيان. على أن الغالبية العظمى منها تلتزم في نهاية الأمر، بالوقوف مع الجماهير. وهي تضم فئات عديدة ومتنوعة بما في ذلك: أصحاب المتاجر الصغيرة، المثقفين (الموظفين وطلبة الجامعات وتلاميذ، المدارس، والعاملين في القطاع الخاص، الخ ..) والحرفيين.

3) **الفلاحون**

وهم يتشكلون في غالبيتهم العظمى من صغار المزارعين المرتبطين بالحيازات الزراعية الصغيرة بسبب التفكك التدريجي لنظام الملكية الجماعية منذ إدخال نمط الإنتاج الرأسمالي في فولتا العليا. لقد أدت علاقات الإنتاج إلى تذويب المزيد من الروابط المجتمعية، وقيام نظام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. في ظل هذا الوضع الجديد الذي ارتبط بتغلغل الرأسمالية في الريف، أضحى الفلاح في فولتا العليا مرتبطا بنظام الانتاج المحدود، الذي يجسد علاقات الإنتاج البرجوازية. لذلك، وفي ضوء كل هذه الاعتبارات، اعتبر الفلاحين في جزءا من البرجوازية الصغيرة. سواء في الماضي، أو في الوضع الحالي، شكل الفلاحون الطبقة الاجتماعية التي تحملت العبء الأكبر للهيمنة والاستغلال الإمبريالي. إن حالة التخلف الاقتصادي والثقافي التي تميز الريف قد ظلت منذ فترة طويلة بمعزل عن التيار الرئيسي للتقدم والتحديث، كما أنها شكلت المخزون الذي اعتمدت عليه قوى الرجعية السياسية. ومع ذلك فإن لديها مصلحة في الثورة، وهي بلغة الأرقام تشكل القوة الرئيسية.

4) **البروليتاريا الرثة**

وهي طبقة دونية بسبب وضع المنتسبين إليها باعتبارهم عاطلين عن العمل، لديهم استعداد للتعاون مع القوى الرجعية والوقوف في وجه الثورة من خلال تنفيذ المهام القذرة. وعلى أية حال فإنهم إذا ضمنوا الاستفادة من الثورة ، قد يصبحون من أقوى مؤيديها».

***

رابعا: الإطار المؤسسي

لقد تم تحديد الإطار المؤسسي الذي يجسد سيادة الشعب بهدف تدميرآلة الدولة الاستعمارية الجديدة وتنظيم آلة جديدة قادرة على ضمان سيادة الشعب في إطاريين عامين هما:

- المجلس الوطني للثورة بحسبانه نقطة ارتكاز للجماهير من أجل مهاجمة قلاع القوى الرجعية والمعادية للثورة ».فقد شكل في 4 أغسطس بهدف إدارة ومراقبة الحياة الوطنية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية[1].

- **لجان الدفاع عن الثورة**[2]: « إنها بمثابة الأداة التي مكنت الشعب من الحصول على سيادته والتحكم في مصيره، وبالتالي بسط سيطرته في جميع نواحي المجتمع. إنها سلاح الشعب، وسلطة الشعب، وثروة الشعب، وسيكون هذا الشعب هو الذي يدير في لجان حماية الثورة. وسوف تكون أدوارهم كبيرة ومتنوعة. مهمتهم الأساسية هي تنظيم الشعب بأكمله في فولتا العليا للانخراط في النضال الثوري. ينتظم الشعب من خلال لجان الدفاع عن الثورة ليس فقط من أجل دراسة قضايا المستقبل، ولكنه يشارك أيضا في صياغة القرارات المتعلقة بالمستقبل وتنفيذها. النظرية مثل الثورة تسعى لتدمير النظام السابق، وبدلا من ذلك، يتم بناء نمط جديد من المجتمع بعيدا عن هؤلاء الذين لهم مصالح خاصة»

المهام الأساسية للثوار في لجان الدفاع عن الثورة:

إن لجان الدفاع عن الثورة هي أسلحة المقاومة. إنها تمثل البناء الثوري في فولتا العليا. إنها الركيزة التي يتم انطلاق الثورة من خلالها لتشمل جميع المحافظات، وجميع القرى، وجميع الخدمات العامة والخاصة، وجميع المنازل، وجميع

(1) المرجع السابق،ص 45.

(2)ttp://ar.scribd.com/doc/96585260/The-Political-Orientation-Speech-Thomas-Sankara-Ouagadougou-Burkina-Faso-2-October-1983#scribdh

الأطياف. وتحقيقا لهذه الغاية،كان لزاما على الثوار في لجان الـدفاع عـن الثـورة التنـافس بقوة من أجل تنفيذ المهام الرئيسية التالية:

1) العمل نيابة عن أعضاء لجان الدفاع عن الثورة: فالأمر متروك للثـوار في التثقيـف السياسي لرفاقهم. فقد أرادت السنكارية أن تكون هـذه اللجـان بمثابـة مـدارس للتثقيـف السياسي. يعني ذلك أنها بمثابة الأطر المناسبة لقيـام النشـطاء بمناقشـة قـرارات الهيئـات العليا للثورة، متمثلة في المجلس الوطني للثورة والحكومة.

2) العمل نيابة عن الجماهير من أجـل تـدريبهم عـلى الالتـزام بأهـداف المجلـس الـوطني للثـورة مـن خـلال الدعايـة والتحـريض دون كلـل أو خـوف. «فـأعمال الدعايـة والافتراءات الكاذبة التي تصدر من جانب القوى الرجعيـة ، ينبغـي مواجهتهـا مـن قبـل لجان الدفاع عن الثورة من خلال الالتزام بالحقيقة الثورية. على لجان الدفاع عـن الثـورة أن تكون منتبهة لتحقيق مطالب الجماهير، وتقـوم بـابلاغ المجلـس الـوطني للثـورة حـال وجود مقترحات محددة. وهم مدعوون لمناقشة القضايا المتعلقة بتعزيز مصالح الجماهير، ودعم المبادرات المتخذة من قبلهم. يقومون بالاتصـال المبـاشر مـع الجمـاهير، مـن خـلال الجلسات المفتوحة العادية حيث تناقش القضايا التـي تهمهـم وذلـك مـن أجـل التطبيـق الصحيح للمبادئ التوجيهية التي أقرها المجلس الـوطني للثـورة. وهكـذا، تقـوم الوظيفـة الدعائية على شرح قرارات المجلس الوطني للثورة كي تفهمها الجماهير. ولعل ذلك يساعد على اتخاذ كافة التدابير الرامية إلى تحسين ظروفهم المعيشية.ينبغي على لجان الدفاع عن الثورة النضال مع الجماهير سواء في الحضر أو في الريف لمواجهة أعـدائهم والتغلـب عـلى مصاعب الطبيعة بما يحسن من أحوالهم المادية والمعنوية».

3) تعمل لجان الـدفاع عـن الثـورة بعقلانيـة وصرامـة، وهـو مـا يعـد أحـد أبرزسمات ثورة سانكارا. لذلك، ارتأت النخبة الثورية ضرورة وضـع خطـط عمـل متماسكة وطموحة ملزمة لجميع الأعضاء.يقول سانكارا:« منذ 4 أغسطس، الذي أصبح تاريخا يؤرخ به لشعبنا، واستجابة لدعوة المجلس الوطني للثـورة، قـدمت

الجماهير مبادرات لتطوير لجان الدفاع عن الثورة. لقد تأسست هذه اللجان في القرى، وفي أحياء المدن، وسوف تتشكل في وقت قريب في أماكن العمل،وفي المصالح الحكومية، وفي المصانع، وفي الجيش. كل هذا هو نتيجة العمل العفوي للجماهير».

ولعل الفكرة المركزية وراء إنشاء هذه اللجان تكمن في اعادة هيكلة بنية السلطة بطريقة ثورية من خلال القضاء على آلة الدولة القديمة وتمكين الشعب من ممارسة السلطة بنفسه.

الأخلاق الثورية في لجان الدفاع عن الثورة

كان من الواضح تماما أن التكوين العلمي والفكري لسانكارا ورفاقه قد جعلهم على وعي، حتى ولو نظريا، بأهمية الالتزام الثوري والأخلاق الثورية في الممارسة العملية. ومن هنا نجد جزءا من الخطاب يتحدث عن القواعد الأخلاقية التي تحكم عمل لجان الدفاع عن الثورة.

« تهدف الثورة إلى تغيير المجتمع من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتهدف إلى خلق فولتا العليا الجديدة، في ظل منظومة الأخلاق والسلوك الاجتماعي القويم الذي يحقق الثقة بالجماهير. لقد وضعت الهيمنة الاستعمارية الجديدة مجتمعنا في حالة رثة، وهو ما سوف يستغرق وقتا طويلا من أجل تطهيره. ومع ذلك فإن على نشطاء لجان الدفاع عن الثورة صياغة وعي جديد وسلوك جديد ليكونوا قدوة حسنة للجماهير. من خلال الثورة، يجب أن نضمن أن لدينا تحولات نوعية. إنه بدون حدوث نقلة نوعية من قبل الأشخاص المفترض فيهم القيام بدور مهندسي الثورة، يكون من المستحيل بناء مجتمع حر جديد خال من الفساد والسرقة والكذب،والنزعة الفردية بشكل عام. يجب أن نسعى إلى أن تُطابق أعمالنا أقوالنا، ومراقبة سلوكنا الاجتماعي حتى لا نكون عرضة للهجوم من قبل أعداء الثورة. إن علينا أن نُعلي باستمرار مصلحة الجماهير على مصالحنا الخاصة، وهو الأمر الذي يحمينا من الضلال. إن أحلام بعض النشطاء في لجان الدفاع عن

الثورة في الحصول على الممتلكات والأرباح من خلال عملهم في هذه اللجان ينبغي أن تُقاوم. يجب القضاء على النجومية وحب الظهور.

وكلما استطعنا معالجة هذه العيوب سريعا، كان ذلك أفضل للثورة.إن الثوري- من وجهة نظرنا- هو الذي يعرف كيف يكون متواضعا وأكثر تحديدا في المهام الموكلة إليه. وهو يفعل ذلك دون رياء أو انتظار مكافأة.

في الآونة الأخيرة نرى أن بعض العناصر التي شاركت بنشاط في الثورة كانت تتوقع نوعا من المعاملة المتميزة، أوالتكريم، أو الحصول على مناصب هامة، وهو ما أدى إلى فشلهم. وهذا دليل على أنهم شاركوا في الثورة دون فهم الأهداف الحقيقية لها. ليست هناك ثورة تستبدل الحاكم القديم بآخر وانتهى الأمر. الثورة لا تعني مباراة غير صفرية يربح فيها الجميع. هذا النوع من الدوافع غريب عن المثل الأعلى لثورة أغسطس، وأولئك الذين يُظهرون عيوبها هم من البرجوازية الصغيرة الانتهازية. إن الصورة الثورية التي يعتزم المجلس الوطني للثورة تكريسها في الوعي العام تؤكد على أن **الثورى الحق هو الذي يتحد مع الجماهير، يؤمن بهم ويحترمهم.** إنه يتصرف في أي موقف وعينه دوما على مصلحة الجماهير. إنه لا يعتبر نفسه سيدا على هذه الجماهير التي تدين له بالطاعة والولاء. وبدلا من ذلك، فإنه يستمع بعناية لهم ،ويولي آراءهم اهتماما كبيرا. إنه يتصرف بعيدا عن الأساليب الاستبدادية المرتبطة بالبيروقراطية الرجعية. وتتميز الثورة عن الفوضى المدمرة. إنها تتطلب الانضباط وأفضل مسار ممكن للعمل. أما التخريب والإجراءات المغامرة أيا كان نوعها، بدلا من تعزيز الثورة والانضمام لحركة الجماهير، فإنها تضعف الجماهير العريضة. ولذلك، فإن أعضاء لجان حماية الثورة تضطر إلى رفع وتيرة إحساسهم بالمسؤولية أمام الشعب من أجل السعي لنيل الاحترام والإعجاب. هذه العيوب هي في معظم الأحيان ناتجة عن الجهل بطبيعة وأهداف الثورة. ولحماية أنفسنا، يجب علينا أن ننشغل بدراسة النظرية الثورية. ولا شك أن الدراسة النظرية تساعدنا على فهم الظواهر، وتنير لنا الطريق وتحمينا من العديد من الافتراضات المسبقة. ونحن الآن بحاجة إلى إيلاء اهتمام خاص بهذا الجانب من المسألة، ونسعى إلى أن نكون المثال

والنموذج الذي يشجع الآخرين على أن يحذوا حذونا».

خامسا :نحو« تثوير» كافة قطاعات المجتمع

في هذا الجزء يضع خطاب التوجه السياسي خارطة طريق وبرنامجا تفصيليا لعمل كافة قطاعات المجتمع. حيث أن فلسفة التغييرات الثورية تؤثر على المجالات التالية: الجيش الوطني؛ الوضع السياسي للمرأة؛ والبناء الاقتصادي.

**1) الجيش الوطني:**

إن الرسالة الثورية الوطنية للقوات المسلحة تفرض عليها ثلاثة التزامات:

- أن تكون قادرة على محاربة أي عدو في الداخل والخارج، والمشاركة في التدريب العسكري لبقية الناس. مما يعني زيادة القدرة الاستيعابية بحيث يصبح كل فرد مؤهلا للقيام بمهام قتالية، وهو عكس صورة الجيش القديم الذي كان عبارة عن جيش من الموظفين.

- المشاركة في الإنتاج الوطني. «في الواقع، يجب على الجيش الجديد أن يعيش ويعاني بين الناس الذين ينتمي إليهم. لقد ولى زمن الجيش الذي يعتمد على الميزانية المخصصة له . اليوم، وبصرف النظرعن التعامل مع الأسلحة في الميدان، **فإنه سيتم تربية قطعان الأبقار والأغنام والدواجن. وسوف يقوم الجيش ببناء المدارس والعيادات، ويقوم بتشغيل وصيانة الطرق، ويقوم بنقل المرضى والمنتجات الزراعية عن طريق الجو إلى مختلف المناطق**».

- التدريب العسكري لكل النشطاء الثوريين. لقد ولت الأيام عندما كنا ندّعي الحيادية والطبيعة غيرالسياسية للجيش في ذات الوقت الذي يتم فيه تأمين مصالح القوى الرجعية والإمبريالية !.

« لقد ولت الأيام التي كان جيشنا الوطني يتصرف فيها مثل مجموعة من المرتزقة الأجانب في الأراضي المحتلة! لقد ذهب ذلك بلا رجعة. إن جنودنا اليوم متسلحين بالتدريب السياسي والأيديولوجي، كما أن الضباط المشاركين في

العملية الثورية سوف يجعلون من تقاليد أن يصبح العسكر مجرمين محتملين أثرا بعد عين حيث يمتلك الجنود الجدد ناصية الوعي الثوري ويكونون وسط الجماهير، كالسمك في الماء»[1].

**2) المرأة الفولتاوية: دورها في الثورة الشعبية الديمقراطية**

اهتم الخطاب الثوري لتوماس سانكارا بالمرأة حيث أنه اعتبر أن تحرير المرأة يقع في قلب عملية التحرر الوطني والتخلص من نظم الهيمنة بكافة أشكالها.« لا شك أن التقاليد الموروثة في مجتمعنا تكرس من وضعية المرأة كعبء. ومع كل شرور المجتمع الاستعماري الجديد، فقد عانت المرأة بشكل مضاعف: أولا، لأنها تعاني نفس معاناة الرجل، وثانيا، لأنها تعاني معاناة إنسانية أخرى.إن ثورتنا تؤثر على جميع المظلومين، الذين يتم استغلالهم في مجتمع اليوم. وبالتالي فإنها معنية بأمر المرأة، لأن أساس الهيمنة عليها من قبل الرجل يكمن في منظومة الحياة السياسية والاقتصادية للمجتمع. الثورة تغير النظام الاجتماعي الذي يضطهد المرأة، وتخلق الظروف المناسبة من أجل التحرر الحقيقي. المرأة والرجل في مجتمعنا هما ضحايا القمع والهيمنة الإمبريالية. هذا هو السبب في أنهم يقاتلون نفس المعركة. الثورة وتحرير المرأة يسيران جنبا إلى جنب. والحديث عن تحرير المرأة ليس عملا خيريا أو بادرة إنسانية. بل هو ضرورة أساسية لانتصار الثورة. المرأة هي نصف المجتمع. إن علينا خلق عقلية جديدة لنسائنا بما يؤهلهم لتولي مصائر البلاد والعباد جنبا إلى جنب مع الرجال، وهذه هي المهمة الأساسية للثورة».

ومع ذلك كان سانكارا على وعي بأهمية الدور الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة حيث لا تصبح المساواة بينهما مجرد مسألة ميكانيكية. «إنها سوف تشارك في جميع مستويات التخطيط واتخاذ القرار والتنفيذ، وتنظيم حياة الأمة بأكملها. والهدف النهائي من كل هذا المشروع الكبير هو بناء مجتمع حر ومزدهر تكون فيه النساء على قدم المساواة مع الرجال في جميع المجالات. ومع ذلك، يجب أن

(1) خطاب التوجه السياسي، مرجع سابق، ص 47-48.

يكون لدينا فهم عادل لقضية تحرير المرأة. إنها ليست المساواة الميكانيكية بين الرجل والمرأة. إن اكتساب العادات التي ارتبطت بالرجل مثل شرب الخمر والتدخين، وارتداء السراويل، لا يعني تحريرا للمرأة. ليست هذه هي المؤهلات التي سوف تجعل المرأة مساوية للرجل أو تكون أكثر انعتاقا. إنها ليست درجة تجتازها المرأة من أجل التحرر. التحرر الحقيقي للمرأة هو الذي يمكن المرأة، من الجمع بين الأنشطة الإنتاجية، والمشاركة في مختلف الصراعات التي تواجه الشعب. التحرر الحقيقي للمرأة هو الذي يحظى باحترام وتقدير من الرجل. التحرر يعني الحرية ولا يعني الفوز على الرجل. إن على النساء أنفسهن النضال من أجل تحقيق مطالبهن واتخاذ الإجراءات اللازمة للنجاح. الثورة الديمقراطية الشعبية سوف تعمل على تهيئة الظروف اللازمة لتمكين المرأة من تحقيق كامل حريتها، فهل من الممكن تصفية النظام الذي تشكل فيه المراة أكثر من نصفه؟»[1].

**3) اقتصاد وطني مستقل، يحقق الاكتفاء الذاتي ومخطط لخدمة مجتمع ديمقراطي شعبي.**

إن عملية بناء اقتصاد وطني ومستقل، ومخطط لن تتم إلا من خلال تحول جذري في المجتمع الحالي، والتحول في حد ذاته يتطلب إصلاحات رئيسية:

- **الإصلاح الزراعي** الذي يهدف لتحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتي من الغذاء من خلال: زيادة إنتاجية العمل وهو ما يتحقق عن طريق تنظيم أفضل للمزارعين وإدخال التقنيات الزراعية الحديثة في عالم الريف.تطوير الزراعة المتنوعة مع تحقيق التخصص الإقليمي في بعض المنتجات.إلغاء جميع الحواجز المحدد ة للهياكل الاجتماعية والاقتصادية التقليدية والتي تقوم على قهر الفلاحين.وأخيرا، أن تصبح الزراعة هي الدعامة الأساسية للتنمية الصناعية.

- إصلاح الإدارة الذي يهدف إلى تشغيل نظام الإدارة الموروث من

(1) المرجع السابق، ص 49-.50.

الاستعمار. وللقيام بذلك، أعلن الخطاب عن سياسة التخلص من جميع العلل التي تعترض ذلك، ولاسيما البيروقراطية المعطلة، وتبعاتها، وإجراء مراجعة شاملة لقوانين الخدمة المدنية. مثل هذا الإصلاح سوف يؤدي إلى خفض التكاليف الإدارية، مع تحقيق درجة عالية من المرونة والكفاءة.

- **إصلاح النظام المدرسي** الذي «يهدف إلى تعزيز اتجاه جديد في التعليم والثقافة. ولعل هذا التحول يكون بمثابة أداة للثورة. فالخريجون من هذا النظام الجديد، سوف لا يعبرون عن مصالحهم الخاصة وإنما يعملون على خدمة الجماهير.» إن التعليم الثوري الذي سوف يتم توفيره في المدارس سوف يغرس في كل فرد على الصعيد الأيديولوجي، شخصية وطنية تخلصه من آفة التقليد الأعمى. يتعلم الطلاب من بعضهم القدرة على الاستيعاب النقدي للأفكار الإيجابية وتجارب الشعوب الأخرى، وهذه واحدة من مهام المدرسة في مجتمع ديمقراطي شعبي. ولإنهاء الأمية والظلامية، سوف يتم التركيز على حشد كل الطاقات لتنظيم الجماهير وتثقيفهم وخلق روح التعلم فيهم بحيث تبين لهم مساوئ الجهل. ولاشك أن أي سياسة لمحاربة الأمية، من دون مشاركة أصحاب المصلحة الرئيسيين مصيرها الفشل لا محالة. أما بالنسبة للثقافة في مجتمع ديمقراطي شعبي، فإنها ذات طبيعة ثلاثية: وطنية،وثورية وشعبية. كل ما هو غير وطني ، ومناهض للثورة ومعادي للشعب يجب منعه. على العكس من ذلك، فإن ثقافتنا تحتفي بفضائل الكرامة والشجاعة والقومية والقيم الإنسانية الكبرى».

- **إصلاح هياكل الإنتاج والتوزيع في القطاع الحديث.** وتهدف هذه الإصلاحات في هذا المجال إلى إنشاء رقابة فعالة تدريجيا على الأشخاص في دوائر الإنتاج والتوزيع في فولتا العليا. لأنه بدون تحكم حقيقي في هذه الدوائر، فإنه من المستحيل بناء اقتصاد مستقل للشعب.

4) **السياسة الخارجية:**

لقد عارضت ثورة سانكارا كل أشكال الامبريالية والهيمنة الجديدة في الوقت

الذي سعت فيه إلى تبني نهج سياسي خارجي مستقل وغير منحاز يقوم على أساس المبادئ التالية:

- الاحترام المتبادل لاستقلال الدول وسلامة أراضيها وسيادتها الوطنية.
- عدم الاعتداء المتبادل.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- التجارة مع جميع الدول على قدم المساواة وعلى أساس المنافع المتبادلة.
- إعلان التضامن والدعم لكل حركات التحرر الوطني التي تناضل من أجل الاستقلال والتحرر الوطني. هذا الدعم على وجه الخصوص قدم لشعب ناميبيا تحت قيادة سوابو والشعب الصحراوي في كفاحه لاستعادة أراضيه وإلى الشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية.

«إننا نستهدف في نضالنا، حلفاءنا الأفارقة المعادين للإمبريالية. ولعل ذلك يستلزم التقارب مع تلك البلدان لمواجهة المد الاستعماري الجديد الواقع في قارتنا»[1].

لم يكن سانكارا يخفى ميوله الماركسية أبدا حيث ظهر ذلك جليا في لغة خطابه السياسي ، وهو الأمر الذي جعله أكثرراديكالية من العديد من أقرانه ومرافقيه. دفع ذلك الأمر توماس سانكارا إلى البدء بإعادة هيكلة النخبة الحاكمة ولاسيما المحيطين به. تألف فريقه الرئاسي من نحو 150 فردا تم اختيارهم بعناية. لقد كان سانكارا يؤمن بعدم وجود المستحيل وهو ما يتضح في فرض مواعيد نهائية لإنجاز المشروعات بشكل لا يكاد يصدقه عقل. رأى أن الثورة الحقيقية تعني تحسين الأحوال المعيشية للمواطنين وإحداث قطيعة نهائية مع سياسات الماضي، وإعادة هيكلة نظم الإدارة، وإعادة توزيع الثروة؛ وتحرير المرأة؛ وإلغاء صلاحيات رؤساء القبائل، الذين كانوا مسؤولين عن تخلف الريف؛ وذلك في محاولة منه لتحويل الفلاحين إلى طبقة اجتماعية ثورية.

(1) المرجع السابق، ص 56.

لقد أعاد سانكارا هيكلة مؤسسات الدولة وعلى رأسها الجيش والقضاء ضاربا بقواعد النظام القديم عرض الحائط. إذ أصبح الجيش ناشطا في عمليات التنمية حيث بات جنوده يشاركون في الزراعة والبناء الوطني. يعني ذلك أن الجيش في عهد سانكارا أصبح في خدمة الشعب حيث شارك في المهام المخصصة للإنتاج. وقد أخذ سانكارا بنظام اللامركزية، كما أدخل نظام الديمقراطية المباشرة عبر اللجان المحلية للدفاع عن الثورة مع ايلاء أهمية كبرى لمكافحة الفساد. وفي 4 أغسطس 1984 تم تغيير اسم فولتا العليا ليصبح بوركينا فاسو، « أرض الشرفاء» أو أرض الأحرار[1].

انطلقت خطة التنمية الشعبية حيث قامت كل أقاليم الدولة بتحديد أولوياتها التنموية وايجاد الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأولويات الخاصة بها. وقد لخص سانكارا جوهر نمط التنمية المستهدف بقوله: « إن الشيء الأكثر أهمية هو أن تُعطي الناس الثقة بأنفسهم، وتُساعدهم على فهم أنهم قادرون على تعريف وتحديد السعادة الخاصة بهم، وتُمكنهم من اتخاذ القرار بشأن أهدافهم الخاصة وفهم الثمن الذي يجب دفعه». عمد نظام سانكارا إذن إلى تحقيق نمط التنمية المستقلة المعتمدة على الذات بحيث لا تشكل المساعدات الخارجية أحد ركائزها. يقول سانكارا:« إن المساعدات الغذائية ...تصبح جزءا لا يتجزأ من نمط تفكيرنا. ولعل ذلك يجعلنا كالمتسولين الذين يعيشون على الصدقات. علينا أن ننتج، أكثر، لأن الذي يتكفل بإطعامك سوف يفرض إرادته عليك كذلك».

(1) تجدر الإشارة إلى أن اسم« بوركينا فاسو» مكوّن من اللُّغات الثَّلاث الأكثر انتشارا؛ لغة مُوري، وهي لغة الأغلبية ، ولغة جُولاَ أو البَمبارا، واللُّغة الفلانية، فكلمة بوركينا بلغة الموري أي لغة شعب الموسي تعني الحر. (Burkina). أما فاسو فتعني بلغة شعب الجولا – الوطن (Faso)، وهو ما يعني أن الاسم يعني وطن الأحرار أو الشرفاء. وتعني (bè) بلغة الفولانيين- من ينتسب إلى بوركينا. وهكذا فإن اسم دولة بوركينافاسو مكوّن من أشهر لغتين فيها، والنسبة مأخوذة من اللغة الثالثة. أنظر في ذلك: محمد الأمين سوادغو، ثورة (30 أكتوبر) في بوركينافاسو ... قراءة سياسية ونظرة مستقبلية، مجلة قراءات أفريقية، 27نوفمبر 2014.

# الفصل الرابع

## بناء الدولة والتنظيم السياسي

مقدمة:

استطاع المجلس الوطني للثورة تبنى نمطا من الخطاب السياسي حول المجتمع غير مسبوق في الخبرة البوركينابية. فقد اتسم هذا الخطاب بنزعة إقصائية حيث رفض كل أنماط الخطابات الأخرى. وكان واضحا أن وظيفة هذا الخطاب الثوري الجديد هي الوصول إلى صياغة «عقد اجتماعي » جديد طبقا لتحديد موقع كل طبقة أو شريحة اجتماعية في علاقات الإنتاج والمصالح الاقتصادية. ولعل تحليل خطاب التوجه السياسي الذي يعد مانفستو الثورة كما سبق وأن بينا يوضح ما نقول. ومن خلال عمليات الإدماج والإقصاء يحدد هذا الخطاب العام الجديد موقع كل شريحة اجتماعية في العملية الثورية بحيث يصبح الشعب في ناحية وأعداؤه في ناحية أخرى[1].

لقد أضحى المجلس الوطني للثورة متسلحا بسلاح الشرعية الثورية وفقا لهذا الخطاب، وهو ما مكنه من فرض نظامه الخاص بالسيطرة والهيمنة. ففي مواجهة شبكات التضامن التقليدية تقف لجان الدفاع عن الثورة باعتبارها تمثل الإطار التنظيمي لسلطة الشعب. لقد أضحت هذه اللجان تعلو ولا يُعلى عليها ، فهي تتجاوز كافة التنظيمات الجماهيرية الأخرى فضلا عن حقها في تنظيم الفضاء العام على إطلاقه في كافة الأحياء والقرى وأماكن العمل. ولعل ذلك يذكرنا

(1)Otayek, Rene. « Burkina Faso: between feeble state and total state, the swing continues» in Cruise O'Brien, Donal B., John Dunn, and Richard Rathbone. (eds.), Contemporary West African States. Cambridge: Cambridge University Press, 1989.pp. 21-22.

بمقولة العقيد الليبي الراحل والتي تمثل شعار دولة الجماهير: « اللجان الشعبية في كل مكان». وكما يتضح من هذا الفصل فإن المجلس الوطني للثورة فضلا عن دوره كمرشد أعلى للثورة قد أخذ على عاتقه مهمة تحقيق التجانس الاجتماعي بما يسهل له السيطرة والتحكم. وفي نفس السياق تمت إعادة هيكلة مرفق العدالة من خلال تأسيس المحاكم الشعبية للمصالحة والتي حلت محل هيكل النظام القضائي التقليدي. ولم يكتف المجلس الوطني بعمليات الهيكلة تلك لأذرع ومؤسسات الدولة الكبرى وإنما قام أيضا بإعادة التقسيم الإداري للبلاد حيث قسمت إلى ثلاثين منطقة جغرافية تكاد تتطابق مع الحدود الإثنية والعرقية التقليدية. على أن واغادوغو تم تقسيمها إلى ثلاثين قطاعا في حين قسمت «بوبو دياو لاسو» إلى خمسة وعشرين قطاعا. ولعل هذا التقسيم الإداري الجديد يسهل من تطبيق مبدأ المركزية الديمقراطية الذي أخذ به نظام سانكارا.

أولا: مفهوم بناء الدولة

لقد تحدث سانكارا من وقت لآخر عن الحاجة إلى «الوطنية» للدفاع عن، وبناء وتحديث بلاده. لكنه تجنب عموما النزوع إلى القومية بالمعنى الضيق للمفهوم. لم تكن هناك أدبيات كثيره عن الدولة «الاستعمارية الجديدة» في فولتا العليا تستحق النظر أو الاستناد عليها فكريا. وعلى أي الأحوال حاول سانكارا أن يربط الحركة الثورية في بلاده بسياقها الإقليمي والقاري، بل وبمحيطها العالمي الأوسع نطاقا. ومع ذلك، فقد أطلق سانكارا لعملية التغيير الثوري العنان من أجل بناء الدولة الوطنية بشكل لم يسبق له مثيل ولم يكن متوقعا من قبل. لقد مثلت هذه العملية ركيزة أجندته الثورية. لقد حاول جاهدا تجميع شتات مختلف الأعراق والقوميات التي تشكل فولتا العليا من خلال إعطائهم روحا جديدة، كما عمل في نفس الوقت على تحدي الحدود الضيقة والمصطنعة للهيمنة الخارجية والموروثة عن الماضي الاستعماري. وطبقا لأدبيات التحليل الماركسي فهم سانكارا أن طبيعة وإمكانيات الثورة تحددها « الظروف الموضوعية» المرتبطة بحقائق الأوضاع على أرض الواقع.

لقد اعترف سانكارا صراحة أن الثورة حدثت في بلد زراعي متخلف تثقل كاهل الجماهير العريضة فيه تقاليد بالية ويعاني من موروث فكري مرتبط بالنظام الإقطاعي القديم، وذلك في ظل عدم وجود طبقة عاملة منظمة واعية بمهمتها التاريخية. وعليه لم تكن عملية بناء النظام الاشتراكي ملحة على قائمة أولويات الأجندة الثورية. فقد دفعت حالة التخلف الشديد الذي عانت منه الدولة في فولتا العليا إلى ضرورة إعطاء الأولوية لقضايا أخرى أكثر إلحاحا. في الذكرى السنوية الأولى لثورة 1983 أعاد المجلس الوطني للثورة بزعامة سانكارا تسمية البلاد لتصبح «بوركينا فاسو»، والذي يمكن ترجمته إلى العربية باسم 'أرض الشرفاء «. والاسم ، كما بينا من قبل، عبارة عن مقطعين ينتمي كل منهما إلى لغة من لغات الجماعات العرقية التي تسكن البلاد. وقد قصدت الحكومة من وراء ذلك أحداث قطيعة مع الماضي الاستعماري والتعبير عن الهوية الأفريقية للدولة الجديدة بحيث تستمد مشروعيتها من ثقافة السكان القاطنين فيها.

في ظل الدولة الاستعمارية في فولتا العليا كانت شعوب الموسي تميل إلى الهيمنة نظرا لأنهم يشكلون نحو نصف عدد السكان فضلا عن تركزهم الجغرافي في منطقة الوسط في واغادوغو وما حولها. على أن سانكارا أخذ منحى أكثر شمولية رغم أن معظم أعضاء المجلس الوطني للثورة كانوا من الموسي وكان سانكارا نفسه ينتمي إلى جماعة عرقية هامشية تعرف بالسلمي موسي ( وهي سلالة هجين من شعوب الموسى والفولاني). لم تعد اللغة الفرنسية هي لغة الأخبار الوحيدة في تليفزيون الدولة الرسمي حيث استخدمت لغة المور وبعض اللغات الوطنية الأخرى. ونظرا لعدم قدرة كثير من المواطنين على شراء أجهزة التليفزيون فقد ظل الراديو هو الوسيلة المفضلة لديهم حيث كان يبث برامجه بنحو 11 لغة وطنية.

في مارس 1985 تحدث سانكارا في مقابلة مع مجلة إخبارية، هي انتركونتيننتال للصحافة[1]، عن تقييمه لخبرة عام ونصف من عمر الثورة في بلاده.

(1)Ama Biney , Burkina Faso: Revisiting Thomas Sankara, 26 Years Later, Fahamu, 24 OCTOBER 2013.

كان صريحا تماما في اعترافه بأن «التحولات المادية في حياة الشعب لم تكن قد اكتملت بعد. ومع ذلك، تم بناء المدارس والعيادات والسدود والطرق والإسكان من أجل الناس العاديين ». كان سانكارا منفتحا في قوله: «إن أهم شيء بالنسبة لنا، مع ذلك، هو ليس ما ينقصنا. وإنما هو الجهد الذي بذلناه لتحويل مواقف الناس».ونبه إلى ضرورة تحديد 'الروح الاستعمارية الجديدة التي توجد في هذا البلد.ومكائد الإمبريالية من أجل السيطرة على البلاد من الداخل والخارج «وهو ما دفعه للقول بأنه:« لا يزال لدينا العديد من الصراعات التي تنتظرنا لمكافحة الإمبريالية ».

في عام 1986 تم إطلاق حملة كبرى لمحو أمية الكبار في تسع مسيرات ومؤتمرات كبرى حيث كانت تصاحبها في كثير من الأحيان الرقصات والعروض الموسيقية من قبل فرق من مختلف المجموعات العرقية. لقد أدت هذه الروح الثورية الجارفة إلى شعور الناس بالانتماء إلى هويتهم الأفريقية والفخر بتراث بلدهم الثقافي.

ثانيا: طبيعة التنظيم السياسي

انتظم شكل السلطة في بوركينا فاسو وفقا لنمط الدائرة المركزية حيث شكل مركز القلب فيها مجموعة الأصدقاء الأربعة : توماس سانكارا وهنري زونغو، وبليز كومباوري وجان باتيست لينجاني. ويجد المرء بعد ذلك حول هذه النواة الصلبة المجلس الوطني للثورة الذي ظلت عضويته سرية، ولكنه كان يتألف من نفس المجموعة السابقة بالإضافة إلي القائد عبده سلام كابوري وعدد من القادة السياسيين والعسكريين الرئيسيين في البلاد. ثم تأتي الحكومة والذي يشكل المدنيون أغلبية أعضائها، وأخيرا لجان الدفاع عن الثورة. ويلاحظ أنه بينما يمتلك المجلس الوطني للثورة سلطة السيطرة والتوجيه فإن لجان الدفاع عن الثورة مثلت التعبير المؤسسي لسيادة الشعب وسلطته الثورية، وبشكل أكثر تحديدا، تقوم هذه اللجان بثلاثة وظائف أساسية هي:

- وظيفة سياسية لتطوير وعي الجماهير من خلال التعليم والتدريب والتعبئة،
- وظيفة اجتماعية وثقافية واقتصادية، أي تنظيم الأشغال والمهام العامة الجماعية على المستوى المحلي؛
- وظيفة عسكرية، وهي الدفاع عن الثورة ضد التهديدات الداخلية والخارجية المحتملة.

ويمكن ملاحظة وجود لجان الدفاع عن الثورة في جميع مستويات الهيكل الإداري المبسط في البلاد: القرية والمدينة والحي والمدرسة والوحدة العسكرية وهلم جرا.

ويلاحظ أن أعلى قمة الهرم التنظيمي تتمثل في مكتب الأمين العام (برئاسة الكابتن بيير يدراوغو) والذي يرتبط مباشرة بالمجلس الوطني للثورة. ثم يأتي بعد ذلك مؤتمر لجان الدفاع عن الثورة، الهيئة العليا لهذا التنظيم السياسي، وهو عبارة عن ممثلي جميع الوحدات المكونة للنظام. ثم يأتي بعد ذلك مسئولوا المقاطعات الثوريون الذين يمتلكون صلاحيات تنفيذية واسعة على المستوى المحلي. بعد ذلك نجد خلايا تنظيمية في كل مكان على مستوى القرية والحي والمدينة ومكان العمل وحتى الوحدات العسكرية. وبعبارة أخرى فإن هذه اللجان الشعبية وجدت في كل مستوى من مستويات الهيكل الإداري للدولة، من القرية إلى المقاطعة. وتتألف كل خلية على مستوى المنطقة فما دون من لجنة تنفيذية مؤلفة من تسعة أعضاء منتخبين ومسئولين أمام القاعدة الشعبية. ومن ناحية أخرى فإن لجان الدفاع عن الثورة كانت تعمل وفقا لمبدأ المركزية الديمقراطية الذي يعني أن تخضع المنظمات الأدنى للمنظمات الأعلى. وعلى أية حال فإن هذا النظام كان يهدف إلى تدعيم قنوات الاتصال مع الجماهير ،أي التواصل من المجلس الوطني للثورة ولجان الدفاع عن الثورة التي تعبر عن سلطة الجماهير الشعبية العريضة.

وقد لجأ نظام سانكارا إلى تهميش الهياكل السياسية في النظام القديم وتغيير قواعد المباراة السياسية وذلك من أجل صعود حركات شعبية راديكالية جديدة. ولعل هذه الخطوة التي جعلت النظام يفضل الخطاب الثوري العمالي كانت تسعى إلى تحقيق هدفين كبيرين: أولهما توسيع قاعدة التأييد الشعبي لنظام سانكارا، وهو ما يعني بالتبعية تحقيق الشرعية الثورية من خلال ضمان دعم وتأييد قوى سياسية واجتماعية أكثر حركية وديناميكية مثل المثقفين والعمال. وثانيا: إعطاء اليسار السياسي الراديكالي مهمة الوظيفة الكفاحية والدعائية من خلال تولي مهام الصياغة الأيديولوجية للنظام[1].

المحاكم الشعبية:

في 19 أكتوبر عام 1983 تم الأخذ بنظام المحاكم الشعبية، وهي تتألف من ثمانية عشر عضوا (3 قضاة و 3 أعضاء من الجيش و 12 عضوا من لجان الدفاع عن الثورة) ويرأسها قاض. وكقاعدة عامة، كان اختصاص محاكم الثورة يتسع ليشمل أي جريمة سياسية أو اقتصادية أو أي جريمة يرتكبها موظفو الخدمة المدنية أو الموظفين العموميين أثناء تأديتهم لأعمالهم[2].

وبالفعل استطاعت هذه المحاكم الشعبية أن تدير محاكماتها علنا حيث وجدت المئات من كبار المسئولين السابقين وموظفي الخدمة المدنية مذنبين بارتكاب جرائم سوء الإدارة والرشوة والسرقة أو اختلاس الأموال العامة. وعادة ما كانت الأحكام تتضمن دفع غرامات أو رد الأموال المسروقة أو أحكام مخففة

(1)Markakis, John, and Michael Waller. Military Marxist Regimes in Africa. Oxfordshire, England: Routledge, 2013,89.

(2) إن المبرر لإنشاء المحاكم الشعبية من وجهة نظر سانكارا يكمن في حقيقة « أن شعب فولتا العليا قد عزم على استبدال المحاكم التقليدية من خلال تطبيق مبدأ المشاركة الحقيقية بهدف تمكين الجماهير المضطهدة من إدارة شئون الدولة في كافة المجالات » أنظر:

Kandeh, Jimmy D. Coups from Below Armed Subalterns and State Power in West Africa. New York: Palgrave Macmillan, 2004. P. 129>

بالسجن .

**لقد كان القصد من وراء إنشاء هذه المحاكم الشعبية هو تحقيق هدفين رئيسيين.**

**أولا:** التوكيد على أهمية نشر الأخلاق الثورية في البلاد.

**وثانيا:**النظر إلى هذه المحاكم باعتبارها تجسيد للسلطة الشعبية الثورية.

وقد نظرت هذه المحاكم بعض القضايا الهامة على المستوى الإقليمي مثل القضية المعروفة إعلاميا باسم «قضية دياوارا» في 14 أبريل عام 1986. فقد وجهت التهم بالاختلاس لكل من رجل الأعمال والوزير السابق في الحكومة الإيفوارية محمد دياوارا، والسنغالي موسى نغوم الأمين العام السابق للجماعة الاقتصادية لغرب أفريقيا، وموسى دياكيتي من مالي ،وهو مدير سابق لصندوق التضامن واالتنمية التابع للجماعة الاقتصادية لغرب أفريقيا. اتهم هؤلاء باختلاس 6.5 مليار فرنك أفريقي (حوالي 18 مليون دولار أمريكي) من أموال الجماعة الاقتصادية لغرب أفريقيا. واستنادا إلى الإجراءات القانونية التي بدأت في أكتوبر 1984 تم اعتقال المتهمين الثلاثة. وبعد محاكمة قصيرة أجريت خلال الدورة الخامسة عشرة للمحاكم الشعبية في واغادوغو (مارس وأبريل 1986)، صدر الحكم بحبس الرجال الثلاثة لمدة 15 عاما.كما أمرت المحكمة كلا من دياوارا ودياكيتي بدفع 6.5 مليار فرنك أفريقي فيما بينهما بالإضافة إلى دفع مبلغ 650مليون فرنك أفريقي على سبيل التعويض عن الأضرار، وكذلك دفع غرامات فردية بمقدار مليون فرنك أفريقي. أما موسى نغوم فقد أمر بدفع 142 مليون فرنك بالإضافة إلى 14.2 مليون فرنك تعويضا عن الأضرار والفوائد . كما تمت مصادرة ممتلكاتهم الشخصية وحرموا من حق الاستئناف اللهم إلا من طلب العفو الرئاسي من قبل الرئيس سانكارا. ونتيجة لهذه المهنية في التعامل مع هذه القضية المعقدة رأي كثير من الكتاب أن خبرة هذه المحاكم تختلف تماما عن الخبرات الثورية الأخرى مثل إيران وليبيا.

ومن ناحية ثالثة تم تطهير الجيش وإعادة تنظيمه. فاستبدلت قيادة الأركان بإطار قيادي جديد تحت مسمى القيادة العليا والتى كان على رأسها أحد الأتباع المخلصين لتوماس سانكارا القائد جان باتست لانجاني. وفي نفس السياق تم حل وتسريح الحرس الجمهوري،أما قوات الدرك فقد تم إعادة تنظيمها وتأهيلها كي لا تصبح قوة انقلابية تهدد بقاء النظام الجديد. وعليه فإن آليات التنظيم السياسي الجديد التي شملت جميع مؤسسات الدولة قد أدت إلى تحقيق هدفين متلازمين: أولهما قطع الروابط مع النظام القديم وتطبيق مفهوم النقاء الثوري، وثانيا تعزيز سلطة المجلس الوطني للثورة باعتباره أعلى سلطة مؤسسية تعبر عن سيادة الإرادة الشعبية[1].

لم يكن سانكارا يؤمن بفكرة الأحزاب السياسية حيث نظر إليها باحتقار شديد. يقول في ذلك:«لا يمكن إنشاء حزب طبقا لإرادة القادة وحدهم لأن ذلك يفتح الباب أمام كافة أنواع الانتهازية.ينبغي علينا مهما كانت التضحية تجنب شهوة الانتهازية التي تدفع باتجاه الحياة الحزبية المغرضة. إن إنشاء حزب سياسي بعد الاستيلاء على السلطة يعد أمرا خادعا له مساوئه. فالأحزاب مقيدة وتقوم على الانتقائية في علاقتها بالجماهير التي تمت تعبئتها. ومنذ تلك اللحظة التي يضع المرء فيها نفسه في مصاف الأقلية يتم عزل الجماهير التي يقوم هو بقيادتها»[2]. وعليه فقد قام سانكارا بحل جميع الأحزاب السياسية باعتبارها تمثل قوى النظام القديم.ومن أجل استكمال دور ووظيفة لجان الدفاع عن الثورة قام نظام سانكارا بتأسيس مجموعة من التنظيمات الجماهيرية للمساعدة في حشد وتعبئة الجماهير العريضة بكافة قطاعاتها. ومن أبرز تلك التنظيمات:

- الاتحاد النسائي البوركينابي.
- الحركة الوطنية للرواد.

(1)Markakis, John, and Michael Waller. Military Marxist Regimes in Africa. Oxfordshire, England: Routledge, 2013, p.87.

(2) نقلا عن : Kandeh ص 130.

- الاتحاد الوطني للفلاحين.
- الاتحاد الوطني لكبار السن.

وعلى أية حال فإن هذه المركزية الثورية التي جعلت المجلس الوطني للثورة هو الحاكم بأمره ويستخدم اللجان المدافعة عن الثورة لتنفيذ سياساته قد انطوت على ممارسات فاسدة وإساءات بالغة بحق المواطنين البسطاء ، وهو ما جعل هذه المؤسسة الثورية تفقد شعبيتها في بعض الحالات. ففي المؤتمر الوطني العام لهذه اللجان الثورية عام 1986 انتقد سانكارا علنا سلوك المسئولين فيها الذين تعاملوا وكأنهم في برج عاجي واستغلوا مناصبهم للإثراء غير المشروع. أضف إلى ذلك فإن بعض القوى الرجعية والمعادية للثورة تمكنت من اختراق هذه اللجان بعد أن تخفوا تحت عباءة الثورة.

ومن جهة أخرى فإن الصراع على السلطة داخل المجلس الوطني للثورة الحاكم أدى إلى حدوث انشقاق بينه وبين التنظيمات العمالية اليسارية التي تحالفت معه منذ بواكير الثورة. ولعل أبرز تلك المواجهات هي تلك التي وقعت بين النظام والعصبة الوطنية للتنمية بسبب عدم إعطاء أمينها العام سوماني توري منصب الأمين العام للمجلس الوطني للثورة. وقد أدت هذه المواجهة إلى طرد معظم ممثلي هذه العصبة من الحكومة في عام 1984. وفي العام التالي تم اعتقال أمينها العام سوماني توري بسبب اتهاماته للمجلس الثوري بالفساد.عندئذ لم يبق لنظام سانكارا من حليف مدني سوى «اتحاد المناضلين الشيوعيين»، ولعل ذلك هو ما دفعه لإنشاء منظمتين أخيرتين هما: « اتحاد الشيوعيين البوركينابيين» و«الجماعة الشيوعية البوركينابية» وذلك من أجل تحقيق التوازن السياسي مع التنظيمات العمالية اليسارية. وبعبارة أخرى فإن نظام سانكارا سعى إلى أن يكون المثقفين اليساريين معادلا موضوعيا لقوة الحركة العمالية اليسارية.

ومن الواضح أن النخبة الحاكمة في عهد سانكارا كانت منقسمة حول المسألة الحزبية. ولعل السؤال الذي طرح عليهم تمثل في : هل من الأنسب بالنسبة للنظام

الثوري إقامة حزب سياسي؟. يبدو أن جناح كومباوري كان يسعى لاقامة حزب ثوري بالمفهوم الطليعي وذلك من خلال توحيد الأجنحة التي يتألف منها المجلس الوطني للثورة (تنظيم العسكريين الثوريين واتحاد المناضلين الشيوعيين واتحاد الشيوعيين البوركينابيين والجماعة الشيوعية البوركينابية). على أن بعض الروايات تشير إلى أن سانكارا نفسه هو الذي كان يسعى لإقامة جبهة حزبية متحدة. ويبدو أن الخلاف لم يكن حول فكرة الحزب السياسي بقدر ماكان حول طبيعته وشكله. لقد كان سانكارا يأمل في إنشاء تنظيم حزبي يتجاوز الإنحيازات الضيقة التي تعبر عنها التنظيمات المكونة للمجلس الوطني للثورة بينما فضل الجناح الآخر في السلطة إقامة حزب طليعي مركزي. وأيا كان الأمر فإن مسألة التعددية الحزبية لم تكن واردة على الإطلاق.

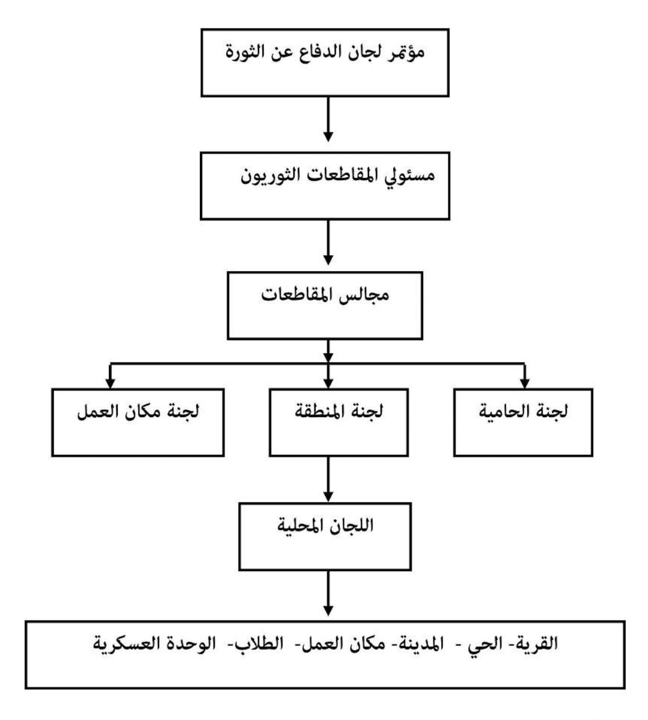
ويلاحظ أن التوجهات السياسية والاقتصادية لنظام سانكارا أدت إلى تراجع أهمية الدور الذي كانت تقوم به النقابات العمالية في ظل نظم الحكم السابقة. ونظرا لوجود لجان الدفاع عن الثورة في جميع أماكن العمل فقد تراجعت القوة التفاوضية للتنظيمات العمالية التقليدية. وعلى سبيل المثال فإن الإضرابات والاحتجاجات التي قام بها اتحاد المعلمين عام 1984 قوبلت بحزم شديد حيث فصل عدد كبير من المعلمين. وعلى الرغم من انقسام الرأي داخل المجلس الوطني للثورة الذي يهيمن عليه العسكريون فقد تم فرض قيود صارمة على أنشطة النقابات العمالية بشكل عام[1].



(1)Speirs, Mike. Agrarian Change and the Revolution in Burkina Faso , African Affairs, Vol. 90, No. 358 (Jan., 1991), pp. 89-110.

**شكل رقم 1**

**الهيكل التنظيمي للمجلس الوطني للثورة**




**المصدر:**

Guy Martin ،Ideology and Praxis in Thomas Sankara's Populist Revolution of 4 August 1983 in Burkina Faso، p.81.

# القسم الثالث

## السنكارية
## في عالم الممارسة

# الفصل الخامس

# التنمية المستقلة وسياسات الاعتماد على الذات

مقدمة

لقد أدت الثورة في بوركينا فاسو بزعامة توماس سانكارا إلى تأسيس نموذج التنمية الوطنية الذي يستند على مفاهيم «الاعتماد على الذات»، والتضامن الاجتماعي. كان النموذج البوركينابي يختلف اختلافا جذريا مع نماذج التنمية المفروضة من قبل المؤسسات الدولية المانحة. ولايخفى أن هذا النموذج المستقل المناهض للاستعمار قد ألهم العديد من الحركات الشعبية الاجتماعية في أفريقيا. ربما كان ذلك كافيا لكسب مزيد من الأعداء لسياسات سانكارا ولاسيما في الولايات المتحدة وفرنسا والعديد من الدول الأوروبية الأخرى.

بدأ سانكارا بخوض معركة الداخل أولا، ففي اليوم الثاني لنجاح الثورة قام نظام سانكارا بتصنيف نظام الزعامات التقليدية باعتباره العدو رقم واحد للثورة. لم يكن يسيرا على المجتمعات الزراعية أن تتخلى عن نمط الهيراركية الاجتماعية والسياسية التقليدية السائدة بين عشية وضحاها. وعليه فقد حاول المجلس الوطني للثورة تجاوز هذه الهيراركيات التقليدية ،كما أوضح الفصل السابق، من خلال إنشاء محكمة شعبية للتوفيق في كل قرية للنظر في أي سلوك معادي للمجتمع، حتى لو لم يكن هذا السلوك محددا حسب القانون. وتستطيع هذه المحكمة مصادرة الأراضي والثروة الحيوانية كنوع من العقاب. ويمكن لها كذلك فرض عقاب جماعي على القرية بأكملها.

لقد واجهت حكومة سانكارا معضلة حقيقية في سعيها لبناء اقتصاد وطني معتمد على الأسواق المحلية. فقد كان اقتصاد بوركينا فاسو يعتمد على زراعة

الكفاف في ظل غياب أي قطاع حقيقي للتصنيع. وتحت تأثير الجفاف انخفض إنتاج المحاصيل، كما انخفضت أسعار الثروة الحيوانية بفعل المنافسة الإقليمية من قبل دول أخرى مثل نيجيريا وساحل العاج. وعليه لم يكن في متناول سانكارا موارد كثيرة يمكن الاعتماد عليها. رأى سانكارا والمجلس الوطني للثورة أن حل مشكلات الفلاحين يكمن في تبني سياسات جمعوية وبناء هياكل للسيطرة والرقابة الديموقراطية ، بالإضافة إلى الاستغلال الأمثل للموارد مع إقامة المشروعات الكبرى.

وطبقا للخطة الخمسية التي أعلنتها وزارة التخطيط فان الهدف الأسمى يتمثل في بناء اقتصاد وطني مخطط ومستقل معتمد على الاكتفاء الذاتي ويكون في خدمة المجتمع الديموقراطي الشعبي. كان على الدولة أن تقوم بدور مركزي في الاقتصاد نظرا لمحدودية وضعف القطاع الخاص ، ومن أجل تعبئة الموارد اللازمة لإنشاء البنية الأساسية وتشجيع المشروعات الإنتاجية. ومن الملاحظ أن سانكارا لم يعطي أهمية كبيرة للمساعدات الخارجية التي ظلت محدودة حيث قامت فرنسا، وهي المانح الأكبر لبوركينا، بوقف مساعداتها العامة بعد عام 1983 وهي الخطوة التي تبعها البنك الدولي عام 1984.

قامت الحكومة باتباع سياسات تقشفية مع محاربة الفساد حيث سعت المحاكم الثورية الشعبية محاكمة الأشخاص المتهمين بالفساد واختلاس الأموال العامة.كما أن جهاز الخدمة المدنية البالغ حجمه نحو ثلاثين ألف موظف عام بات يمثل عبئا على ميزانية الدولة المحدودة.وعليه فقد تبنت حكومة سنكارا والمجلس الوطني للثورة مجموعة من السياسات للحد من الإنفاق العام. وتشمل هذه السياسات تخفيض الدعم والقيود المفروضة على الأجور لموظفي الحكومة.

وعليه فإن هذا الفصل ينقسم إلى محورين يعالج أولهما سياسات التثبيت والنمو الاقتصادي الذي يراعي الجانب الاجتماعي بينما يلخص الثاني أبرز مبادىء نمط التنمية المستقلة في عهد توماس سانكارا.

## القسم الأول

## سياسات التثبيت والنمو الاقتصادي والاجتماعي

سعت حكومة المجلس الوطني للثورة بزعامة سانكارا إلى تصحيح الاختلالات الإقتصادية الناجمة عن فساد السياسات وسوء الأوضاع السائدة منذ بداية مرحلة ما بعد الاستقلال، بالإضافة إلى تسريع عجلة النمو وإحداث تحولات اقتصادية راديكالية من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد كان دور الدولة مهما ومحوريا من خلال ثلاثة مجالات أساسية هي :- إجراءات التثبيت الاقتصادي،- سياسات النمو الاقتصادي،- سياسات إعادة التوزيع والتنمية الاجتماعية.

أولا: سياسات التثبيت و تخفيض النفقات:

كان هدف برنامج وخطة التنمية الأولى هو تخفيض النفقات العامة حيث كانت أجور العاملين بجهاز الدولة تلتهم معظم إيرادات الموازنة العامة. وعليه فقد عمدت الحكومة إلى تخفيض رواتب الموظفين في أكثر من مناسبة وقامت بوقف استيراد السلع الترفية والكمالية من قبل كبار المسئولين في الدولة. وعلى صعيد آخر حاولت الحكومة توفير موارد إضافية من خلال تعديل السياسات الضريبية. ففي عام 1984 على سبيل المثال فُرضت ضرائب على المشروبات الكحولية وغير الكحولية. وفي عام 1985 ازدادت ضرائب الدخل. أضف إلى ذلك فقد حاولت الحكومة جاهدة تصحيح الخلل في الميزان التجاري من خلال خفض قيمة فاتورة الواردات بالسعي نحو شراء منتجات أقل سعرا. ولعل ذلك يفسر لنا توجه سانكارا صوب موردين من دول آسيوية عوضا عن الأوروبيين. ولا يخفى كذلك أن سياسات إحلال الواردات في المجال الغذائي كان لها دور كبير في تحقيق التثبيت الاقتصادي الذي يمثل نقطة الانطلاق الأولى نحو النمو.

ثانيا : سياسات النمو الاقتصادي:

تجدر الإشارة إلى أن السنكارية في المجال الاقتصادي لم تتخلص من مقومات

اقتصاد السوق، ولعل ذلك يبرر الموقف من دور القطاع الخاص في التنمية. فقد حافظت الدولة على هذا القطاع رغم صغر حجمه ووجود بعض الشركات الخاصة التي كانت على شفا الإفلاس. تدخلت الحكومة لإنقاذ هذه الشركات الخاسرة وحولتها إلى مؤسسات مشتركة في قطاع الأعمال. يعني ذلك أن القطاع الخاص أصبح شريكا في عملية التنمية الاقتصادية. وعلى صعيد آخر تمت إعادة هيكلة شركات القطاع العام وذلك من خلال إنشاء وزارة خاصة للمؤسسات العامة.

وفي مجال التصنيع سعت الحكومة إلى ضرب عصفورين بحجر واحد. فقد حاولت توفير مداخيل جديدة لدعم قطاع الزراعة من خلال استخدام الميكنة وتقنيات زيادة الإنتاج من جهة، ومن جهة أخرى أرادت تشجيع نمو قطاع التعدين بهدف استغلال احتياطات الموارد الطبيعية مثل الزنك والفوسفات والمنجنيز. على أن الاهتمام الأكبر كان يتمثل في دعم سياسات الاكتفاء الذاتي من الغذاء في القطاع الزراعي.وعليه فقد بذلت جهود كبيرة لتحسين نظم الري والمحافظة على المياه من خلال توفير الاستثمارات الحكومية ودعم المبادرات المجتمعية . كما أعادت الحكومة النظر في سياسات تسعير المحاصيل الزراعية النقدية مثل القطن بحيث تتوازن مع الأسعار العالمية وتحسن من مستويات دخول الفلاحين. وهذه سياسة مغايرة تماما للنهج الحكومي القديم الذي تمسك بسياسة تسعير ثابتة بغض النظر عن قيمة الأسعار العالمية.

ولعل إبداعات التجربة السنكارية تظهر في مجال الزراعة من خلال توظيف نمط التكنولوجيا الملائمة لزيادة الإنتاج والتغلب على مشكلات ندرة المياه وتآكل التربة كما هو الحال في مناطق الساحل والحزام الأوسط. فقد عملت الحكومة على إنشاء السدود والخزانات المائية ، وهو ما ساعد على استمرار رطوبة الأراضي الواقعة خلفها ، كما أن استخدام الأسمدة الطبيعية أسهم في زيادة إنتاجية المحاصيل الزراعية كما يظهر من الجدول رقم 3. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى مبادرتين أسهمتا بدور بارز في زيادة الإنتاج الزراعي[1]:

(1)Savadogo, Kimseyinga, and Claude Wetta. The Impact of Self-Imposed Adjustment: The Case of Burkina Faso, 1983-1989. Florence, Italy: UNICEF, International Child Developmement Centre, 1991,p.28.

المبادرة الأولى أطلق عليها اسم «الزاي» Zai حيث كان الفلاحون يقومون بحفر التربة وملئها بالسماد العضوي قبل بداية موسم الأمطار، وعليه تصبح هذه الحفر بمثابة حاضنة للسماد والمياه ، وهو الأمر الذي يساعد على زيادة إنتاجية الحبوب. أما المبادرة الثانية فهي التي عرفت باسم « الأكوام المتراصة » حيث يتم حفر الأرض لإقامة أكوام تشتمل على تدرجات ومنخفضات يمكن أن يتجمع الماء فيها. ولاشك أن الجمع بين هذه التقنيات واستخدام الأسمدة العضوية يفسر لنا زيادة إنتاج الحبوب والمحاصيل النقدية في بوركينا فاسو خلال فترة حكم توماس سانكارا.

ولم يكن خافيا انحياز سانكارا لجماهير الفلاحين حيث استأثر القطاع الزراعي بنصيب الأسد في السياسات الائتمانية الحكومية . وقد أضحى الصندوق الوطني للإتمان الزراعي هو مؤسسة الإئتمان الرئيسية في الريف ( انظر جدول رقم 4 ).

**جدول رقم 3**

**إنتاج المحاصيل النقدية 1983-1988**

| المحصول بالطن المترى /السنة | 1983 | 1984 | 1985 | 1986 | 1987 | 1988 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| القطن | 79287 | 88134 | 115،490 | 169227 | 176982 | --- |
| الفول السوداني | 82000 | 72000 | 128000 | 158000 | 146000 | 160000 |
| السمسم | 5000 | 7000 | 8000 | 10000 | 40،000 | 8000 |

المصدر:

Savadogo، Kimseyinga، and Claude Wetta. The Impact of Self-Imposed Adjustment: The Case of Burkina Faso، 1983-1989. Florence، Italy: UNICEF، International Child Developmement Centre، 1991..p28.

**جدول رقم 4**

**توزيع أموال صندوق الإئتمان الزراعي حسب نوع النشاط**

**1988-1986**

| القطاع/ السنة | 1987/1986 | | 1988/1987 | |
|---|---|---|---|---|
| | بليون فرنك | النسبة % | بليون فرنك | النسبة % |
| الزراعة | 11.014 | 89.4 | 9.345 | 93.1 |
| الماشية | 0.052 | 0.4 | 0.185 | 1.8 |
| أنشطة أخرى | 1.260 | 10.2 | 0.511 | 5.1 |
| الإجمالي | 12.326 | 100.0 | 10.041 | 100.0 |

المصدر : Savadogo،p.38

ثالثا: التنمية الاجتماعية:

لقد أولت سياسات التقشف والتثبيت الاقتصادي التي فرضتها الحكومة أهمية كبرى لتنمية القطاع الاجتماعي وانتهاج سياسات إعادة التوزيع بما يحقق العدالة الإجتماعية. وعليه فإن زيادة الموارد العامة سمحت للحكومة بتوسيع نطاق البرامج الاجتماعية وذلك مع الأخذ في الاعتبار سياسات الترشيد الحكومية. وعلى سبيل المثال أدت سياسات توظيف المعلمين على بداية المربوط الوظيفي في المدارس الريفية إلى التوسع في توفير الخدمات التعليمية في القرى. ويلاحظ أن النفقات العامة على كل من التعليم والصحة قد ازدادت من (22.3 %) من إجمالي النفقات الحكومية العامة عام 1982 لتصل إلى (24.2%) في عام 1987 (انظر جدول رقم 5). وقد نجحت الحكومة في تعبئة سكان المناطق الريفية للمشاركة بجهودهم الذاتية في توفير الخدمات الاجتماعية.

**جدول رقم 5**

**تطور أعداد الطلاب والفصول 1983و 1986**

| المرحلة التعليمية/السنة | 1983 | 1986 | النسبة% |
|---|---|---|---|
| **التعليم الأساسي** | | | |
| • المدارس | 1176 | 1758 | 49.5 |
| • الفصول | 3967 | 5484 | 38.2 |
| • الطلاب | 251269 | 351807 | 40.0 |
| **التعليم الثانوي** | | | |
| • المدارس | 79 | 125 | 58.2 |
| • الفصول | 1026 | 1498 | 46.0 |
| • الطلاب | 43226 | 53214 | 23.1 |
| **الجامعات** | | | |
| • المدارس | 8 | 12 | 50.0 |
| • الفصول | --- | -- | -- |
| • الطلاب | 3351 | 4085 | 21.9 |

المصدر:Savadogo، op.cit . p.35

القسم الثاني: مبادئ نمط التنمية المستقلة

يمكن تحديد أهم مبادئ نمط التنمية المستقلة الذي اتبعه سانكارا وشكلت أساس السياسات التي نفذها سانكارا ورفاقه بين عامي 1983 و 1987فيما يلي[1]:

(1) يمكن مراجعة ذلك تفصيلا في:

Dembélé, Demba Moussa, Thomas Sankara: an endogenous approach to development, Pambazuka News.,2013-10-23, Issue 651 at: http://pambazuka.org/en/category/features/89307

أولا سياسات الاعتماد الذاتي:

رأى توماس سانكارا أن الاعتماد على الذات يعني ضرورة أن يفكر شعب بوركينا فاسو في قضايا التنمية الخاصة به. يقول في ذلك : «الأهم من ذلك، كما أعتقد، هو إعطاء الناس الثقة في أنفسهم، كي يتمكنوا في نهاية المطاف من الجلوس والكتابة عن نمط تنميتهم، يتمكنوا من الجلوس والكتابة عن سعادتهم، يستطيعون قول ما يريد ون، وفي نفس الوقت، يفهمون ما هو الثمن الذي يجب أن يدفعوه مقابل تحقيق هذه السعادة».

تحت شعار «البوركينابي ينتج ما يستهلك »، تم حظر واردات الفواكه والخضار لتشجيع التجار على دعم المنتجات المحلية ولاسيما في الجنوب الشرقي من البلاد. وكانت هذه المنطقة معزولة ومهملة لصالح أسواق ساحل العاج، التي كانت مرتبطة ببوركينا فاسو عن طريق شبكة من الطرق السريعة المعبدة. وعلى الفور تم تأسيس سلسلة من تجارة التجزئة الوطنية. وقد قامت اللجان المحلية بدور بالغ الأهمية في الترويج للمنتجات الوطنية، حيث تمكن موظفي الدولة من شراء المنتجات الوطنية في أماكن عملهم. كما تم تشجيع موظفي الخدمة المدنية على ارتداء الملابس القطنية التقليدية المنسوجة يدويا، وربما شجع ذلك على ازدهار صناعات النسيج المحلية ولاسيما تلك التي تقوم بها ربات البيوت في منازلهن.

اعتمدت خطة التنمية الشعبية الأولى، في الفترة من أكتوبر 1984 إلى ديسمبر 1985 بعد عملية حوار مجتمعي واسعة النطاق شارك فيها الجميع بما في ذلك القرى النائية. وقد اعتمد تمويل الخطة بالكامل على الجهود الذاتية من داخل بوركينا فاسو. وتجدر الإشارة إلى أن «المساعدات» الأجنبية من الغرب، بما في ذلك فرنسا، والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي قد توقفت تماما خلال الفترة

من 1985-1987. لم يكن أمام سانكارا ورفاقه من بد سوى الاعتماد الكلى على مواردهم الخاصة وتضامن الدول الصديقة التي تشاركهم نفس الرؤية والمثل العليا. وقد تولت لجان الدفاع عن الثورة عملية التعبئة الشعبية وبث روح الاعتماد على الذات في نفوس الجماهير، وهو ما ساعد في تحقيق 85 % من أهداف خطة التنمية الأولى. ففي غضون سنة واحدة، تم بناء نحو 250 خزان للمياه وحفر3000 بئر. هذا بالإضافة إلى الإنجازات الأخرى في مجالات الصحة، والإسكان، والتعليم، والإنتاج الزراعي، الخ.

ولعل أكثر الأمور وضوحا في نمط التنمية المستقلة الذي اتبعه سانكارا يتمثل في التحول بعيدا عن المدن والتوجه نحو الريف. قدمت الحكومة العديد من الخدمات العامة للمزارعين الفقراء ولرعاة الماشية وذلك من قبيل حوافز الأسعار، والمساعدة على التسويق، والري، وحماية البيئة وغيرها من أشكال الدعم. وقد تم تخصيص 71٪ من الإستثمارات المخصصة للقطاعات الإنتاجية في الخطة الخمسية لصالح الزراعة والثروة الحيوانية ومصائد الأسماك والحياة البرية والغابات. وقد استفاد القرويون أيضا من زيادة فرص الحصول على الرعاية الصحية والتعليم. ففي خلال الفترة من 1983- 1986 تم إنشاء أكثر من 7460 مركزا صحيا ، بواقع مركز واحد لكل قرية. كما تم تطعيم نحو 2 مليون طفل ضد أمراض الطفولة الرئيسية، كما التحق حوالي 36 ألف من القرويين بمراكز محو الأمية الأساسية. ولايخفى أن كل هذه المبادرات كانت جزءا من حملة أوسع لتوسيع نطاق الخدمات الاجتماعية .

وعلى صعيد النظام الدولي كان توماس سانكارا يحلم بإقامة نظام أكثر عدالة حيث قدم نقدا لاذعا للنظام الدولي القائم ولاسيما مؤسساته المالية الدولية المستغلة . وتتلخص أطروحة سانكارا في القول بأن مكمن الظلم وعدم العدالة في النظام الدولي هو قوى العولمة والنظام المالي الدولي، وهيمنة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، والدائرة المفرغة التي تسير فيها ديون العالم الثالث. وربما تتسق

هذه الأفكار مع جملة ما تطرحه القوى المناهضة لتيارات العولمة المعاصرة. ويجادل سانكارا بأن أزمة الدين الخارجي إنما ترجع إلى جشع الجهاز البيروقراطي في المؤسسات الدولية المستغلة. وعليه فإن الدين يمثل وسيلة لإعادة غزو أفريقيا بطريقة عمدية ومنظمة. كما أن نمط التنمية المفروض من الخارج المصاحب لهذه الديون لا يتسق مع التقاليد والخصائص الحضارية للمجتمعات الأفريقية. وعليه فقد قررت بوركينا فاسو عدم التوجه لصندوق النقد الدولي طلبا للمساعدة وذلك لتجنب المشروطية السياسية التي يفرضها البنك على الدول الفقيرة».

لقد اهتم سانكارا بالتطبيق العملي للديمقراطية وذلك من خلال التركيز على تحرير الطبقة العاملة والنساء. يقول في ذلك « إن الديمقراطية الحقة تعني استخدام الإمكانات الكاملة للشعب. أما صناديق الاقتراع، والنظام الانتخابي فإنها لا تعني بالضرورة وجود الديمقراطية. لا توجد ديموقراطية حقيقية عندما يدعو من هم على سدة السلطة إلى الانتخابات من وقت لآخر، ولا يظهر اهتمامهم بالمواطنين إلا في الفترة التي تسبق الانتخابات ... إن الديمقراطية لا تتحقق إلا إذا كانت السلطة بجميع أشكالها الاقتصادية والعسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية في يد الشعب» .

لقد كانت لجان الدفاع عن الثورة هي المسئولة عن تمكين الشعب وإعطائه كافة السلطات.إضافة إلى مجال الأمن العام أنيط بهذه اللجنة مهام التثقيف السياسي، والصرف الصحي، وتطوير الإنتاج والمشاركة في مراقبة ميزانية الوزارات. وبالفعل ناقشت هذه اللجان الكثير من المشروعات الوطنية ورفضوا بعضا منها. ومع ذلك فإن اللجنة تورطت في العديد من التجاوزات وأعمال القمع. وعلى سبيل المثال كانت تقف وراء الهجمات على التنظيمات النقابية. لقد كان سانكارا أول من شجب هذه التجاوزات وانتقد علانية أوجه القصور التي شابت عمل لجنة حماية الثورة، والتي كانت تعزى في كثير من الأحيان إلى الصراعات في صفوف المنظمات الداعمة للثورة.

ثانيا: رفض تقليد نماذج التنمية الأجنبية

كان توماس سانكارا يعلم جيدا أن كافة نماذج التنمية المستوردة في أفريقيا قد أثبتت فشلا ذريعا. وعادة ما كان يردد كلمات الرئيس سيكوتوري القائلة: أن نقبل العيش كأفارقة. لهو السبيل الوحيد للعيش بحرية وكرامة ». بالإضافة إلى عبارة الرئيس سيكوتوري الشهيرة أمام الجنرال ديغول عام 1958 حيث قال: «نحن نفضل الحرية في الفقر على العبودية في البذخ».

لقد كانت مفاهيم التنمية المستقلة والاعتماد على الذات لا تتفق مع قبول أموال ومساعدات أجنبية. يقول سانكارا :«نحن نرفض بشكل قاطع ونهائي كل أنواع الإملاءات الأجنبية». كما استنكر أيضا «محاولات جميع المستغربين الذين يروجون لنماذج التنمية التي أثبتت فشلها من قبل.» وقد شهدت بوركينا فاسو في عهد سانكارا جدلا واسعا حول سياسات التصنيع واقتصاديات السوق والاستراتيجية المتبعة.بيد أن المتابعة الدقيقة للصياغة الأيديولوجية السائدة في عهد سانكارا تبرز عدم وجود تصور أيديولوجي واضح أو حتى معالم رؤية استراتيجية بخصوص التصنيع.ومع ذلك فقد أعطيت الأولوية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة باعتبارها قاطرة التنمية.

لقد تم توزيع الأراضي الزراعية التي صادرتها الثورة طبقا لمبدأ :«قطعة أرض واحدة لكل شخص أو لكل أسرة». وتكمن أهمية هذه السياسة الإصلاحية في أمرين هامين: أولهما: أنها شكلت ضربة قاسمة للقواعد المؤسسة للسلطة التقليدية والتي حاول الرئيس ياميوغو الاقتراب منها ولكنه لم ينجح. وثانيا: أنها أعادت تنظيم الأراضي والملكية وفقا لأسس جماعية جديدة. وعلى سبيل المثال فقد تم تنظيم الفلاحين في أطر مؤسسية ديمقراطية وتمت صياغة استراتيجية للتنمية الجماعية تهدف إلى استخدام الأراضي بطريقة علمية. وبغض النظر عن النتائج المتحققة فإن هذه الإجراءات الثورية قد وضعت نهاية للنظام الاجتماعي السائد في الريف منذ قرون طويلة. لقد مثل هذا الإصلاح الزراعي بالإضافة إلى

ذلك كله محور نضال المجلس الوطني للثورة ضد الإقطاع ، كما أنه استكمل الحركة التي بدأت في يناير 1984 بإلغاء القوانين العرفية غير العادلة المؤسسة لسلطة الزعماء التقليدين السياسية والاجتماعية.

لقد كان المجلس العسكري الحاكم يهدف من وراء تجريد الزعماء التقليديين من امتيازاتهم وسلطاتهم التخلص من الرجعية التقليدية وهو ما يمهد الطريق أمام ظهور قوى اجتماعية جديدة تؤمن بالخطاب الثوري وذلك بعد تحررها من قيود التهميش وعبء الخضوع.

ثالثا:التعاطف مع تطلعات الجماهير العريضة

نظرا لكون الثورة شعبية كان لزاما على سانكارا ورفاقه إعطاء الأولوية للاحتياجات الأساسية للجماهير سواء في الريف أو الحضر. وعليه فقد حاول جاهدا التواصل معهم من أجل فهم وتبني قضيتهم، والتي كانت مصدرا للصراع مع بقايا البرجوازية الصغيرة في المدن الذين لم يتخلوا عن «امتيازاتهم». يقول في ذلك، «إننا لا نشارك في ثورة ببساطة لاستبدال حاكم بآخر. إننا لا نشارك في الثورة بسبب وجود دوافع ذاتية» . «هذا النوع من الحركات الجماهيرية غريب عن المثالية الثورية التي تجلت في أغسطس وأولئك الذين يحاولون إظهار عيوبها هم من الانتهازيين والبرجوازية الصغيرة المناهضة للثورة».

والملاحظ أن سانكارا قد سار على نهج أميلكار كابرال حينما دعا المثقفين إلى الانتحار والبعث من جديد في إطار مؤسسي يحمل اسم «العمال الثوري » ويكون في خدمة الشعب. يقول كابرال: «يجب أن تكون الطبقة البرجوازية الثورية قادرة على الانتحار كطبقة من أجل أن تبعث في شكل جسد جديد يحمل اسم العمال الثوري والذي يرتبط تماما بالتطلعات الأساسية للشعب الذي ينتمي إليه »[1].

توجد سمة بارزة في النهج التنموي لحكومة سانكارا تتمثل في أهمية التعبئة

(1)Chabal, Patrick. Amilcar Cabral: Revolutionary Leadership and People's War. London: C. Hurst, 2002.

الشعبية والاعتماد على مشروعات المساعدة الذاتية المحلية. وقد كان لمفهوم المساعدة الذاتية في المجتمع جذور اجتماعية عميقة. إذ على الرغم من ضعف العلاقات والالتزامات التقليدية، فإن مفاهيم التكافل الاجتماعي، والعمل الجماعي، والمعاملة بالمثل والمصلحة العامة كانت لا تزال سائدة. وعلى المستوى التنظيمي والمؤسسي شهدت بوركينا فاسو وجود المجالس القروية ومجموعات المزارعين والتعاونيات وجمعيات الشباب والمنظمات المدنية الأخرى. وقد اعتمدت أكبر رابطة للفلاحين في البلاد على تقليد مجموعات العمل الجماعية نام NAAM، وهي تضم مجموعات من الشبان والشابات من أجل تعبئة المجتمع في الأنشطة الزراعية التعاونية. لقد كانت الأداة التنظيمية الرئيسية التي اعتمدت عليها الحكومة هي لجان الدفاع عن الثورة.

رابعا: استخدام الدولة كأداة للتحول الاقتصادي والاجتماعي

كان سانكار باعتباره اشتراكيا يؤمن بأهمية دورالدولة والتخطيط المركزى، وقد رأى أمام عينيه النموذج الكوبي الذي كان يكن له كل تقدير. وعليه فإن تغيير وضعية التخلف وبناء مجتمع جديد يلبي مطالب الثورة في بلاده كان يقتضي أن تقود الدولة جهود التغيير. وقد ارتكز برنامج حكومته على إنشاء صناعات إحلال الواردات للحد من الاعتماد على السلع الأساسية والفاخرة المستوردة من البلدان الرأسمالية،. كما قام سانكارا ورفاقه بتعبئة الشباب والنساء لمحاربة الاستعمار الجديد وإلغاء الديون المستحقة للمؤسسات المالية والدول الإمبريالية الغربية.»أضف إلى ذلك فقد أطلقت الحكومة حملات التأميم، وإعادة توزيع الأراضي والبرامج الاجتماعية الكبرى في بوركينا فاسو التي كانت تعد واحدة من أفقر البلدان في العالم.

**إن أبرز التحديات التي كان على القيادة الثورية التعامل معها بشكل حاسم وعاجل تمثلت فيما يلي:**

- تأسيس نظام للدفاع المدني والعسكري بهدف حماية الثورة ضد التهديدات

الداخلية والخارجية. وقد أظهرت الحرب الحدودية مع مالي أوجه القصور الذي كان يعاني منها هذا النظام ولا سيما عدم الاستعداد والمشاكل اللوجستية الهائلة.

- التبعية الاقتصادية الخارجية وما يترتب عليها من عدم السيطرة الوطنية على بعض الآليات الاقتصادية الوطنية.

- عداء البرجوازية البيروقراطية الرجعية والبرجوازية الصغيرة التي عانت من الإجراءات الثورية التي اتخذها نظام سانكارا . وقد مثلت هذه الشرائح القوى المعادية الرئيسية لنظام سانكارا.

- مسألة الانتحار الثوري للبرجوازية البيروقراطية والبرجوازية الصغيرة التقدمية باعتبارها طبقة اجتماعية وذلك من أجل أن تصبح خادما للشعب.

- المحافظة على الحماس الشعبي والدافع الثوري من أجل تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لخطة التنمية المستقلة دون اللجوء إلى الإكراه.

- التثقيف السياسي الشامل.

- الأنشطة العدائية المعلنة أو الخفية التي استهدفت زعزعة الاستقرار وإسقاط نظام سانكارا، والتي كانت تقف وراءها القوى الغربية المعادية أو بعض بلدان الجوار الأفريقية.

وعليه فقد أصبح الشعار الثوري الجديد لبوركينا فاسو هو: « الوطن أو الموت، سوف ننتصر» والذي تمت استعارته من تجربة الثورة الكوبية.وقد كان الهدف الأول لبرنامج التنمية الشعبية (اكتوبر 1984-ديسمبر 1985) هو أن تقود الدولة جهود تحقيق التنمية المستقلة من خلال تحقيق سياسة الاكتفاء الذاتي في الغذاء، ولعل ذلك يفسر قيام النظام في أواخر عام 1984 بإلغاء نظام الملكية الخاصة للأراضي وحملات التأميم الأخرى[1]. ونستطيع أن نحدد المجالات التي

(1)Martin :Ideology and Praxis in Thomas Sankara's Populist Revolution of 4 August 1983 in Burkina Faso , pp 82-85.

قادت فيها الدولة جهود التنمية:

- القيام بعدد من المشروعات الجماهيرية الملحة وذات المردود السريع مثل توفير الكهرباء للمناطق الريفية ومشروعات الإسكان ومزارع الدواجن وبناء الملاعب الرياضية ودور السينما، وكذلك حفر الآبار وبناء السدود.

- إحياء مشروع التعدين القديم (مناجم منجنيز تمباو) والذي تطلب بناء خط للسكة الحديد بطول 380 كيلومتر. وعلى الرغم من عدم واقعية المشروع بسبب رفض المؤسسات الدولية المانحة تمويله فقد استطاع النظام حشد التأييد الشعبي بهدف إنجاز المرحلة الأولى منه بطول مائة كيلو متر بنهاية عام 1985.

- أعلن الرئيس سانكارا مجموعة من الإجراءات بهدف تخفيف الأعباء المعيشية على الفقراء. ومن ذلك ما أعلنه في 4 أغسطس 1985 من إلغاء لكافة الضرائب المستحقة على الشرائح الفقيرة. أضف إلى ذلك تم تخفيض رسوم التعليم والتحكم في أسعار السلع الغذائية والتموينية ووضع حد أعلى للقيمة الإيجارية وحساب الأجر النقدي الأساسي الذي يلبي الحاجات الأساسية للأسرة.

خامسا: النضال من أجل حماية البيئة

لقد فهم سانكارا أهمية البيئة باعتبارها حقيقة أساسية لبقاء الإنسانية واستمرار العمران البشري.ففي عهده زرعت ملايين الأشجارمن أجل وقف التصحر. وكان يستغل كل حدث أو مناسبة خاصة وعامة على السواء مثل حفلات الميلاد والزواج لزرع الأشجار. وقد أدى ذلك إلى تعبئة واسعة النطاق بين صفوف الجماهير الذين فهموا معنى ودلالة مثل هذا القرار: بناء بلدهم بسواعدهم!. هذه هي الفكرة الرئيسية وراء رؤية توماس سانكارا. ومنذ البداية انتبه سانكارا إلى التكاليف الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن تتكبدها بلاده نتيجة لتدهور البيئة. هذا هو السبب الذي جعل حماية البيئة واحدة من الركائز الأساسية لسياسة التنمية المستقلة وهو ما جعله يحشد الناس لحماية بيئتهم.

لقد أقام سانكارا علاقة ارتباط وثيقة بين نمط الإنتاج والاستهلاك الرأسمالي وبين تدهور البيئة: «إن النضال من أجل حماية الأشجار والغابات هو بمثابة نضال ضد الإمبريالية. فالإمبريالية تسعى عمدا إلى حرق الغابات والسافانا في بلادنا». في المؤتمر الدولي للأشجار والغابات الذي عقد في باريس في فبراير 1986 تحدث سانكارا عن برنامجه للبيئة من خلال هذا البيان: «أنا هنا فقط أتحدث بشكل متواضع عن شعب يرفض أن يتخذ موقفا سلبيا وهو يشاهد موت الطبيعة أمام عينيه»[1] . هذا الإلتزام بحماية البيئة تم ترجمته من خلال عدد من الإجراءات بما في ذلك:

- **النضالات الثلاثة:** لقد كانت هذه السياسة واحدة من أبرز السياسات التي تم تنفيذها بالكامل ولاقت نجاحا منقطع النظير، وهي تشمل ثلاثة أنماط من النضال الجماهيري:مكافحة قطع الأخشاب بطريقة غير شرعية، والنضال ضد شرود الحيوانات،ومكافحة حرائق الغابات.لقد تم تنظيم قطع وتسويق الحطب وفق إجراءات صارمة. حيث فرضت الحكومة الالتزام بالحصول على تصريح ممارسة مهنة تاجر الحطب. كما تم الالتزام باحترام المناطق المخصصة لقطع الأخشاب، وذلك لضمان إعادة زراعة الأنواع التي أزيلت منها الغابات. أما في المدن، فقد تم القضاء تقريبا على الحيوانات الضالة. ومن جهة أخرى تم تجريم أعمال الحرق، حيث تعرض المخالفون لعقوبات شديدة.

- **تدريس قضايا البيئة في المدارس:** بعد التدابير الكبرى التي تم اتخاذها في إطار سياسة النضالات الثلاثة للحفاظ على الأشجار القائمة وغرس أخرى جديدة كذلك، اتخذت الحكومة سلسلة من المبادرات الرامية إلى زيادة الوعي الجماهيري، والانخراط في جهود إعادة زراعة الأشجار على نطاق واسع.ومن أجل الحد من الاستهلاك المفرط للتدفئة، خاصة بالنسبة للأطفال ليزداد وعيهم بأهمية حماية البيئة، تم إنشاء « بستان المدرسة» مع الاحتفاظ بمشتل في كل مدرسة،

(1)« Sankarisme et environnement », communication de Meng-Néré Fidèle Kientega, http://thomassankara.net/spip.php?article897&lang=fr

بالإضافة إلى ذلك تم تعليم الطلاب الصغار صناعة المواقد المحسنة كي تستخدم في بيوتهم.

- **بستان القرية:** لقد أقرت الحكومة شعار «8000 غابة في 8000 قرية » وترجمته إلى أرض الواقع ، بدءا من مدينة واغادوغو لكي تكون محاطة بحزام أخضر كبير. ولكي يكون لكل قرية بستان خاص بها، أقامت السلطات المعنية مشاتل في كل قرية لتلبية الاحتياجات المحلية. يقول توماس سانكارا عن غابات القرية أنه يحترم تقاليد الأسلاف، ولعله كان يستهدف الاستمالة النفسية لسكان المناطق الريفية الذين رأوا على الفور فائدة هذه التدابير التي تحافظ على عاداتهم .

-استخدام مواقد الطهي المتطورة.

- جمع بذور الغابات: لتنفيذ إعادة استزراع الأنواع المحلية الأكثر ملائمة للبيئة، كان على كل قرية جمع البذور من الغابات لاستخدامها في المشاتل تحت إشراف خبراء الزراعة والري. ومن هنا جاءت فكرة إنشاء مركز لبذور الغابات.

- إنشاء وزارة خاصة للمياه: وكإجراء مصاحب لزراعة الأشجار في جميع أنحاء البلاد ومن أجل صيانتها والمحافظة عليها، أراد زعيم الثورة أن يضفي عليها طابعا مؤسسيا من خلال إنشاء وزارة خاصة بهذه المسألة. لقد كانت هذه الوزارة مسؤولة عن إنشاء السدود وحفر الآبار، والإشراف على بناء السدود الصغيرة في القرى للاستفادة من مياه الأمطار واستخدامها في المشاتل، والري وتربية الثروة الحيوانية وقبل كل شيء، استعادة المياه الجوفية.

- تقديم هدية رمزية عبارة عن موقد طهي متطور وشجرة لكل عروسين: سعت الحكومة إلى زيادة الوعي البيئي بين الجماهير فأرست مجموعة من التقاليد تهدف إلى حماية والمحافظة على البيئة. ولعل أبرز هذه الممارسات أن ينتهي كل احتفال زواج بزراعة شجرة، في نفس الوقت الذي يتم تقديم موقد طهي محسن للعروسين من قبل وزارة البيئة.

سادسا: تحرير المرأة باعتبارها فاعلا في التنمية

فهم سانكارا أن تحقيق التنمية الحقيقية سيكون مستحيلا دون تحرير جميع الفئات المضطهدة، بدءا من النساء. وقال في هذا الصدد: «لا يمكننا تغيير المجتمع مع الحفاظ على واقع الهيمنة والتمييز ضد النساء، الذين يشكلون أكثر من نصف مجتمعنا ... عملت ثورتنا لمدة ثلاث سنوات ونصف للقضاء تدريجيا على ممارسات مهينة تجاه المرأة ... كما يجب عليهن المشاركة باعتبارهن منتجات ومستهلكات بوركينابيات... يجب علينا أن نضمن دائما حصول المرأة على فرص العمل. هذا العمل التحرري والانعتاقي يضمن الاستقلال الاقتصادي للمرأة، ويضمن لها كذلك دورا اجتماعيا أعمق ومعرفة أكثر شمولا بالعالم »من حولها. في واقع الأمر، فإن التنمية، مثل العمليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، لا يمكن أن تصبح حقيقة واقعة بدون التحرير الكامل للمرأة، ونهاية جميع أشكال التمييز ضدها ومشاركتها الفعالة في عملية التحول.

من المفيد في إطار فهم موقف الفكر السياسي الشعبوي الأفريقي والذي يمثله توماس سانكارا من قضايا النوع الاجتماعي وتحرير المرأة تحليل خطاب سانكار الشهير بعنوان «الثورة لا يمكن أن تنتصر بدون تحرير المرأة» في 8 مارس 1987. ألقي هذا الخطاب أمام حشد من عدة آلاف من النساء في واغادوغو في ذكرى اليوم العالمي للمرأة. تظهر القراءة العميقة لمضمون الخطاب أن توماس سانكارا كزعيم ثورى اتخذ موقفا متميزا حيث عالج قضايا ظلم المرأة وقهرها في المجتمع بتفصيل واضح. لقد رجع إلى تحليل الأصول التاريخية لاضطهاد المرأة والطرق التي أدت إلى تكريس هذه الوضعية في المجتمع .

يقول سانكارا: « إن رجال بوركينا فاسو المفعمين بعبير الحرية بعد أن ذاقوا مرارة الذل والحرمان بالأمس ، يمتلكون اليوم أغلى شيء في العالم: الشرف والكرامة. لقد أضحت السعادة ممكنة من هذه اللحظة فصاعدا، ويسهل الوصول إليها. إننا نتقدم كل يوم نحو ذلك الهدف، نتذوق حلاوة أول ثمار

نضالنا، وهو ما يمثل دليلا واضحا على الخطوات الكبرى التي تم اتخاذها بالفعل.. بيد أن هذه السعادة الأنانية ما هي إلا وهم. هناك شيء كبير غائب: النساء. لقد تم استبعادهن من موكب الفرح . وعلى الرغم من أن رجالنا قد وصلوا بالفعل أسوار جنة الثورة الموعودة لايزال نساؤنا يقاومن ظلام العتمة. يتحدثون لأنفسهن سرا وعلانية عن تجارب بوركينا فاسو، وهي التي قد تمثل لهن الآن قطرة في بحر عظيم. إن وعود الثورة هي حقيقة واقعة بالفعل بالنسبة للرجال. ولكنها لا تزال مجرد سراب بالنسبة للنساء.وعليه فإن أصالة ومستقبل ثورتنا تعتمد على النساء.

تلك أسئلة مهمة ومحورية، لأنه لا شيء نهائي أو دائم يمكن أن يتحقق في بلدنا طالما أبقينا على هذه الحالة من القهر في أنفسنا ، وهي الحالة التي فرضت علينا عبر قرون من أنظمة الاستغلال المختلفة. إن على رجال ونساء بوركينا فاسو، ابتداء من اليوم تغيير الصورة الذهنية عن أنفسهم. إن كلا منهما يشكل جزءا من مجتمع لا يقوم فقط بتأسيس نمط جديد من العلاقات الاجتماعية ولكنه يشجع على حدوث تحولات ثقافية تتحدى علاقات السلطة بين الرجال والنساء وتفرض عل كل منها إعادة التفكير في طبيعة الآخر»[1].

إن كلمات سانكارا تعكس فهما عميقا لوضع المرأة في المجتمع ونضالها من أجل التحرر والانعتاق بحسبانه قضية إنسانية عامة. ولعله أقام مشابهة بين عملية تحرير المرأة وإلغاء نظام الرق الذي ظل سائدا لحقبة طويلة. يقول سانكارا:« إن على كل من الرجال والنساء تحديد وتأكيد دور المرأة في المجتمع.، وعليه ينبغي استعادة صورة الرجل الحقيقية من خلال نشر قيم الحرية وإظهار التمايزات الفطرية ، بالإضافة إلى القضاء على كافة أنظمة النفاق والخداع التي كرست من وضعية الاستغلال المخزي للمرأة. وبعبارة أخرى، فإن طرح قضية المرأة في المجتمع البوركينابي اليوم يعني طرح قضية إلغاء نظام الرق الذي عانيت منه

(1)Sankara, Women's Liberation, op.cit, p.22.

المرأة لقرون طويلة. ولعل الخطوة الأولى تكمن في محاولة فهم كيفية عمل هذا النظام وطبيعته الحقيقية في مختلف أبعاده بهدف الوصول إلى خطة عمل تفضي في نهاية الأمر إلى التحرير الكامل للمرأة. بعبارة أخرى، لكي نكسب هذه المعركة المشتركة بين الرجال والنساء فإن علينا أن نكون على دراية تامة بقضية المرأة في العالم تماما مثلما هو الحال على الصعيد الوطني. يجب علينا أن نفهم كيف أن نضال المرأة في بوركينا فاسو اليوم هو جزء من نضال من جميع النساء في جميع أنحاء العالم ، وأبعد من ذلك، فهو جزء من النضال من أجل إعادة التأهيل الكامل لقارتنا. وبالتالي فإن وضع المرأة هو في صميم المسألة الإنسانية نفسها، هنا، وهناك، وفي كل مكان. فالمسألة إنسانية عامة بطبيعتها.[1]»

**جدول رقم (6)**

**بعض المؤشرات والمعلومات عن بوركينا فاسو**

**في عهد توماس سانكارا**

| | |
|---|---|
| عدد السكان | **7964705 ( 1985 )**<br>**90% يسكنون في الريف** |
| العاملين في القطاع غير الزراعي | **40000 القطاع الحكومي**<br>**20000 قطاع التصنيع**<br>**10000 قطاع الإنشاءات** |
| المساحة | **105869 ميل مربع274200 كم2** |
| العاصمة | **واغادوغو** |
| متوسط الدخل السنوي | **150 دولار أمريكي (1981)** |

(1) Ibid, pp23-25.

| | |
|---|---|
| العملة | الفرنك الأفريقي<br>خلال الفترة 1983-1987 تراوحت قيمتها بالنسبة للدولار مابين 300-500 فرنك |
| الميزانية الوطنية | 58 مليار فرنك (1981) |
| المنتجات الرئيسية وسلع التصدير | القطن والجلود والماشية والمكسرات والذهب |
| الجماعات الإثنية | أكثر من 60 جماعة من أبرزها<br>الموسي %53.0<br>البول % 7.8<br>غورمانتشي %7.0<br>غورونسي %6.0<br>بيسا % 3.0<br>لوبي %2.5<br>سينوفو %2.2<br>سامو %2.0<br>ماركا %1.7<br>بوبو %1.6 |
| اللغات المستخدمة | الفرنسية – اللغة الرسمية<br>أكثر من 60 لغة من بينها:<br>المور %53.0 |

| | | |
|---|---|---|
| | الديولا 8.8%<br>الفولفولدي 6.6% | |
| الأمية | 92% (98% في الريف) | |
| الصحة | العمر المتوقع | 43.8% (1981) |
| | معدل وفيات الأطفال | 208 لكل 1000 طفل عند الولادة |
| | معدل وفيات الأمهات عند الولادة | 610 لكل 100000 امرأة عند الولادة |
| | الأطباء | 1 لكل 37.494 (1988) |
| | الممرضين | 1 لكل 12.366(1988) |
| | القابلات | 1 لكل 28.397(1988) |
| | مساعدي القابلات | 1 لكل 31.276(1988) |

**المصدر:**

Thomas Sankara، We Are Heirs of the World's Revolutions ،Pathfinder، NY، London،2007،p27.



# الفصل السادس

# السياسة الخارجية المستقلة

مقدمة

يمكن القول أن أبرز الاتجاهات الرئيسية التي تميز فلسفة الحكم عند الرئيس سانكارا تتمثل في تقديره الكبير لمفهوم الوطنية والتزامه الشديد باحترام مبادىء السيادة الوطنية واحترام إرادة الجماهير.ولعل ذلك يتضح بجلاء من استخدامه، كما ذكرنا ، في عملية الحشد الشعبي شعار: «الوطن أو الموت. سوف ننتصر». وعليه فقد اتخذ موقفا حازما في تأييده للشعوب المظلومة في جنوب أفريقيا وناميبيا وغيرها من المناطق. وقد قاد بنفسه حملة نشطة ضد نظام الفصل العنصري. ففي محاضرة عامة له أدان الزيارة الرسمية التي قام بها رئيس جنوب أفريقيا بيتر بوتا إلى فرنسا.وقد اعتبر أن الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران شريك بشكل غير مباشر في الجرائم التي ارتكبها نظام الفصل العنصري. لم يكن الأمر بهذه البساطة أن ينتقد زعيم أفريقي ، وخاصة من دولة أفريقية فقيرة ومعتمدة على المساعدات،السياسات التي تنتهجها فرنسا.

رفض مبدأ الإملاء في السياسة الخارجية:

كان سانكارا يؤمن بضرورة إعلاء مبادىء الاحترام المتبادل والمعاملة بالمثل في جميع تفاعلات العلاقات الدولية. ولعل من أبرز مبادراته بعدما تولى منصب الرئاسة في بلاده ، أنه طلب من شركاء التنمية التوقف عن استخدام مفهوم «المساعدات الخارجية»، وعوضا عن ذلك وصفها باسم «المساعدة المتبادلة»، وقد جادل في ذلك بقوله: «إذا كانت بوركينا فاسو غير قادرة على تقديم الهدايا المالية إلى فرنسا، فإن المهاجرين القادمين إليها ويطوفون شوارع باريس كل يوم

مقابل أجور هزيلة ينبغي النظر إليهم باعتبارهم شكلا من أشكال التعويض المتبادل من قبل الأفارقة».هذه الحجة المتعلقة بمبدا المعاملة بالمثل، والتي تفترض عولمة سوق العمل، تبدو أكثر منطقية عندما تركز المساعدات الخارجية على الجانب الفني والتقني، في نفس الوقت الذي توفر فيه الدول الأفريقية العمالة الفائضة إلى أوروبا.وكما بينا سابقا فإن استراتيجية التنمية التي انتهجها سانكارا اعتمدت إلى حد كبير على الالتزام بالحفاظ على سيادة بلاده وسلامة أراضيها، في ذات الوقت الذي يعمل فيه على تلبية تطلعات الناس والعمل من أجل تحسين أحوالهم المعيشية.

أعلن سانكارا مساندته لكافة الشعوب المظلومة في جميع أنحاء العالم. وفي صيف 1984 قاطعت بلاده دورة الألعاب الأولمبية المقامة في الولايات المتحدة الأمريكية . وقال سانكارا في ذلك الوقت: «قررت فولتا العليا عدم الذهاب، وأيدت بوركينا فاسو هذا القرار[1]- ليس ذلك بسبب عدم وجود الأمل لدينا في العودة بالميداليات ، لا! - ولكن من حيث المبدأ هذه الألعاب، مثل جميع المحافل الأخرى، ينبغي استخدامها للتنديد بأعدائنا وبنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. إننا لا يمكن أن نشارك في هذه الألعاب جنبا إلى جنب مع أولئك الذين يدعمون السياسات العنصرية في جنوب أفريقيا، وأولئك الذين يرفضون التحذيرات والإدانات التي يطلقها الأفارقة من أجل إضعاف جنوب أفريقيا العنصرية. نحن لا نتفق مع هذه الدول وقد اخترنا عدم المشاركة في المباريات، حتى لو كان ذلك يعني عدم الذهاب مطلقا إلى دورة الألعاب الأوليمبية الأخرى »[2] .

وعلى الرغم من أن هذه السياسات الخارجية قد جعلت دولا غربية كثيرة تناصبه العداء فإنه وجد في ظل عالم الحرب الباردة مساندة من دول أخرى. ففى سبتمبر 1984، حصل سانكارا على أعلى تكريم من الحكومة الكوبية، وهو وسام

(1) يعد ذلك تأكيدا على صلابة موقف سانكارا ورفضه مبدأ المشاركة في هذه الدورة الرياضية حيث أن القرار قد اتخذ قبل تغيير اسم بلاده ليصبح بوركينا فاسو.

(2)Thomas Sankara Speaks,' p. 71.

خوسيه مارتي، والذي يعد، كما قال وزير الثقافة الكوبي، أرماندو هارت:« عربون اعتراف بجدارة أولئك الذين قدموا خدمات متميزة لقضايا شعوبهم وللعلاقات بين بلدينا من أجل الكرامة والشرف؛ أو للنضال ضد الإمبريالية والسيطرة الاستعمارية والاستعمار الجديد، أومن أجل التحرر الحقيقي». وفي حفل تسلمه الجائزة، قال سانكارا عن خوسيه مارتي العظيم: 'هذا الرجل الذي توفي في دوس ريوس وهو يناضل من أجل حرية جميع شعوب العالم ينتمي إلينا جميعا - لكوبا وبوركينا فاسو[1]» .

لقد اتهم سانكارا السياسة الخارجية الأمريكية بالرجعية وأدان مواقفها تجاه الكثير من الأزمات الدولية ولاسيما في غرينادا وليبيا. كان يعتقد جازما أن الرئيس رونالد ريجان بمقدوره إلغاء نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا بجرة قلم. لم يكن مستغربا أن ترفض السلطات الأمريكية عام 1984 السماح لطائرته بالوصول إلى أطلانطا حينما كان قادما من كوبا ومتوجها لمقابلة أندرو يانج. وعوضا عن ذلك اضطر سانكارا إلى الذهاب إلى كندا في طريقه للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك. وقد استقبل استقبالا حارا في هارلم من قبل المواطنين الأمريكيين من أصول أفريقية. وحينما سئل هل سيزور «البيت الأبيض» رد باستهزاء غير خاف إن «هارلم السوداء تعادل عندي البيت الأبيض»[2]. وقد أبدى سانكارا اهتماما كبيرا بفكرة سعي القس جيسي جاكسون الترشح لرئاسة الولايات المتحدة وأبدى استعداده لدعمه ولقائه في واغادوغو. وأحسب أنه لو قدر لسانكارا الحياة حتى يرى صعود باراك أوباما وتولية السلطة في البيت الأبيض لأعاد حساباته مرة أخرى وتحدث عن معني إحداث قطيعة مع مؤسسات الحكم القائمة.

ومن أبرز الأمثلة على رفضه سياسات الهيمنة من قبل المؤسسات الدولية المانحة مشروع خط سكة حديد واغادوغو تامباو. فقد استهدف هذا المشروع الضخم تنمية المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد الغنية بالموارد المعدنية

(1)Ibid, p.77.

(2)Ibid, p.81.

ولاسـيما المنجنيـز عـالي الجـودة . بيـد أن الولايـات المتحـدة واليابـان سـحبت تمـويلهما للمشروعين عندئذ دشن سانكارا في فبراير 1985 ما أسماه «معركة السكة الحديد» لتنفيذ المشروع بالجهود الذاتية وعن طريق العمل الطوعي للمواطنين الشرفاء.

سانكارا ومفهوم الوحدة الأفريقية

كان واضحا أن مفهوم سانكارا عن الوحدة الأفريقية لم يكن مناهضا للشعوب الأخـرى في العالم، لقد كان مطابقا تماما للأخلاقيات الأفريقية المستمدة مـن ثقافـة أوبونتـو التـي تتبنى الحب الحقيقي للبشرية جمعاء المتنوعة والمذاهب والأعـراق. لقـد بـذلت محاولـة لتعريف الأوبونتو من قبل رئيس الأسـاقفة ديزمونـد توتـو عـام 1999بقولـه :« يعـيش الشخص المؤمن بثقافة أوبونتو منفتحـا وتحـت خدمـة الآخـرين، مؤكـدا للآخـرين، عـدم الشعور بالتهديد نظرا لقدرة ومكانة الآخرين ، لأن كل واحد لديه تأكيدات ذاتية سـليمة تشير إلى أن الفرد ينتمي إلى الكل الأشمل وأنه يتـأثر سـلبا إذا تـم إذلال الآخـرين أو تـم تعريضهم للتعذيب أو الاضطهاد[1]».

وقد عرفها نيلسون مانديلا على النحو التالي: «إذا توقف المسافر في بلد ما عنـد قريـة فإنه لا يسأل عن الطعام أو الشراب. إنه فور توقفه يقدم له الناس الطعام ويقومون عـلى راحته. وهذا جانب واحد من أوبونتو التي تملك أبعادا أخرى متعددة. الأوبونتو لا تعنـي عدم قيام الناس بالحديث عن أنفسهم. وعليه يصبح التساؤل هو: هل تقـوم بـذلك مـن أجل تمكين المجتمع حولك من التطور؟»[2].

يقول توماس سانكارا: « إن نضالنا هو دعوة للبنـاء. ولكـن مطلبنـا لـيس بنـاء عالم للسود وحدهم موجه ضد الآخرين.ونحن نريد تعليم الآخرين كيف يحبون

(1)Battle, Michael. Ubuntu: I in You and You in Me. New York: Seabury Books, 2009.

(2)https://www.youtube.com/watch?v=-wNwQMeis_4

بعضهم البعض تماما مثل السود». وعلى الرغم من التزام سانكارا بمبدأ الوحدة الأفريقية فإنه اصطدم بوجود قادة في دول الجوار اعتبرهم من قوى الثورة المضادة. وعلى سبيل المثال فإن تصريحاته المبكرة حول تصدير الثورة واستعداده للمساهمة في حدوث ثورات مماثلة في أماكن أخرى أزعجت النخب الحاكمة في مالي والنيجر وساحل العاج. لم يكن غريبا أن تتوتر علاقات بوركينا فاسو بساحل العاج حيث كان سانكارا يعتقد بأن الفرنسيين أسهموا في تنمية مستعمرة ساحل العاج على حساب بوركينا فاسو، كما أن الرئيس بوانيه كان يتبني سياسات غير عادلة إزاء العمالة البوركينابية المهاجرة في بلاده. وعلى صعيد العلاقات مع مالي فإننا نجد أنها تجاوزت أزمة الثقة بين سانكارا والرئيس موسى تراوري لتأخذ بعد التنافس على الإقليم الحدودي المتنازع عليه بين البلدين.

الانتماء إلى حركة العالم الثالث

لقد كان توماس سانكارا مؤمنا بأهمية الانتماء إلى عالم عدم الانحياز الذي يجمع بين القارات الثلاث أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، حيث ناضلت شعوب هذه القارات ضد نفس الأعداء. ولعل ذلك هو ما دعا سانكارا إلى القول في حديثه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 4 أكتوبر1984 أن بلاده تشكل جزءاً أصيلاً من فضاء العالم الثالث. يقول سانكارا: «إنني لا أدعي إرساء أي مبادئ هنا. فأنا لست منقذاً أو نبياً. كما أني لا أدعي امتلاك الحقيقة. إنني أتطلع فقط إلى أمرين: أولهما أن أتحدث نيابة عن شعبي بوركينا فاسو بكلمات بسيطة وواضحة، وثانياً أن أتحدث أيضاً نيابة عن الشعوب المحرومة في العالم، هذه الشعوب التي تنتمي إلى ما يسمى بالعالم الثالث ... لعل ذلك هو ما يظهر اهتمامنا بالأمم المتحدة. إنا نتفهم أن المطالبة بحقوقنا تتطلب منا وعياً صريحاً وقوياً بالواجبات الملقاة على كواهلنا. ليس بمستغرب أن ترتبط فولتا العليا سابقا، بوركينا فاسو اليوم، بهذا المركب المسمى العالم الثالث، والذي ابتدعه العالمين الآخرين عندما حصلت كثير من الدول على استقلالها وذلك للتوكيد على اغترابنا الفكري والثقافي

والاقتصادي والسياسي»[1].

ويرى سانكارا أن مبدأ الانتماء لعالم القارات الثلاث يعني التضامن والتلاحم. وقد اقتبس الرجل مقولة المناضل والأديب الكوبي الكبير جوزيه مارتي «الشعور بالألم الذي يتعرض له أي رجل في العالم». أو بعبارة أخرى أن شعوب العالم الثالث مثل الجسد الواحد الذي يتداعي بمرض أحد أعضائه. وعليه فإنه يطالب النخبة المثقفة في أفريقيا والعالم الثالث إلى تحمل مسئوليتها التاريخية من أجل التعبير عن آمال وتطلعات شعوبهم. يقول سانكارا:

«على هذه النخب من رجال أفريقيا والعالم الثالث العودة إلى أنفسهم قبل فوات الأوان، من أجل فهم مجتمعاتهم وأوضاعهم البائسة الموروثة. عليهم أن يفهموا أن النضال الفكري من أجل الجماهير المحرومة لا يمكن أن يذهب سدى. إن عليهم أن يفهموا كذلك ضرورة أن يكون النضال مبدعاً وحقيقياً كي يصبح مؤثراً على الصعيد الدولي، ولن يتأتي ذلك إلا من خلال رسم صورة مخلصة لشعوبهم. إذ تسمح تلك الصورة لشعوبهم تحقيق التغيرات الأساسية في المواقف السياسية والاجتماعية، الأمر الذي يمكنهم من إحداث القطيعة المرجوة مع الهيمنة والاستغلال الأجنبي والذي لم يترك لبلداننا أي خيار سوى الإفلاس»[2].

العلاقة مع فرنسا

لم تكن فرنسا، وهي الدولة الاستعمارية السابقة، سعيدة بوصول توماس سانكارا إلى السلطة حيث تسببت موافقة الدولية ونمط سياسته الخارجية المستقل في شعور باريس بالقلق الشديد. صحيح أن بوركينا فاسو لم تكن يوماً قلب الوجود الاستراتيجي الفرنسي في غرب أفريقيا الفرنكفونية بسبب صعوبة مناخها وفقرها الشديد، ومع ذلك فإنها كانت بمثابة مخزون احتياطي للمراكز الاستعمارية الفرنسية الأخرى مثل ساحل العاج ومالي. وعلى أية حال فإن السياسة الفرنسية

(1)Sankara, We Are Heirs….., p 60

(2)Ibid ,p.63.

تعرضت لانتقادات لاذعة بين الحين والآخر من قبل توماس سانكارا.

ولعل أبرز مثال على توتر العلاقات الفرنسية البوركينابية ما حدث بين سانكارا والرئيسي فرانسوا ميتران أثناء حفل العشاء الذي أقيم على شرف الأخير في واغادغو في نوفمبر 1986. لقد كانت كلمات سانكارا حادة وقوية في انتقاد سياسة ضيفه الاشتراكي حيث دعاه إلى أن تطابق أفعاله أقواله. إذ اتهم سانكارا فرنسا بأنها وقفت مكتوفة اليدين ولم تفعل شيئاً لوقف الحرب العراقية الإيرانية أو الحرب الإقليمية في تشاد. كما وجه سانكارا انتقاداً لاذعاً للرئيس ميتران شخصياً نظرا لاستقباله في قصر الاليزيه بيتر بوتا رئيس نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. على أن ميتران حاول استيعاب الموقف بدهاء شديد لا يخلو من غطرسة استعلائية حيث رفع كأسه من أجل تعزيز الصداقة الفرنسية البوركينابية قائلاً: إن الكابتن سانكارا لا يزال في ريعان الشباب، ولكنه بالغ الحدة كذلك. إذا كنت بحاجة إلينا دعنا نعلم ذلك، وإن لم تكن نستطيع تجاوز ذلك»[1].

وتشير بعض التقارير إلى محاولة فرنسا الدءوبة زعزعة نظام الحكم في بوركينا فاسو ولعل من أبرز تلك المحاولات، تقديمها السلاح لحكومة جان باتست في مايو 1983 عندما تم اعتقال توماس سانكارا وذلك لضمان عدم عودته للسلطة، كما رفضت باريس استقبال الرجل الثاني في المجلس الوطني للثورة عام 1984 بليز كومباوري وذلك من أجل التفاوض لعودة المساعدات الفرنسية. وثمة من يرجع الحرب الحدودية التي نشبت بين بوركينا فاسو ومالي وراح ضحيتها نحو ثلاثمئة شخص عام 1985 أنها كانت تدار لصالح فرنسا[2]. ويبدو أن سانكارا نفسه قد دفع حياته ثمناً لتمرده على واقع الهيمنة الفرنسي في محيطها الجيواستراتيجي بمنطقة غرب أفريقيا.

(1)See :the Fall of Thomas Sankara or Why You Can't Make Revolution without the Masses , p 37..

(2) يرتبط النزاع الحدودي بين مالي وبوركينا فاسو بقطاع أغاشير Agacher في شمال بوركينا فاسو. وكانت المنطقة،وقد تحول النزاع إلى حرب عنيفة في مناسبتين أحدهما عام 1974 والثانية عام 1985 . وتعزى أسباب النزاع إلى احتنواء الشريط الحدودي على موارد طبيعية ضخمة يسعى كل طرف للسيطرة عليها لتحسين أحوال بلاده المعيشية.

العلاقة مع القوى الاشتراكية

حاول توماس سانكارا أن يدعم علاقة بلاده مع القوى الاشتراكية الدولية والإقليمية للتخفيف من حدة الاعتماد على فرنسا والمعسكر الغربي. وعليه فقد اتجه لتعزيز العلاقات مع نظام جيري رولنجز في غانا حيث تم توقيع معاهدة دفاع مشترك في نوفمبر 1983، كما تم تنفيذ بعض المناورات العسكرية المشتركة. ونظراً لأن العلاقة مع ليبيا كانت جيدة ، وإن شهدت بعض التوتر نظراً لرفض سانكارا الأخذ بمقترح القذافي الخاص بتبني مبادئ الكتاب الأخضر أو اقامة وحدة بين ليبيا وبوركينا فاسو فإن الخوف من اقامة محور ثلاثي الأبعاد يضم طرابلس وأكرا وواغادوغو كان يقلق بال الفرنسيين والقوى الغربية عموماً.

قام سانكارا بزيارة كل من كوبا والاتحاد السوفيتي وهو ما أثار التساؤل حول إمكانية أن يكون السوفييت بديلاً عن فرنسا، ولكن في واقع الأمر هو انتقال من دائرة إلى أخرى في فلك التبعية. واللافت للانتباه أن المساعدات غير الغربية التي كانت تأتي لبوركينا فاسو كان مصدرها دول من مجموعة عدم الانحياز الموالية للسوفيت مثال ذلك كوبا التي قدمت المساعدات العينية والفنية ولا سيما المساعدة في إنشاء مصنع للسكر في بوركينا فاسو. وقد ساعدت كل من غانا وكوبا وليبيا في بناء ممر مطار العاصمة. تلقت بوركينا فاسو أيضاً مساعدات من أنجولا وموزمبيق وكوريا الشمالية التي أرسلت الحديد والأسمنت لبناء المسارح العامة في واغادوغو وبوبو وديولاسو. كما أسهمت الصين كذلك بحفر عدد من الآبار للتخفيف من حدة نقص المياه في البلاد. وفي إطار دبلوماسية الاستادات الرياضية التي كانت تتبعها الصين لكسب عقول وقلوب الأفارقة تبرعت بكين ببناء «استاد الرابع من أغسطس» وبعض المستشفيات.

مشكلة الدين الخارجي

لقد رفض توماس سانكارا الاعتماد على القروض والمساعدات الممنوحة من المؤسسات الدولية المانحة كي يبتعد عن مسألة المشروطية السياسية. وعوضاً

عن ذلك دعا إلى أهمية الاعتماد على الذات ورفض مقولة حتمية الفقر وكان من أوائل الداعين إلى مفهوم الأمن الغذائي. لقد عمل على تحقيق شعار « وجبتين وعشرة لترات من المياه يومياً لكل فرد». لقد أضحت بوركينا فاسو خلال فترة حكمه أقرب ما تكون إلى الاكتفاء الذاتي. ومع ذلك فإن عبء الدين الخارجي المتراكم على دولته ظل بمثابة الحمل الثقيل وهو ما دعاه إلى المطالبة بعدم سداد هذه الديون. ففي كلمته أمام القمة الأفريقية في أديس أبابا عام 1987 طالب بتشكيل جبهة أفريقية متحدة لرفض سداد الديون. ومن العجيب حقاً أن الرجل قالها صراحة أمام الزعماء الأفارقة : «إذا وقفت بوركينا فاسو لوحدها رافضة دفع الديون فإني لن أكون حاضراً في اجتماع القمة القادمة». وبالفعل اغتيل توماس سانكارا بعد أشهر ثلاثة من هذا الخطاب.

يقول سانكارا: لا يمكن سداد الدين. إذا لم نقم بالسداد فإن المقرضين لن يموتون. تأكد من ذلك جيداً، بيد أنه إذا قمنا بالسداد فإننا نحن الهالكون، تأكد من ذلك أيضاً». ويطرح سانكارا رؤية كلية لتحليل أزمة الدين الخارجي في أفريقيا حيث يربط بينها وبين الاستعمار. يقول سانكارا: «إن الذين أقرضونا الأموال هم أنفسهم الذين استعمرونا إنهم نفس الأشخاص الذين أداروا بلادنا من خلال إخوانهم وأبناء عمومتهم الذين قاموا فعلاً بعملية الإقراض.. ليس لدينا أدنى علاقة بهذه الديون. وعليه لن نستطيع دفعها. إن الدين لا يزال يمثل الاستعمار الجديد حيث اتخذ المستعمرون لباساً جديداً حيث لبسوا ثياب الخبراء التقنيين. إنهم الذين أوقعونا في هذه الديون».

ويذهب سانكارا في تحليله لأزمة الديون فيرى أن أوروبا هي المدينة لأفريقيا. فالدماء الأفريقية الذكية هي التي أنقذت أوروبا من الديكتاتورية الهتلرية. بيد أن العقلية الأوروبية المنحازة تذكر دائماً خطة مارشال ولا تتحدث عن خطة أفريقيا التي ساعدت في إنقاذ أوروبا وحررت العالم بأسره من شر النازية.

وعلى أية حال فإن الحملة الدولية من أجل عدم دفع الديون قد اتخذت بعدا

شعبيا منذ عام 1982 عندما بدأت المكسيك بعدم الدفع وقد أيد هذه الحملة الزعيم الكوبي فيدل كاسترو. وفي عام 1985 قرر رئيس بيرو ألان جارسيا تحديد نسبة لسداد الديون ولكن الولايات المتحدة استطاعت عزله. وفي أفريقيا ابتدأ توماس سانكارا هذه الحملة مطالبا بتكوين جبهة موحدة لعدم تسديد الديون ولكن بعد اغتياله لم يتول أحد من الزعماء الأفارقة طرح الموضوع . وعلى أية حال فقد ظهرت حملات كثيرة مناوئة لهذه الديون داخل دول الشمال نفسها مثل «اللجنة من أجل إلغاء ديون العالم الثالث في بلجيكا» التي رفعت شعار «هذا يكفي» منذ عام 1990. وفي نهاية التسعينيات من القرن الماضي نشأت حملة يوبيل 2000 بدعم من الكنيسة وقادت مظاهرات شعبية ضد الديون[1].



(1) أنظر في ذلك: سمير أمين وفرانسوا أوتار، مناهضة العولمة حركة المنظمات الشعبية في العالم، القاهرة :مكتبة مدبولي ، 2004.ص 225.

# الفصل السابع

## ماذا بقي من ميراث السنكارية السياسية؟

مقدمة:

لا مراء في أن الفكر السياسي والاجتماعي لتوماس سانكارا لا يزال وثيق الصلة بنضالات وعذابات الشعوب الأفريقية في الوقت الحاضر. فمنذ اغتيال سانكارا عام 1987 لا تزال قضايا الفساد والهيمنة السياسية والاقتصادية على مقدرات الأفارقة واقعاً ملموساً، كما أن المرأة الأفريقية تعاني من أوضاع عدم المساواة الثقافية والتهميش الاجتماعي.

تعددت الآراء في الحكم على تجربة سانكارا. هناك من رآه وصوره على أنه مثالي حالم بعيد عن أرض الواقع وغير مكترث بالقيود الموضوعية التي تفرضها البيئة الداخلية والإقليمية والدولية على حركته السياسية بينما رأى البعض الأخر أن سانكارا زعيم يمتلك كل سمات القائد الكارزمي الذي استطاع في فترة وجيزة أن يمتلك قلوب وعقول أبناء وطنه. وفي نفس السياق عاب عليه نفر من مؤيديه أنه كان يميل إلى إطلاق المبادرات والمشاريع الكبرى دون أدنى اعتبار لطريقة التنفيذ والموارد اللازمة.

وعلى أية حال فإن الرجل لم يكن قائداً بيروقراطياً عادياً، ولكنه كان شاباً ثورياً آمن بمبادئ وآليات التغيير الاشتراكي. لقد كان صاحب رؤية وبصيرة بعيدة المدى. لم يمل إلى تبني الحلول التقليدية السهلة، كما أنه ابتعد عن منطق المباراة غير الصفرية، القائمة على التوفيق، في حركته من أجل تغيير مجتمعه. وفي نفس السياق لم يؤمن أيضاً بالإصلاح التدريجي، وإنما كان مبتغاه النهائي هو تحطيم آلة الدولة الموروثة وقطع كافة الروابط مع النظام القديم من أجل تحقيق تطلعات

الجماهير الشعبية في إقامة مجتمع جديد يخلو من الظلم والاضطهاد والتهميش. كان مولعاً دائماً بالقول بأنه: «**أيما رجل استطاع أن يحلم فإنه بالغ هدفه**». ولعل ذلك كله يؤكد منطق «السنكارية» السياسية القائم على التفكير الإبداعي من خارج الصندوق التقليدي. يقول في مقابلة مشهورة :« إن التغيير الجوهري في المجتمع يحتاج إلى قدر من الجنون. ألم يربط البعض منا حتى اليوم الإبداع بشيء من الجنون؟!».

طبقاً لأحد الباحثين فإن سانكارا لم يكن طوباوياً حالماً حيث تمكن في السنوات الأربع التي قضاها في السلطة أن يضع المبادرات التي لم يكن أحد يتصورها من قبل موضع التنفيذ. لقد فعل ذلك من خلال إقناع البسطاء من الناس بأن لديهم قدرة على التغيير. كان الرجل يمتلك مهارات استثنائية بوصفة خطيباً مفوهاً يصل إلى قلوب الجماهير بحسن عباراته التي لا تخلو من خفة ظل واضحة وذكاء متقد. ليس هذا فحسب فقد طابقت أفعاله أقواله بما يدل على الصدق والصراحة والتواضع. كان الرجل دائم الاختلاط بالقرويين البسطاء، يركب دراجته ويسير بها في شوارع العاصمة واغادوغو، كما يلعب كرة القدم مرتدياً قميصه وسرواله القصير وسط الشباب وكأنه واحد منهم، وليس رئيس دولة بحرسه وقوات أمنه الخاص.

كان سانكارا يعتمد في توصيل رسائله للجمهور على استخدام وسائل رمزية لم تكن تخلو من طابع مسرحي واستعراضي في أحيان كثيرة. وعلى سبيل كان يعمد إلى سياسات المكاشفة والمصارحة في الوظائف العامة. فالموازنات العامة للحكومة عادة ما كانت تتم مناقشتها في التجمعات الجماهيرية والمؤتمرات الشعبية، كما أن كبار المديرين في الشركات المملوكة للدولة خضعوا لجلسات استجواب عامة. وقد طلب من جميع موظفي الحكومة ارتداء الأزياء البوركينابية التقليدية المصنوعة من القطن وذلك بهدف تشجيع الصناعة المحلية وتحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتي.

ولعل من أبرز الأمور التي لم تخلو من طرافة أن الرجل حول مناسبة الاحتفال

بيوم المرأة العالمي إلى ممارسات عملية تدعم من تعزيز ثقافة المساواة وتمكين المرأة في المجتمع. فقد أمر الرجال في ذلك اليوم أن يذهبوا إلى السوق عوضاً عن زوجاتهم أو يقوموا بغرس شجرة تكريماً لهن. لقد استطاع سانكارا خلال فترة حكمه تنفيذ برامج طموحة في مجالات الإصلاح الزراعي والتعليم والصحة وحماية البيئة وإجراءات محاربة الفساد. كما أنه ألغى ضرائب الرؤوس والعمل البشري لصالح الزعماء التقليديين في القرى. وقد زادت نسبة المشاركة الشعبية في الحياة العامة بما في ذلك تمكين المرأة. كما أنه ألغى العادات التقليدية المتعلقة بختان النساء وتعدد الزوجات[1].

لقد كان سانكارا زعيماً شعبوياً ملتصقاً بالجماهير وحين سئل لماذا لا تعلق صوره في الأماكن العامة أسوة بالزعماء الأفارقة لآخرين رد قائلاً: «هناك سبعة ملايين توماس سانكارا». وببساطة شديدة فإنه اعتبر نفسه «واحداً من الناس» .

ما الذي تقدمه «السنكارية السياسية» للفكر السياسي والاجتماعي الأفريقي؟. وكيف يمكن الاعتماد عليها اليوم في إحداث تغيرات وتحولات كبرى من أجل تحقيق النهضة الأفريقية. يرى كاتونغولي Katongole إن النموذج الذي تطرحه قيادة سانكارا يستطيع أن يقدم ثلاثة مقومات تمثل أساساً لابتكار المستقبل وهي: الرؤية والجنون الثوري والتضحية.

أولاً: الرؤية الثاقبة

كان توماس سانكارا على وعي تام بالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته بوركينافاسو في ظل الاستعمار والاستعمار الجديد، كما أنه كان على وعي كذلك بضرورة تغيير هذه الأوضاع وبناء مجتمع جديد. ولفهم الوضوح الفكري الذي ميز نمط قيادة توماس سانكارا ينبغي العودة إلى خصائص القيادة الثورية القادرة على تغيير مجتمعاتها. هذا النمط من القيادة يستند على فلسفة للحكم ركيزتها النزاهة والقدرة على بلورة رؤى واضحة وترجمتها إلى حقائق

(1) Katongale, p88.

ملموسة من أجل تغيير حياة الناس للأفضل. ويمتلك القائد في هذا النموذج الشجاعة التي تمكنه من مواجهة التناقضات السائدة التي تواجهه في كل مرحلة من مراحل التنمية. أضف إلى ذلك فإن حدود التفكير تؤهله وتمكنه من التوقع والقيادة في عمليات التنمية الرئيسية والتي تؤثر على حياة الأجيال القادمة.

كان سانكارا يتحدث عن تغيير المناخ والمساواة بين الجنسين ومكافحة الفساد وإلغاء الديون وينظر إليه البعض إما باستغراب أو باستهزاء. ومع ذلك فإن هذه القضايا تحتل قائمة الأجندة الأفريقية والعالمية اليوم. لقد كان توماس سانكارا في الطليعة عندما بدت مثل هذه القضايا هامشية وغير ذات أولوية.

ثانياً : الجنون الثوري

لقد مكن جنون توماس سانكارا الثوري أن تحقق بلاده إنجازات كبرى في فترة زمنية قصيرة. وهذا يعني أن أفريقيا اليوم بحاجة إلى قادة ثوريين من أمثال سانكارا عوضاً عن نمط القيادة البروقراطية السائد. أفريقيا بحاجة إلى قادة يستطيعون فهم التحديات التي تواجهها وفي نفس الوقت يمتلكون الرؤية التي تمكنهم من العبور إلى المستقبل من خلال تجاوز عقبات الحاضر. لقد كانت توقعات سانكارا كبيرة جداً وبلغت آماله عنان السماء.

ولعل من أفضل ما كتب عن نمط القيادة الذي طرحه سانكارا هو تقييم قدمه أحد القرويين حينما علم بخبر وفاته، يقول في ذلك:«لم أفاجأ بخبر مقتله على الرغم من أن الثورة أخذتني على حين غرة. اجتمع حوله رجال معدومي الضمير، كان مبلغ همهم الثراء الفاحش وركوب السيارات الفارهة. استطاعت الثورة أن تغير أشياء كثيرة، ليس بالضرورة إلى أفضل الأحوال. ولكن بسبب الثورة تعلمنا تحديد نمط السياسيين الذين نحتاج إليهم. لقد علمتنا أن نعمل بأنفسنا ولأنفسنا. على أن سانكارا أراد تغير كل شيء بسرعة شديدة. لقد توقع أكثر من اللازم. لو كنت رئيساً لفعلت الشيء نفسه الذي فعله سانكارا وأرسلت الوزراء إلى القرى من أجل التعلم ومد يد العون للفلاحين. ولعل أفضل فكرة علمنا إياها سانكارا

تمثلت في أنه لا ينبغي العيش بما نحصل عليه من أجور كل شهر، وإنما نعيش بحد الكفاف ونعطي الباقي من أجل تنمية البلاد بدلاً من المطالبة بالحصول على مساعدات من الخارج»[1].

ثالثاً : التضحية والالتحام بقضايا الجماهير

لعل من أبرز القضايا الكبرى التي دافع عنها توماس سانكارا بحماس منقطع النظير دعمه الثابت لجميع النضالات الثورية الشعبية ولجميع حركات المقاومة ضد الهيمنة الامبريالية والقمع الاستعماري. ففي خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 4 أكتوبر 1984 ذكر سانكارا صراحة: أن ثورة بوركينا فاسو تمد ذراعيها لتدافع عن معاناة كل الشعوب. كما أنها تعتمد في مصدر إلهامها على خبرات الشعوب منذ فجر التاريخ الإنساني. إننا نود أن نكون ورثة كل ثورات العالم وحركات تحرر شعوب العالم الثالث». لقد استلهم سانكارا رؤيته في إحداث التغير الجذري والتضحية من أجل الجماهير من الثورات والنضالات الكبرى في جميع أنحاء العالم. ولعل ذلك يفسر لنا تضامنه مع نضالات الشعوب المضطهدة ضد قوى الهيمنة.

لقد حظيت تجربة توماس سانكارا وفكره السياسي والاجتماعي باهتمام كبير خارج بلاده ولايزال حتى اليوم يمثل مصدر إلهام لكثير من الفنانين والشباب في أفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية. قارن البعض بينه وبين زعماء آخرين ضحوا بحياتهم من أجل المبادئ التي اعتنقوها مثل باتريس لومومبا وأميلكار كابرال. مثلت أفكار سانكار تحدياً كبيراً للنظام القائم ولاسيما هيمنة فرنسا في فضائها الاستراتيجي بمنطقة غرب أفريقيا الفرنسية، بالإضافة إلى النظم الإقليمية المتواطئة مع القوى الاستعمارية الجديدة وقوى الهيمنة العالمية الجديدة.

على الرغم من محاولات نظام بليز كومباوري طمس إرث توماس سانكارا فإن

(1)Who killed the lion king, the internationalist. http://newint.org/ features/1995/06/ 05/lionking

هناك مؤشرات كثيرة تدل على تنامي شعبية جيفارا الأفريقي ليس فقط داخل أفريقيا، بل أيضا في العديد من بلدان أوروبا وأمريكا الجنوبية. لقد نُشرت عنه العديد من الأعمال الاجتماعية والسياسية باللغات الأوروبية الرئيسية مثل الفرنسية والايطالية والانجليزية. وفي يوم 15 أكتوبر من كل عام يتم تنظيم العديد من الاحتفالات في جميع أنحاء العالم لتكريم ذكراه. ولا يخفى أن هناك نحو ثلاثين جمعية من الجمعيات الدولية المناهضة للعولمة تنظم احتفاليات ضد الديون باعتبارها غير شرعية، وهي بهذا تستلهم الروح النضالية لتوماس سانكارا وموقفه الحازم ضد دفع الديون[1].

ألهم سانكارا العديد من الفنانين الذين كتبوا وصاغوا إبداعاتهم عن مبادئه ومثله العليا. وفي هذا السياق نستطيع ذكر العديد من الموسيقيين البارزين، مثل تيكن جاه فاكولي، أو ديدييه العوضي، الذين يعتبرون توماس سانكارا نموذجا يحتذى للشباب الأفريقي. كما أضحت صوره تمثل سوقا رائجة لمصممي الملابس حيث أعادوا طباعتها بمختلف الأشكال.وهناك كذلك العديد من الأفلام الوثائقية التي تؤرخ لمسيرة نضال توماس سانكارا ، وقد أعيد بث بعض هذه الأفلام على شاشات التلفزيون عدة مرات، كما تمت ترجمتها إلى عدة لغات مختلفة. ولعل أشهر هذه الأفلام: «توماس سانكارا» وهو عبارة عن سيرة ذاتية وقصة حلمه الثورى الذي لم يكتمل، وهو من إنتاج القناة الرابعة البريطانية عام 1991. يوجد أيضا الفيلم الأشهر الذي قدمه روبن شفيلد بعنوان :« توماس سانكارا:الرجل المستقيم». ومن بين أبرز الأعمال الفنية كذلك فيلم «على خطى توماس سانكارا»، وهو فيلم وثائقي متكامل ترجم أيضا إلى عدة لغات وتم توزيعه في العديد من البلدان.

ولعل أحد نقاط الضعف الكبرى التي نالت من تجربة سانكارا الثورية وأسهمت في إسقاطها سريعاً أنه لم يقدر حجم أعدائه بالداخل والخارج. لقد أسهمت سياسات الرجل الراديكالية في مجال الإصلاح الزراعي وإعادة توزيع الأراضي من الإقطاعيين لصالح فقراء الفلاحين إلى زيادة الإنتاج وتحقيق الاكتفاء

(1) أنظر على سبيل المثال: اللجنة من أجل إلغاء ديون العالم الثالث CADTM ورابطها : /http://arabic.cadtm.org

الذاتي. فقد ارتفع إنتاج القمح في فترة ثلاث سنوات فقط من 1700 كجم لكل هيكتار إلى (3800) كجم لكل هيكتار. وهو ما حقق الاكتفاء الذاتي من القمح.

حاول «تشي أفريقيا» أن يسلك طريقاً ثالثاً من خلال التضامن مع شعوب العالم الثالث بعيداً عن الاستقطابات الدولية. وعليه فإن الحركات المناهضة للعولمة لا تزال تنظر إلى «السنكارية» بحسبانها بديلاً أو على الأقل أساساً لتصور طريق آخر مختلف للنهضة الأفريقية يعتمد على الاستقلال والاكتفاء الذاتي.

لقد قام توماس سنكارا بكتابة النشيد الرسمي لبوركينا فاسو والذي يقول[1]:

**ليلة واحدة جمعت في ذاتها تاريخ شعب**

**في ليلة واحدة أعلنت مسيرة الظفر نحو آفاق سعيدة**

**ليلة واحدة وحدت شعبنا مع كل شعوب العالم**

**لتحقيق الحرية والتقدم**

**الوطن أو الموت: سننتصر**

واستنادا إلى الإرث التاريخي للسنكارية، ارتدى المتظاهرون في انتفاضة أكتوبر 2014 قمصانا تحمل صورته وألواحا محفور عليها كلماته، ولافتات كتب عليها: «يسقط بليز» بليز ارحل! ولا يزال الجدل حول السنكارية السياسية محتدما داخل بوركينا فاسو وحتى خارجها حيث تأسست أحزاب وتنظيمات سياسية تحمل مبادىء وفكر توماس سانكارا مثال ذلك حزب الاتحاد من أجل النهضة/ الحزب السنكاري. وقبيل اندلاع الانتفاضة الشعبية التي أطاحت بالرئيس بليز كومباوري عقدت التيارات السنكارية في بوركينا فاسو مؤتمرا بمناسبة اغتياله وكان موضوع المؤتمر هو « ضرورة وحدة التيار السنكاري من أجل طرح بديل لبوركينا فاسو». لقد ألهمت مبادىء السنكارية تنظيمات أفريقية

(1) عبدالجليل معالي ، سنكارا.. حلم ببناء «أرض الرجال النزهاء» واقتحم المحظور في العرف الاستعماري،العرب، نُشر في 2013/10/26، العدد: 9360، ص14.

راديكالية مثل «المناضلين من أجل الحرية الاقتصادية» (EFF)، وهو حزب اشتراكي ثوري في جنوب أفريقيا بزعامة جوليوس ماليما.

وعلى أية حال فإن أبرز أفكار توماس سانكارا والمرتبطة بواقع بلاده وأفريقيا اليوم تتمثل في ما يلي:

- **شكل الديمقراطية**، حيث كان سانكارا يرفض الحياة الحزبية ويؤمن بتمكين الشعب بشكل مباشر. ولعله يؤكد على فهم جورج بادمور للاشتراكية الديموقراطية التي تعني الحكم من أجل ، وبواسطة الشعب. فقد كانت كل قرية تجتمع لاختيار ممثليها في لجان الدفاع عن الثورة. على أنه بعد رحيل سانكارا تم تقويض هذه الآلية الانتخابية أثناء حكم كومباوري.

- **مبدأ العدالة للجميع**، فقد كان الجميع سواء أمام المحاكم الشعبية الثورية حيث لهم الحق في التعويض القانوني والحصول على الحماية ضد السرقة أو المظالم الأخرى دون الحاجة إلى توكيل محام.

- **في الاقتصاد**، كانت تجربة سانكارا في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء مثيرة للاهتمام. بيد أن هذا الاكتفاء الذاتي من الغذاء لم يتحقق في ظل حكم كومباوري، حيث أضحت بوركينا فاسو تستورد من الصين كميات كبيرة من الأرز. معنى ذلك أن تجربة توماس سانكارا تقول أنه من الممكن تماما لبوركينا فاسو أن تعتمد على نفسها في توفير الغذاء.

- **التربية والتعليم**. اتخذت حكومة سانكارا خطوات كبيرة نحو جعل التعليم في متناول الجميع، بما في ذلك كل من الذكور والإناث. وعلى الرغم من أن حكومة كومباوري أصدرت عام 2005 قانون المساواة في الحصول على التعليم فإنه كان مجرد حبر على ورق حيث يتطلب الأمر ضرورة مجانية التعليم .

- **الجيش**: في سنوات الثورة، كان الجيش جزءا من الشعب ومن ثم انتشرت عبارة: الجنود المواطنون. بيد أن هذا تغير تماما في ظل حكم كومباوري. حيث أصبح الجيش فوق الشعب.

- **البيئة:** في سنوات حكم سانكارا، زرعت كل قرية مئات من الأشجار، وفي كل حفل أو مناسبة اجتماعية تتم زراعة الأشجار. وقد توقف هذا التقليد في ظل حكم كومباوري، وهو ما أدى إلى عودة زحف الصحراء مرة أخرى.

- **محاربة الفساد.**اتخذ سانكارا موقفا قويا وحاسما ضد الفساد، فقد وقف في وجه الممارسات الفاسدة في كافة قطاعات الحكومة. بيد أن حكم كومباوري شهد عودة هذه الممارسات مرة أخرى على نطاق واسع:، إذ انشغل المسئولون الحكوميون بنهب عائدات الضرائب لبناء منازل فاخرة لأنفسهم وقضاء عطلاتهم في أوروبا والولايات المتحدة. على أن أسوأ جانب من جوانب الفساد في مرحلة ما بعد سانكارا كان يتمثل في الإفلات التام من العقاب من قبل المسؤولين الحكوميين حالة ارتكابهم أي جرائم .

- **الصناعة:** بدأت حكومة سانكارا الاستثمار في مجال الصناعات الحكومية، مثل المنسوجات والملابس باستخدام المواد المنتجة محليا مع الاعتماد على التصاميم التقليدية، وذلك بهدف تغطية حاجات الاستهلاك المحلي. بيد أن هذه الصناعات تم خصخصتها من قبل نظام كومباوري، وهو ما أدى إلى خفض انتاجيتها.

- **حقوق المرأة:** اهتمت حكومة سانكارا بتمكين المرأة حيث كانت النساء على رأس عدة وزارات، وتولين مراكز قيادية في المجتمع عموما. بيد أن كومباوري قد أعاد عقارب الساعة إلى الوراء.

وعلى أية حال فإنه طبقا لمؤشرات الاقتصاد الكلي كانت معدلات الأداء الاقتصادي لفترة حكم سانكارا ناجحة في إجراءات التثبيت الاقتصادي وإحداث نمو مع مراعاة البعد الاجتماعي. فقد وصل معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي (3،5%) سنويا خلال الفترة من 1983 وحتى عام 1987، وتضمن ذلك أيضا معدل نمو سنوي (6،2 %) للناتج المحلي الإجمالي لكل فرد، وهي نسبة تفوق مثيلاتها في دول أفريقيا جنوب الصحراء أو في الفترات السابقة من تاريخ بوركينا فاسو في مرحلة ما بعد الاستعمار. ففي أعقاب فترات الكساد التي عطلت معايش

البلاد والعباد في السبعينيات من القرن الماضي ارتفع إنتاج قطاع المحاصيل الزراعية بمعدل سنوي غير مسبوق وصل إلى (14%) خلال الفترة من 1983 وحتى عام 1988 ، وهو ما يعكس الأثر الإيجابي لسياسة الاكتفاء الذاتي في القطاع الزراعي وإصرار الحكومة على تحقيق الأمن الغذائي[1].

ومن الملاحظ كذلك أن إنتاجية المحاصيل النقدية ولاسيما القطن، كما ذكرنا من قبل، قد ازدادت بشكل ملحوظ خلال فترة حكم سانكارا. ما الذي حدث إذن وتغير عن المراحل السابقة؟ إنها ببساطة روح السنكارية الثورية التي ألهبت حماس الجماهير وجعلتهم غاية التنمية ووسيلتها في آن واحد. لقد أدرك سانكارا قيمة ما يتحدث عنه الفقه الواعي في تراثنا الإسلامي بأن «الساجد قبل المساجد والإنسان قبل البنيان». يعني ذلك كما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب إرادة التغيير والوعي بأهميته.لقد اتجهت حكومة سانكارا إلى انتهاج جملة من السياسات التي تهدف زيادة الإنتاج الزراعي، ومن ذلك: تحسين الظروف الطبيعية وتصحيح سياسات التسعير الحكومية، وتحسين عمليات التوزيع والتسويق للإنتاج، بالإضافة إلى دعم الاستثمارات الهادفة لرفع الإنتاجية الزراعية من خلال الأبحاث العلمية وتقنيات المحافظة على المياه.

وعلى الرغم من بعض المؤشرات الاقتصادية السلبية، ولاسيما في قطاع الصناعة والمالية العامة فإن سياسات النمو الاقتصادي التي اتبعها نظام سانكارا كانت ناجحة. إذ لأول مرة في تاريخها تشهد بوركينا فاسو مشاركة شعبية واسعة النطاق في تنمية الموارد البشرية وإقامة المدارس والمراكز الصحية في القرى. وقد مكنت الإصلاحات الهيكلية في بنية الدولة ومحاربة الفساد من تحسين أداء قطاع الخدمة المدنية . وقد آتت حملات التثقيف السياسي للجماهير أكلها حيث أصبح القرويون على وعي تام بأهمية مشاركتهم في جهود التنمية من خلال العمل المنتج أو المساهمات المادية.

(1)Savadogo, Kimseyinga, and Claude Wetta. The Impact of Self-Imposed Adjustment: The Case of Burkina Faso, 1983-1989, op. cit., p. 44.

## الخاتمة

## إبداعات أفريقية في النضال الديمقراطي

«يمكن قتل الثوار ولكن أفكارهم لا يمكن أبدًا أن تموت» **توماس سانكارا**

يذكرنا شعار الثورة « 27 سنه تكفي» الذى رفعه المتظاهرون في بوركينا فاسو في أكتوبر 2014 بحركة« كفاية »المصرية التي طالبت مبارك بالرحيل عن السلطة. ولاشك أن شروط هذه الثورة لم تظهر بالتأكيد بين عشية وضحاها. لقد تراكمت على مدى ربع قرن، وهو ما يجسده ببلاغة وعفوية هذا الشعار الثوري الذي يعبر عن فترة حكم كومباوري . وغالبا ما أشار النقاد كيف أن نقيب الجيش السابق قد وصل إلى سدة السلطة من خلال انقلاب عسكري واغتيال الرئيس توماس سانكارا، رفيقه في النضال الوطني وزعيم الثورة الأكثر شعبية وتأثيرا. لم تكتف الطغمة العسكرية الحاكمة بزعامة كومباوري بسجن وتعذيب وقتل، أو حتى نفي الموالين لسانكارا ولكنها تخلت أيضا عن العديد من المبادرات الثورية لنظام سانكارا، مثل التعبئة العامة من أجل بناء المدارس والعيادات الصحية وزيادة الاعتماد على الموارد المحلية لتطوير الاقتصاد. فقد انحاز نظام كومباوري بدلا من ذلك إلى التحالف مع النخب الاجتماعية المحافظة في الداخل، والاعتماد اعتمادا كبيرا على المساعدات الخارجية والعلاقات الوثيقة مع العواصم الغربية الكبرى، وخاصة باريس، عاصمة البلد المستعمر السابق .

لقد شهدت أعوام التسعينيات وفي وقت مبكر موجة من الحركات المطالبة بالديمقراطية في معظم أنحاء أفريقيا بما في ذلك بوركينا فاسو. فقد واجه نظام كومباوري سخطا شعبيا متزايدا بالإضافة إلى بعض الضغط من فرنسا، دفعه ذلك كله إلى هندسة عملية مدبرة بعناية من أجل التحول إلى الحكم الدستوري والانتخابات التعددية.لقد نصب آلة الحزب المهيمنة التي تعتمد جزئيا على تزوير

الانتخابات وعلى استخدام موارد الدولة في تقويض المعارضة وتأمين حصوله على نسبة عالية من الأصوات في الانتخابات المتكررة. وعلى الرغم من هذا الزيف الديمقراطي فقد كانت بوركينا فاسو دولة «شبه سلطوية».

ازداد الطابع القمعي للنظام بشكل كبير، والذي يجسده اغتيال الصحفي المستقل نوربرت زونغو Norbert Zongo عام 1998. وقد أشارت الدلائل إلى تورط الحرس الرئاسي لكومباوري، وذلك من أجل إسكات زونغو ومنعه من التعرض لفضيحة تورط فيها شقيق الرئيس. وقد أثارت جريمة القتل تلك أعمال احتجاج لفترة طويلة في البلاد. تمكن كومباوري من الاستمرار في السلطة، من خلال أساليب الخداع تارة والمناورة والاستقطاب والوعود بالإصلاح تارة أخرى . شملت هذه الوعود اعادة تقييد فترة الرئاسة بولايتين وفقا لنص الدستور، والذي كان قد تم إلغاؤه في عام 1997.،ولكن المحكمة الدستورية قضت بأن النص الجديد لن يطبق بأثر رجعي، مما أهل كومباوري للفوز بولايتين أخريين في عام 2005 و 2010.

في أوائل عام 2011، وبعد بضعة أشهر فقط من إعادة انتخاب كومباوري ، هوت البلاد مرة أخرى في أزمة حادة. تصاعدت الأحداث هذه المرة جراء وفاة طالب من الضرب الشديد على أيدي قوات الشرطة. بدأت حالة السخط العام بمظاهرات الشباب الغاضبة ، واستمرت لعدة أشهر من خلال المسيرات المتتالية للعمال، ومظاهرات القضاة والتجار وعصيان قوات الجيش والشرطة، واحتجاجات المزارعين، والهجمات على مواقع التعدين. على أن هذه الاحتجاجات لم تكن محددة الاتجاه، وهو ما دفع بأحزاب المعارضة لمحاولة توظيفها لخدمة مصالحها السياسية .

ونظرا لكثرة الضربات التي تلقتها حكومة كومباوري والاحتجاجات الشعبية المتوالية استطاعت المعارضة تنظيم نفسها وتحقيق بعض المكاسب على الأرض. ففي الانتخابات التشريعية التي أجريت في ديسمبر 2012، ازداد تمثيل

المعارضة من اثني عشر نائبا لثمانية وعشرين، وتولى زيفيرين ديابري Zéphirin Diabré رئاسة المعارضة وتشكيل تحالف سياسي واسع يضم نحو أربعين حزبا سياسيا. وحينما دفع الحزب الحاكم باتجاه تعديل الدستور للسماح بإنشاء مجلس للشيوخ يهيمن عليه مؤيدي كومباوري نظرت المعارضة لهذه الخطوة باعتبارها تمهيدا للطريق من أجل رفع القيود المفروضة على مدة الرئاسة. استطاعت أحزاب المعارضة خلال النصف الثاني من عام 2013 ، وبدعم من النقابات العمالية ومنظمات المجتمع المدني، منع الموافقة على إنشاء مجلس الشيوخ.

ظهرت حركات معارضة جماهيرية عفوية بعيدا عن المؤسسات الحزبية التقليدية. فكما أظهرت خبرة الكونغو الديموقراطية ظاهرة «برلمانات الشوارع»، وشهدت بنين فكرة «المؤتمر الوطني» فإن بوركينا فاسو شهدت ظاهرة الاحتجاج بالموسيقى. ففي صيف 2013 تأسست حركة« المكنسة المواطنية»، وهي حركة شعبية سياسية مناهضة للرئيس بليز كومباوري تأسست من قبل اثنين من الموسيقيين، الفنان لو جاه ومغني الراب سيرج البامبارا أو«سموكي». نظمت الحركة عدة احتجاجات في أوائل عام 2014. وعلى سبيل المثال قامت باستضافة حشد الجماهير مع حركة «مواطنون من أجل التقدم» حيث امتلأت مدرجات الإستاد الرياضي وسعته 35 ألف شخص عن آخره.

وعندما اندلعت انتفاضة بوركينا فاسو في أكتوبر 2014 أصبحت المجموعة تمارس دورا بارزا في الاحتجاجات. وتعيد هذه الحركة تقاليد« السنكارية» السياسية في البلاد حيث كانت تستحضر دائما ميراث توماس سانكارا. ولعل اسم الحركة له دلالة رمزية ، فهو يعني قيام المواطنين بتنظيف شوارع واغادوغو في أعقاب رحيل كومبابوري، بما يعنيه ذلك من تنظيف للبلاد من الفساد. واللافت هنا أن هذه الحركة تكررنفس تجربة حركة « طفح الكيل» السنغالية والتي تأسست في أعقاب الإطاحة الشعبية بالرئيس زين العابدين بن علي عام 2011. إذ بعد أيام عديدة من التظاهر،اضطرت الحكومة السنغالية أن تسحب مشروع تعديل

الدستور الذي اقترحه الرئيس عبدالله واد، واعتبره الشعب مناورة ترمي إلى إيصال ابنه «كريم» إلى سدّة الحكم. ولاشك أن هذا النضال من أجل الحرية يؤسس وفقا لفناني الراب في غرب أفريقيا فهما جديدا للسياسة يقوم على مبدأ جمهورية المواطنين[1].

لقد استلهم المتظاهرون في بوركينا فاسو روح النضال من توماس سانكارا حيث رفعوا صوره ورددوا شعاراته وكانت خطبه وكلماته الثورية تملأ جنبات وغادوغو. إنها الروح الملهمة لتشي جيفارا الأفريقي. لقد اعترف المقدم زيدا الذي أعلن نفسه حاكما مؤقتا في أعقاب عزل كومباوري أن قرار شعب بوركينا فاسو يؤكد على أهمية العودة لروح ثورة أغسطس 1983 بقيادة سانكارا.



(1) جاك دونى ، السنغال. تعظيم الدور السياسى للشباب المصدر: الأهرام اليومى ،4 أبريل 2015.

# المراجع

أولا باللغة العربية:

- جاك دونى ، السنغال. تعظيم الدور السياسى للشباب، الأهـرام اليـومى ،4 ابريـل 2015.

- حلمي شعراوي، الفكر السياسي والاجتماعي في أفريقيا، القـاهرة: مركـز البحـوث العربية والأفريقية،2010.

- حمدي عبدالرحمن، العسكر واختطاف الربيع الأفريقي، الجزيرة نـت 4 نـوفمبر 2011.

- سمير أمين وفرانسوا أوتار، مناهضة العولمة: حركة المـنظمات الشـعبية في العـالم، القاهرة :مكتبة مدبولي ، 2004.ص 225.

- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، مجلد 15، بيروت، دمشق ،عمان، 1997،

- محمد الأمين سوادغو، ثورة (30 أكتوبر) في بوركينافاسو ... قراءة سياسية ونظـرة مستقبلية، مجلة قراءات أفريقية،27 نوفمبر 2014.

ثانيا: باللغة الإنجليزية:

- Boele van Hensbroek، P، African Political Philosophy، 1860 -1995 : An inquiry into families of discourse.Center for Development Studies، University of Groningen،1998.

- Brittain ، Brittain .Introduction to Sankara & Burkina Faso Brittain ، Review of African Political Economy،No. 32 (Apr.،

1985)، pp. 39-47.

- Cruise O'Brien، Donal B.، John Dunn، and Richard Rathbone. (eds.)، Contemporary West African States. Cambridge: Cambridge University Press، 1989.

- Dembélé، Demba Moussa؛ Thomas Sankara: an endogenous approach to development، Pambazuka News.،2013-10-23، Issue 651 at: http://pambazuka.org/en/category/features/89307

- Gallardo، Miguel E. Culturally Adaptive Counseling Skills: Demonstrations of Evidence-Based Practices. Thousand Oaks، Calif: Sage Publications، 2012.

- Harsch، Ernest .Thomas Sankara: An African Revolutionary، Ohio University Press، Nov 1، 2014 .

- Kandeh، Jimmy D. Coups from Below Armed Subalterns and State Power in West Africa. New York: Palgrave Macmillan، 2004.

- Katongole، Emmanuel. The Sacrifice of Africa: A Political Theology for Africa. Grand Rapids، Mich: W.B. Eerdmans Pub، 2011.

- Markakis، John، and Michael Waller. Military Marxist Regimes in Africa. Oxfordshire، England: Routledge، 2013.

- Martin، Guy. African Political Thought. New York: Palgrave Macmillan، 2012.

- ----------------. Ideology and Praxis in Thomas Sankara's Populist Revolution of 4 August 1983 in Burkina Faso ، A Journal of Opinion،Vol. 15 (1987)، pp. 77-90.

- Montanaro، Silvestro. Italian revelations on the assassination of Thomas Sankara، Pambazuka، 2009-09-03، Issue 446. http://pambazuka.org/en/category/features/58463

- Mazrui، Ali Al' Amin، and Ricardo René Laremont. Africanity Redefined. Trenton، NJ: Africa World Press، 2002.

- New African،«Thomas Sankara: True Visionary». New

African -London- IC Magazins Limited . 2007. no. 468: 8-9.

- Osaghae، Eghosa E. Colonialism and African Political thoughts، Ufahamu : A journal of African Studies، 19، 2-3،1991، pp32-35.

- Revolutionary Internationalist Movement (RIM)،The Fall of Captain Sankara، or Why You Can't Make Revolution without the Masses، A World to Win، issue #10 (1988) - BANNEDTHOUGHT.NET at : http://www.bannedthought.net/International/RIM/AWTW/1988-10/AWTW-10-BurkinaFaso.pdf.

- Sankara، Thomas. Thomas Sankara Speaks: The Burkina Faso Revolution، 1983-87. New York: Pathfinder، 2001.

- --------------------. We Are Heirs of the World's Revolutions: Speeches from the Burkina Faso Revolution، 1983-87. New York: Pathfinder، 2007.

- --------------------. Women's Liberation and the African Freedom Struggle. New York، NY: Pathfinder Press، 3rd ed.، 2011.

- Schapera، Isaac. A Handbook of Tswana Law and Custom. London: F. Cass، 1970.

- Shuffield، Robin، Marc Ridley، Samuel Gantier، Serge Dietrich، and Cyril Orcel. Thomas Sankara: the Upright Man. 2006.

- Skinner ، Elliott P. Sankara and the Burkinabe Revolution: Charisma and Power، Local and External Dimensions ،The Journal of Modern African Studies،Vol. 26، No. 3 (Sep.، 1988)، pp. 437-455.

- Speirs، Mike .Agrarian Change and the Revolution in Burkina Faso، African Affairs،Vol. 90، No. 358 (Jan.، 1991)، pp. 89-110.

- Williamson، Bryan J. From Upper Volta to Burkina Faso A Study of the Politics of Reaction and Reform in a Post-Colonial African Nation-State، 1960-1987. Graduate Theses and

Dissertations ،University of South Florida، 2013.

- Wilkins، Michael. 1989. «The Death of Thomas Sankara and the Rectification of the People's Revolution in Burkina Faso». African Affairs. 88352: 375-388.

- Williams، Justin C. New Africa in the World Coming to Harlem: A Retrospective Comparison of Jerry Rawlings and Thomas Sankara، The Journal of Pan African Studies، vol.7، no.7، December 2014.



# الملاحق

## الملحق رقم (1)

## نحو جبهة متحدة في مواجهة الديون [1]

## الرئيس توماس سانكارا

تحليل أصل ديون البلدان الأفريقية

إننا نعتقد بضرورة النظر إلى الديون من حيث النشأة والأصل. فالديون ترجع في أصولها إلى العقد الاستعماري. إن هؤلاء الذين أقرضونا المال هم ذاتهم الذين استعمرونا. إنهم نفس الأشخاص الذين تولوا إدارة بلادنا واقتصاداتنا. إنهم هؤلاء المستعمرون الذين أوقعوا أفريقيا في الديون من خلال أشقائهم وأبناء عمومتهم الذين قاموا بمهمة الإقراض.

لا توجد لنا أدنى علاقة بهذه الديون، وعليه لا نستطيع دفعها. لقد اتخذت الديون طابعاً استعمارياً جديداً حينما تحول الدائنون تحت عباءة «الخبراء الفنيين». إنهم الذين قدموا لنا التمويل. يقولون بالفرنسية على الكفيل أو المانح المالي bailleur defoda والذي يعني حرفياً الشخص الذي يتثاءب أو يسحب الأموال. هذا المصطلح نستخدمه بالفرنسية في حياتنا اليومية، كما لو أن هناك رجال يكفي تثاؤبهم (أي فتح أفواههم) لتحقيق التنمية عند الآخرين.. لقد نُصحنا

(1) في 27 يوليو 1987 ألقى سانكارا هذا الخطاب أمام الدورة الخامسة والعشرين لقمة منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا، أثيوبيا. (ترجمة المؤلف بتصرف).

بالـذهاب إلى هـؤلاء المقرضـين حيـث قُـدمت إلينـا مجموعـة مـن المقترحـات مـن قبـل مؤسسات مالية جيدة. كنا مدينين لمدة خمسين أو ستين عاماً وربما أكثر. هـذا يعنـي أننـا قد أجبرنا على أن تقدم شعوبنا تنازلات لمدة خمسين عاماً وأكثر.

ولاشك أن الديون في شكلها الحالي، الذي تسيطر عليـه وتـتحكم فيـه الإمبرياليـة، قـد تمت إدارتها بمهارة لإعادة غزو أفريقيا حيث تهدف إلى إخضـاع عمليـات النمـو والتنميـة والمعرفة الأفريقية من خلال إجراءات تنظيمية أجنبية تماماً. وعليه فقد أضحى كل واحـد منا بمثابة عبد مالي، وهو أسوأ أنواع الرق، لهـؤلاء الـذين كانـت لـديهم الفرصـة والـدهاء لإقراض الأموال لبلادنا مع الإلزام بإعادة دفعها.

يقولون لنا سددوا الديون. هذه ليست مسـألة أخلاقيـة ، وهـي ليسـت أيضـا مسـألة شرف مزعوم لسداده أو رفضـه. سـيدي الـرئيس إننـا كنـا نسـتمع ونصـفق لرئيسـة وزراء النرويج عندما تحدثت هنا. إنها أوروبية ورغم ذلك قالت أن الدين كله لا يمكـن سـداده. إننا لا نستطيع دفع الديون لأننا لا نملك القدرة على ذلك. إننا لا نستطيع الدفع لأننا لسنا مسئولين عن هذه الديون. إننا لا نستطيع دفع الديون لأن الآخـرين مـدينين لنـا بمـا هـو أعظم ولا يمكن دفعه، إنه دين الـدم. إنهـا دماؤنـا التـي سـالت. لقـد سـمعنا عـن خطـة مارشال التي أعادت بناء اقتصاد أوروبا. ولكننا لم نسمع مطلقاً عن الخطة الأفريقية التـي مكنت أوروبا من مواجهة الجحافل الهتلرية حينما كان استقرارها واقتصادها على المحك.

من أنقذ أوروبا؟ إنها أفريقيا.

نتحدث عنه قلـيلا جـدا. نتحـدث عنـه قلـيلا حتـى صرنـا متـواطئين في هـذا الصـمت الجاحد. إذا كان الآخرون لا يمكنهم ترديده، فنحن على الأقل يجـب أن نقـول إن أجـدادنا كانوا شجعانا ومحاربينا القدامى أنقذوا أوروبا وسمحوا في نهاية المطاف للعـالم بـالتخلص من النازية.

لقد كانت الديون كذلك أحد نتائج المواجهة. عندما أخبرونا عـن الأزمـة

الاقتصادية، لم يقل لنا أحد أن هذه الأزمة جاءت فجأة، لقد كانت الأزمة موجودة دائماً ولكنها كانت تسير من سيئ إلى أسوأ لدرجة أن الجماهير العريضة أضحت أكثر وعياً بحقوقها في مواجهة المستغلين.

إننا في أزمة اليوم لأن الجماهير ترفض أن تتركز الثروة في أيدي حفنة من الأفراد. إننا في أزمة اليوم لأن بعض الأفراد يضعون أموالاً طائلاً في حساباتهم البنكية الأجنبية، وهذه الأموال يمكن أن تسهم في تنمية أفريقيا. هناك أزمة، لأنه في مواجهة هذه الثروة الفردية التي يمكن الكشف عن أسماء أصحابها، هناك جماهير ترفض العيش في معازل وأحياء فقيرة. هناك أزمة لأن الناس يرفضون أن يكونوا في سويتو في مواجهة جوهانسبرغ[1]. ثمة صراع إذن وتفاقم هذا الصراع يقلق أصحاب السلطة المالية.

لقد طلب منا اليوم السكوت بحثاً عن التوازن الذي يحقق مصالح هؤلاء الذين يمسكون بناصية القوة المالية والتي تلحق بدورها الضرر بالجماهير العريضة. لا! لا يمكننا التواطؤ أبداً. لا! لايمكننا الوقوف في صف هؤلاء الذين يسرقون عرق شعبنا ويستنزفون دماءه. لا نستطيع السير معهم في هذه الطرق القاتلة.

نادي أديس أبابا

سيدي الرئيس: نحن نسمع عن النوادي، نادي روما، نادي باريس ونادي في كل مكان. نحن نسمع عن مجموعة الخمسة، السبعة، مجموعة العشرة، وربما مجموعة المائة، من يدري ماذا أيضا؟ من الطبيعي أن نبني نادينا ومجموعتنا.من الطبيعي أيضاً أن يكون لدينا ناديا ولدينا مجموعة، فلندع أديس أبابا ومن الآن فصاعداً، تكون مركزاً تنبعث منه روح جديدة.

(1) إشارة إلى الاحتياجات الشعبية العنيفة التي شهدتها سويتو عام 1976. وقد مثلت هذه الثورة نقطة تحول فاصلة في تاريخ النضال الشعبي ضد حكم الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا زمن التفرقة العنصرية. والمقابلة التي يطرحها سانكارا في خطابه بين «سويتو» كرمز لنضال الشعوب المقهورة والمظلومة وبين «جوهانسبرج» التي تمثل القلة الظالمة والمستغلة.

إنه نادي أديس أبابا، إنه واجبنا أن نجعل أديس أبابا جبهة موحدة في مواجهة الديون. إنها الطريقة الوحيدة للتأكيد على أن رفض دفع الديون لا يمثل خطوة عدائية من جانباً ولكنها طريقة أخوية للتحدث بصراحة.

أضف إلى ذلك فإن الجماهير الشعبية في أوروبا لا تعارض الجماهير الشعبية في أفريقيا. هؤلاء الذين يريدون استغلال أفريقيا هم ذاتهم الذين يستغلون أوروبا كذلك. إن عدونا واحد. وعليه إذا تأسس نادي أديس أبابا فإن عليه أن يشرح لكل فرد عدم إمكانية دفع الديون. إن قولنا عدم دفع الديون لا يعني أننا ضد الأخلاق أو الكرامة أو احترام الكلمة. نحن نعتقد أننا لا نملك نفس أخلاق الآخرين. ما بين الأغنياء والفقراء، ليس هناك نفس الأخلاق. إن الإنجيل والقرآن لا يمكنهما تلبية حاجات المستغلين والذين وقعوا ضحية الاستغلال بنفس الطريقة. ينبغي أن تكون هناك نسختين مختلفتين من الإنجيل ونسختين مختلفتين من القرآن.

ولا يمكن أن نقبل أن نتحدث عن جدارة أولئك الذين يؤدون الدين، وفقدان الثقة إزاء الذين لن يسددوا. بدلا من ذلك، يجب أن نقول أن كل هذا أمر طبيعي اليوم .وعلينا أن نفهم أن أعظم اللصوص هم الأكثر ثراء. عندما يسرق رجل فقير تكون زلة أو سرقة بسيطة، حيث أنها وليدة الحاجة ومن أجل البقاء. ولكن عندما يسرق رجل غني، يكون من خلال سلطته المالية، ومن ثم استغلال الآخرين.

سيدي الرئيس، إن المقترح الذي أقترحه ليس بهدف الإثارة أو الرياء. إنني فقط أريد أن أعبر عما يقوله ويتمناه كل واحد منا. من فينا هنا لا يتمنى إلغاء الديون؟ الشخص الذي لا يتمنى ذلك يستطيع الخروج وركوب طائرته والذهاب مباشرة إلى البنك الدولي من أجل دفع هذه الديون. هذا ما نتمناه.

إنني لا أريد أن يفكر الناس أن هذا الرأي يعبر فقط عن بوركينا فاسو أو أن هذا المقترح جاء من شاب أرعن قليل الخبرة. لا أريد كذلك أن يفكر الناس أن الثوار وحدهم هم الذين يتحدثون بهذه الطريقة. أود أن اعترف أنه أمر موضوعي والتزام.

أستطيع الإشارة على سبيل المثال إلى آخرين قالوا بعدم سداد الديون، منهم الثوريين، ومنهم غير ذلك، منهم كبار السن ومنهم الشباب على السواء. أستطيع ذكر فيدل كاسترو الذي نادى بعدم دفع الديون، إنه ليس في مثل عمرى، وإن كان ثورياً. أستطيع أن أذكر كذلك فرانسوا ميتران الذي قال بأن الدول الأفريقية لا تستطيع دفع الديون، وأن الدول الفقيرة لا تستطيع الدفع كذلك.

أود أن أذكر السيدة رئيسة وزراء النرويج، لا أعلم عمرها وليتني أمتلك شجاعة سؤالها عن ذلك... ولكنها مثال. أود أن أذكر الرئيس فيلكس هوفيه بوانيه، هو ليس في مثل عمري، ولكنه أعلن على الملأ رسمياً أن بلده ساحل العاج على الأقل لا تستطيع دفع الديون. مع العلم بأن ساحل العاج من بين أكثر الدول ثراء في أفريقيا الناطقة بالفرنسية. لذلك من الطبيعي أن يدفع أكثر في المساهمات هنا.

سيدي الرئيس، إنها بالتأكيد ليست إثارة، أود بحكمة وتبصر أن تقدموا لنا حلولا.. أود أن يتبنى المؤتمر بشكل حاسم وصريح القول بعدم دفع الديون. إنها ليست روح مولعة بالحرب ولكن لتجنب أن نغتال فرادى.**إذا وقفت بوركينا فاسو وحيدة ترفض دفع الديون فإنني لن أكون هنا في المؤتمر القادم**. ولكن مع دعم الجميع، وهذا ما أحتاجه، نستطيع تجنب دفع الديون. نستطيع أن نكرس مواردنا المحدودة، من خلال تجنب دفع الديون، لتحقيق التنمية. **أود أن أختم بقولي أنه في كل مرة تشترى فيها دولة أفريقية بندقية فإنها تكون موجهة ضد أفريقي. إنها ليست ضد أوروبي أو ضد آسيوي، إنها ضد أفريقي.**

وعليه نستطيع الاستفادة من قضية الديون لحل مسألة الأسلحة. أنا رجل عسكري وأحمل السلاح. ولكن سيدي الرئيس أود أن ننزع أسلحتنا. ولأني أحمل مسدساً فإني والآخرين نخفي أسلحتنا.

إخواني الأعزاء. نستطيع أن نصنع السلام في بلادنا بدعم الجميع. نستطيع أن نستفيد من هذه الإمكانات الهائلة في تنمية أفريقيا لأن لدينا تربة خصبة. لدينا قوة

عمل كافية وأسواق واسعة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. لـدينا قـدرات فكرية لإنشاء، أو على الأقل، استخدام العلوم التكنولوجية من أي مكان.

السيد الرئيس، دعنا نجعل أديس أبابا جبهـة موحـدة ضـد الـديون. دعنـا نجعـل مـن أديس أبابا التزاماً بالحد من التسلح بين الدول الضعيفة والفقيرة. الهراوات والسكاكين التي نشتريها هي عديمة الفائدة. دعونا أيضا نجعل من السوق الأفريقية سـوقا للأفارقـة: ننـتج في أفريقيا، نحول في أفريقيا، ونستهلك في أفريقيا. لننتج ما نحتاج إليه ونستهلك ما ننتجه بدلا من استيراده من الخارج. لقد جاءت بوركينافاسـو إلى هنـا لتظهـر الأقمشـة القطنيـة التي أنتجت في بوركينافاسو، وتم غزلها في بوركينافاسو، وتمت حياكتها في بوركينافاسو مـن أجل كسوة سكان بوركينافاسو.

إنني والوفد المرافق نلبس من أيدي نساجينا وفلاحينا. لا يوجد خـيط واحـد مسـتورد من أمريكا أو أوروبا. إنني لا أقوم بعرض أزيـاء، ولكنـي أود القـول ببسـاطة أن **علينـا أن نقبل العيش كأفارقة. إنها الطريقة الوحيدة للعيش بحرية وكرامة.**

شكراً سيدي الرئيس. الوطن أو الموت، سوف ننتصر.



## الملحق رقم (2)

## لا يمكنك قتل الأفكار

## تحية إلى تشي جيفارا[1]

لقد جئنا إلى هنا هذا الصباح بتواضع جم لكي نفتتح هذا المعرض التذكاري الذي يهدف لتخليد حياة وأعمال تشي. وإننا نود ،في نفس الوقت، أن نقول للعالم بأسره أن تشي جيفارا بالنسبة لنا حي لم يمت. فلا زالت هناك مراكز للنضال حول العالم حيث يكافح الناس من أجل مزيد من الحرية، مزيد من الكرامة ، مزيد من العدالة، ومزيد من السعادة. يناضل الناس في جميع أنحاء العالم ضد القهر والهيمنة، وضد الاستعمار والاستعمار الجديد والإمبريالية، وضد الاستغلال الطبقي.

أيها الأصدقاء، إننا نضم أصواتنا لجميع الناس في العالم الذين يتذكرون رجلا يدعى تشي جيفارا..قلبه مفعم بالإيمان،أخذ على عاتقه مهمة النضال مع رجال آخرين، وهو ما أدى إلى نجاحه في إطلاق الشرارة التي أرقت مضاجع قوى الاحتلال في العالم.

إننا نود القول بكل بساطة أن عهدا جديدا قد حل على بوركينا فاسو، واقعا جديدا يتحقق في بلدنا. هذا ما ينبغي أن نفهمه من دعوة تشي جيفارا للعمل، تشي الذي أراد أن يشعل شرارة النضال في جميع أنحاء العالم. لقد مزقت الرصاصات جسد تشي جيفارا، رصاصات الإمبريالية تحت سماء بوليفيا. ونحن نقول لأنفسنا: تشي جيفارا لم يمت.

(1) ألقى توماس سانكارا هذا الخطاب قبل أسبوع واحد من اغتياله في انقلاب عسكري. لقد كانت المناسبة هي تدشين معرض لتخليد ذكرى زعيم الثورة الكوبية أرنست تشي جيفارا والذي مر على وفاته في ذلك الوقت نحو عشرين عاما. (ترجمة المؤلف بتصرف).

أحد العبارات الجميلة التي يتذكرها الثوريون، الثوار الكوبيون العظام، أن أحد أصدقاء تشي،رفيقه في النضال، الذي كان بمثابة أخيه، فيدل كاسترو الذي يذكرها بنفسه. لقد سمعها في يوم من أيام النضال على لسان رجل من الناس استطاع،رغم انتمائه لضباط الباتيستا، وهو جزء من الجيش الرجعي والقمعي ، التواصل مع القوى التي تناضل من أجل رفاهية الشعب الكوبي. ففي أعقاب فشل الهجوم على حامية مونكادا ، وبينما كان المتهمون على شفا الموت بواسطة بنادق جيش باتستا - كانوا متأهبين لإطلاق الرصاص - وإذا بالضابط يقول لهم ببساطة: لا تطلقوا الرصاص، لا يمكنكم قتل الأفكار[1].

صحيح أنك لا تستطيع قتل الأفكار، فالأفكار لاتموت. وعليه فإن تشي جيفارا، الذي يجسد أفكار الثورة وقدم التضحية بالنفس ، لم يمت. لقد جئتم إلى هنا اليوم من كوبا لتكونوا مصدر إلهام لنا.

إن تشي جيفار، الأرجنتيني المولد، أصبح كوبيا بالدم والعرق الذي سال من أجل الشعب الكوبي. لقد أضحى ، أكثرمن ذلك، مواطنا في العالم الحر، العالم الحرالذي نبنيه معا. ولذلك نعتبر تشي جيفار أفريقي وبوركينابي.

لقد أطلق تشي جيفارا على الكاب الذي يضعه على رأسه اسم لابوينا ( وهو الاسم الأسباني للبريه). لقد أصبح هذا الكاب والنجمة المرسومة عليه معروفا في كل أنحاء افريقيا، من الشمال إلى الجنوب يتذكر الأفارقة تشي جيفارا.

إن الشباب المتعطش للكرامة ، المتعطش للشجاعة ، متعطش كذلك للأفكار والقيم التي يجسدها تشي جيفارا في أفريقيا.ولكي ننهل من نفس المعين الذي

(1) في 26 يوليو 1953 شن مجموعة من الثوار بقيادة فيدل كاسترو هجوما على حامية مونكادا في ساتيجو دي كوبا وهي تقع في مدينة بيامو، وذلك بهدف إشعال شرارة الانتفاضة الشعبية ضد نظام باتيستا المدعوم من الولايات المتحدة. وبعد فشل الهجوم قامت قوات باتستا بإعدام نحو خمسين شخصا من الثوار الذين ألقي القبض عليهم. وبالرغم من فشل هذه العملية فإن واقعة مونكادا تعد علامة بارزة في طريق التحرر الثورى والذي كتب له الانتصار في يناير 1959.

قدمه للعالم هذا القائد الثوري فإن بعض القلة الذين نالوا فرصة وشرف الحضور في معية تشي جيفارا، هم بيننا اليوم.

إن تشي بوركينابي.هو بوركينابي لأنه شارك في نضالنا. هـو بوركينـابي لأن أفكـاره كانـت هاديا وملهما لنا كما اتضح في خطاب التوجيه السياسي. هو بوركينابي لأن نجمتـه طبعـت على ساريتنا. هو بوركينابي لأن أفكاره حية في نفوس كل واحد منا أثناء نضاله اليومي.

تشي رجل يعرف كيف يعلمنا الثقة بالنفس وبقدراتنا، ولذلك هو باق بيننـا. مـن هـو تشي؟ أود أن أتساءل . إن تشي يمثل كـل القناعـات، القناعـة الثوريـة، الإيمـان الثـوري بمـا تفعل، الإيمان بأن النصر حليفنا،وأن النضال هو ملاذنا. تشي كذلك شعور إنساني. الإنسانية التي تعبر عن الكرم والتضحية بالنفس والتي جعلت تشي ليس فقط أرجنتينيا أو كوبيا أو مناضلا عالميا ولكن أيضا رجلا بكل ما يحمله ذلك من مشاعر الدفء.

لقد كان تشي بالإضـافة إلى ذلـك مجتهـدا رغـم انتمائـه لأسرة مـوسرة، فقـد اسـتطاع مقاومة رغباته وأن يدير ظهره للطريـق الأسـهل، ويكـرس حياتـه بالمقابـل باعتبـاره رجـل الشعب، الرجل الذي يجعل قضيته المشـتركة مـع الشـعب، الرجـل الـذي يجعـل قضيـته المشتركة مع معاناة الآخرين. هذه الشخصية المكافحة تمثل مصدر إلهام لنا جميعا.

الإيمان والإنسانية والاجتهاد تمثل جميعها تشي. هؤلاء الذين يستطيعون استجماع كـل هـذه الفضـائل في أنفسـهم ،هـؤلاء الـذين يسـتطيعون اسـتجماع كـل هـذه الصـفات في أنفسهم، الإيمـان والإنسـانية والاجتهـاد يسـتطيعون القـول بـأنهم مثـل تشي.، رجـال بـين الرجال، ولكنهم فوق ذلك ثوار بين الثوار.

لقد شاهدنا هذه الصور التي تلقـي الضـوء عـلى جـزء فقـط مـن حيـاة تشي ، وهذا أفضل ما بوسعهم. وعلى الرغم من تعبيراتها القوية فإن هذه اللوحات تظل صامتة عن الحديث عن الجانب الأكثر أهمية في حياة الرجل ، وهو الجانب الـذي

استهدفته الإمبريالية. لقد استهدفت رصاصات القتل روح تشي أكثر من استهدافها لصورته الجسدية. صورته موجودة في كل العالم ، وملامحه تملأ علينا وجداننا ، و تعد صورته المظللة من أفضل ما رأينا. وعليه دعونا نتعرف بصورة أفضل على تشي.

دعونا نقترب أكثر من تشي. نرسم صورة قريبة له ، ليس كإله أو فكرة علوية فوق الإنسان، ولكن بإحساس أننا نقترب من أخ يتحدث إلينا ونتحدث إليه. علينا أن نظهر له كيف أن الثوار الذين استلهموا روح تشي أصبحوا أمميون كذلك، وقد استطاعوا مع الآخرين تعلم فضيلة الإيمان، الإيمان بالنضال من أجل التغيير ، النضال ضد الإمبريالية وضد الرأسمالية.

كما تعلم أيها الرفيق كاميللو جيفارا[1]، إننا لا نستطيع التحدث إليك باعتبارك ابنا يتيما. إن تشي ينتمي لنا جميعا.. إنه ينتمي إلينا كموروث ثوري. وعليه لا يمكنك الشعور بالوحدة أو العزلة ، سوف تجد في كل منا، على ما آمل،إخوة وأخوات وأصدقاء ورفاق. إنك معنا اليوم مواطن بوركينابي لأنك تسير على نفس خطى تشي، تشي الذي ينتمي لنا جميعا ، والدنا جميعا.

أخيرا، دعوني أتذكر تشي باعتباره تجسيدا للرومنطيقية الأبدية، شاب يقظ وقاد، ومع ذلك يمتلك حكمة وبعد بصيرة وإخلاص لا توجد إلا عند الرجال الأشداء ذوي القلوب الرحيمة.. لقد كان تشي شابا في السابعة عشرة من عمره، ولكنه كان يمتلك حكمة رجل في السابعة والسبعين من عمره. هذه الحكمة المركبة هي ما نسعى إليه في جميع الأوقات. لقد امتلك تشي قلبا إنسانيا إذا تحدث، ويدا قوية حاسمة إذا عمل.

أيها الرفاق ، أود أن أوجه الشكر للأصدقاء من كوبا على كافة الجهود التي بذلوها لكي يكونوا بيننا اليوم. أود أن اشكر هؤلاء الذين تكبدوا عناء سفر آلاف الكيلومترات وعبروا المحيطات ليأتوا هنا إلى بوركينا فاسو لإحياء ذكرى تشي.

(1) هو ابن تشي جيفارا كان من بين الحضور.

أود أن أشكر كل فرد أسهم في جعل هذا اليوم ، ليس مجرد تاريخ عابر في التقويم وإنما أياما عبر السنين والقرون لجعل روح تشي خالدة لا تموت.

أيها الرفاق أود أن أعبر عن فرحتي لأننا استطعنا هنا في واغادوغو تخليد أفكار تشي جيفارا بإطلاق اسمه على أحد الشوارع. كل مرة نحاول أن نتذكر فيها تشي، علينا أن نكون مثله ونجعل هذا الرجل المناضل يعيش مرة أخرى، ولاسيما كل مرة نفكر في روح التضحية التي يمثلها، من خلال رفض السلع المادية التي تؤدى إلى شعورنا بالاغتراب،ومن خلال رفض الطريق الأيسر، والتحول بدلا عن ذلك إلى التعليم والنظام الصارم الذي تفرضه الأخلاق الثورية. كل مرة نحاول العمل فيها بهذه الطريقة سوف نحقق أفكار تشي بشكل أفضل ونساعد على نشرها بطريقة فعالة.

**الوطن أو الموت ، سوف ننتصر.**



الملحق رقم (3)

واقع المرأة في بوركينا فاسو[1]

يقول سانكارا: «بينما ينظر المجتمع إلى ولادة الطفل الذكر باعتباره «هدية من السماء» فإن ولادة الأنثى تعد قدراً محتوماً، أو على أفضل الأحوال هدية يمكن استخدامها لإنتاج الطعام واستمرار الجنس البشري». ولعل سانكارا هنا يعالج وضعية المرأة في سياق مقارن حيث عانت في ظل الثقافات الذكورية عموماً من الإذلال والتهميش، ألم يصف القرآن الكريم حالة استقبال المولود حسب نوعه عند العرب بقوله تعالى: (**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {58/16} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ {59/16}**) [النحل].

كان الصبي الصغير يتعلم كيف يعبر عن رغباته وكيف يجعل من حوله في خدمته، وكيف يقرر لنفسه. أما الطفلة الصغيرة فإنها تعامل بصورة دونية من قبل المجتمع وكأنه يعبرعن قلب رجل واحد. على هذه الطفلة المسكينة وهي في عمر الثالثة أن تعرف حقيقة دورها في الحياة: أن تكون خادمة ومفيدة. أما الأخ الذكر فإنه يستمتع بطفولته، يظل وهو في سن الرابعة أو الخامسة أو السادسة يلعب ويلهو حتى يمل ويتعب. ويطرح سانكارا حواراً واقعياً حول طبيعة الظلم المجتمعي للمرأة في بلاده وذلك بقوله: «إن هذه الطفلة، بعد احتفالية صغيرة، تدخل عالم الانتاج. إنها تملك أصلاً وظيفة، فهي مساعدة ربة بيت. إنها بالقطع وظيفة لا تتقاضى عنها أجر. ألم نقل أن ربة البيت لا تمارس عملاً؟ ألم نكتب في بطاقات الهوية أمام خانة الوظيفة: ربة بيت للإشارة إلى أنها من غير دخل، وهو ما

(1) قراءة في كتاب سانكارا :تحرير المرأة والنضال الأفريقي من أجل الحرية.
Thomas Sankara, Women's Liberation and the African Freedom Struggle, New York: Pathfinder,2007>

يعني أنها بلا عمل؟! وهكذا جعل المجتمع النسائي بلا عمل. في ظل هذه التقاليد الظالمة والانقياد الأعمى تربت أخواتنا في حالة من التبعية والاستغلال والهيمنة، ودون أي استمتاع بأوقاتهن. وبينما يكون طريق الفتى الصغير مليئاً بالفرص الواعدة التي تمكنه من تحمل مسئولية حياته فإن حياة الطفلة الصغيرة تواجهها العديد من القيود التي تلتف حول عنقها. إنها تدفع ثمناً باهظاً لأنها ولدت أنثى. إنها تتحمل تبعة ذلك من كد وعناء طيلة حياتها وحتى الممات. إنها مجرد آلة للإنتاج بجانب أمها التي تعد، من الآن فصاعداً، رئيساً لها أكثر من كونها أماً. لن تترك أبداً عاطلة أو وحيدة تخلو إلى ألعابها»[1].

يرى سانكارا أنه على الرغم من اختلاف طبيعة المجتمعات في بلاده من حيث الريف والحضر، أو من حيث توزيع السلطة فيها فإن التنظيم الاجتماعي لديها يتسم بسمة عامة مشتركة ألا وهي خضوع المرأة وهيمنة الرجل عليها. يرجع ذلك إلى كون المجتمع زراعياً متخلفاً تسوده قيم الذكورية ويتقبل عادة تعدد الزوجات. فالمرأة هنا تتحول إلى موضوع للاستغلال من جهتين، الأولى قوة العمل التي تمتلكها، والثانية قدرتها البيولوجية في إعادة الإنتاج.

«في ظل هذا الوضع من جدلية الخضوع والهيمنة تمكنت المرأة من العيش بهوية مزدوجة تجعلها الرابط الأساسي الذي يحافظ على وحدة الأسرة من جهة ويكرس وضعية الخضوع والتهميش من جهة أخرى. ولاشك أن في ذلك تضحية كبرى من جانب المرأة. إنها مصدر الحياة ولكنها تعامل كآلة، وهي أم، ولكنها لا تزال خانعة مستسلمة لقدرها، وهي مربية ولكن ينظر إليها كغنيمة يجب الفوز بها. هذه الرؤية تكرس من وضعية استغلال المرأة في البيت وخارجه، وهي في نفس الوقت أشبه بالجندي المجهول الذي لا صوت له»[2].

ويرى سانكارا أنه بالرغم من نشوة وحماسة الاستقلال فقد تركت المرأة وحيدة

(1) المرجع السابق، ص 36-37.

(2) المرجع السابق، ص 38.

حيث استبعدت من الحوارات العامة ومن دوائر صنع القرار، وظلت على حالها تحت رحمة كل من الأسرة والمجتمع. لقد اتحدت مصالح رأس المال والبيروقراطية الحاكمة على بقاء المرأة خاضعة. أما الامبريالية فإنها تكفلت بالباقي من أجل استمرار المجتمع الذكوري. وبينما تمثل المرأة نصف المجتمع تماماً مثل الرجل فقد بلغت نسبة الأمية بين النساء نحو 99٪، كما تلقت المرأة تدريباً محدوداً في التجارة وعانت من التمييز في العمل حيث أسندت إليها دائماً أسوأ الوظائف. يقول سانكارا:

«تحتاج الرأسمالية إلى القطن والمكسرات والسمسم لاستمرار صناعتها. وقد كانت النساء،أمهاتنا، بالإضافة إلى المهام الكبرى الملقاة على عاتقهن، هن اللائي تحملن عبء هذه المسئولية بأنفسهن حيث قمن بجمع هذه المحاصيل وقت الحصاد. أما في المدن حيث يفترض أن تكون المدنية قوة تحرير للمرأة. فقد وجدت المرأة نفسها تعمل خادمة في بيوت البرجوازية أو تبيع جسدها من أجل العيش أو تصبح مجرد أداة ترويج في الإعلانات التجارية»[1].

الثورة وقضية تحرير المرأة

يرى سانكارا أن ثورة أغسطس أولت قضية تحرير المرأة أولوية خاصة، فمنذ الساعات الأولى للثورة الشعبية والديمقراطية أعلنا أن: «**الانعتاق ،مثل الحرية، لا يمنح ولكنه يؤخذ غلاباً**. ويتعين على المرأة نفسها أن تصيغ مطالبها ونقوم بالحشد اللازم من أجل تحقيقها»[2]. وطبقاً لخطاب التوجه السياسي الأشهر فإن الثورة البوركينابية لم تحدد فقط الهدف الذي ينبغي تحقيقه ولكنها حددت كذلك الطريق والأدوات، بل وحتى الأنصار الذين يمكن الاستعانة بهم في هذه المعركة. ويعرض سانكارا انجازات الثورة في مجال تحرير المرأة وكذلك نقاط الضغف التي واجهتها:

(1) المرجع السابق، ص 40.

(2) المرجع السابق، ص 44.

- أول الإنجازات: هو تأسيس «**اتحاد بوركينا النسائي**»؛ والذي يعد الإطار والوسيلة من أجل تمكين المرأة في المجتمع ومساعدتها في النضال من أجل التحرر والانعتاق. ومن جهة أخرى فإن هذا الاتحاد يمثل فرصة مناسبة لتوحيد كافة الناشطات في مجال تحرير المرأة تحت مظلة محددة الأهداف ومسترشدة بمبادئ المجلس الوطني للثورة. يقول سانكارا: «إن اتحاد بوركينا النسائي هو منظمة نسائية تضم كافة الناشطات اللائي يعملن من أجل التغيير ويخضن المعارك من أجل النصر، إن زلت أقدامهن مرة سرعان ما ينهضن ويتقدمن إلى الأمام دون تراجع. هذا هو الوعي الجدي الذي تظهره نساء بوركينا، وعلينا جميعاً أن نفخر به..» [1].

- المبادرات الحكومية في مجال تحرير المرأة، رغم عدم كفايتها، فإنها استطاعت أن تضع بوركينافاسو في طليعة المعركة من أجل تحرير المرأة. فالمرأة أضحت تشارك بشكل ملحوظ في صنع القرار وتمارس دورها العام من خلال المشاركة في السلطة الشعبية. لم يكن غريباً أن توجد المرأة وسط حملات التطعيم العامة وإعادة التشجير والمدينة النظيفة وغيرها من مشروعات بناء بوركينافاسو الجديدة.

حاولت الثورة جهد الطاقة التخلص من النظرة الذكورية الشوفونية السائدة في المجتمع. لقد عملت الحكومة بزعامة سانكارا على التخلص من بعض العادات والممارسات التي من شأنها الحط من قدر المرأة مثل الدعارة والتسول وجنوح الأطفال والزواج القهري وختان الفتيات،والأهم من ذلك كله صعوبة الأحوال المعيشية التي تواجهه المرأة.

- قامت حكومة سانكارا بالعمل من أجل حل مشكلة المياه وتوفيرها في كل مكان بالإضافة إلى إقامة الطواحين في القرى وإنشاء دور الرعاية الشعبية والقيام بحملات تطعيم عامة بشكل منتظم وضمان حصول المواطنين على وجبات غذائية صحية ومنوعة. ومن خلال ذلك كله تم تحسين الأحوال المعيشية للمرأة البوركينابية.

(1) المرجع السابق، ص 45.

وعلى الرغم من الإنجازات السابقة فقد تحدث سانكارا عن المشكلات والعقبات التي تعترض طريق تحرير المرأة في بلاده. ولعل من أبرز هذه العقبات ارتفاع معدلات الأمية وانخفاض مستوى الوعي السياسي، وهي الأوضاع التي تم تمريرها بفعل التأثيرات القوية التي مارستها القوى الرجعية في لمجتمعات المتخلفة مثل بووكينافاسو. ويرى سانكارا أن اتحاد بوركينا النسائي يمكن أن يمارس دوراً طليعاً في النضال من أجل التخلص من هاتين العقبتين. وينبه سانكارا إلى أهمية الوعي بالذات في نضال المرأة من أجل التحرر يقول في ذلك:

«ينبغي على نسائنا عدم التراجع عن النضالات المتعددة التي تقود المرأة إلى تحمل المسئولية نفسها بشكل كامل، وهو ما يجعلها تكتشف أن السعادة تعني الإحساس بالذات وليس مجرد كونها أنثى مطيعة للرجل. اليوم، كثير من نسائنا يسعين إلى طلب الحماية من الرجل باعتبارها الطريق الآمن الذي يبعدها عن قهر ما يقوله الناس. إنهن يتزوجن دون حب أو فرح، ولكن فقط لتلبية رغبات رجل فظ غليظ القلب بعيد كل البعد عن أرض الواقع وعن طريق النضال الشعبي. وفي كثير من الأحيان تطالب النساء، بقدر من الغرور، باستقلالهن، في نفس الوقت الذي يسعين فيه إلى طلب الحماية، وربما الأسوأ هو وضع أنفسهن تحت الحماية الاستعمارية للرجل، إنهن لا يستطعن تصور حياتهن بشكل آخر»[1].

- أحد العقبات الآخرى التي تعترض طريق تحرير المرأة وأشار إليها سانكارا يتمثل في التصورات السلبية لبعض الرجال والتي تكرس من مفاهيم النظام الإقطاعي الرجعي. مثل هؤلاء الرجال، من وجهة نظر سانكارا، لا يلوون إلا على المحافظة على الوضع القائم من خلال الدفاع عن بنية القمع والاستغلال للمرأة سواء في البيت أو خارجه. ولاشك أنه في ظل معركة بناء المجتمع الجديد الذي دعا إليه سانكارا فإن مثل هؤلاء الرجال يضعون أنفسهم في صف القوى الرجعية والمعادية للثورة. عندئذ يخلص سانكارا إلى نتيجة حتمية عاش لها ومن أجلها،

(1) المرجع السابق، ص 48-49.

وهي أنه لا يمكن انتصار الثورة دون تحرير كامل للمرأة.

جدلية التنظيم والتحرير

لقد وضع سانكارا خطوطاً عريضة من أجل تنظيم الجهود لتحقيق هدف تحرير المرأة وذلك على النحو التالي:

-**أولاً** : على المستوى الحكومي يتم الاستفادة من توجهات المجلس الوطني للثورة في وضع خطة متجانسة لصالح المرأة والعمل من أجل تنفيذها. يعني ذلك أن كل الوزارات والدوائر الحكومية تشارك في تنفيذ هذه الخطة بشكل محدد وطبقاً لمسئوليات قصيرة ومتوسطة المدى. ويؤكد سانكارا على أهمية الطابع الشعبي لهذه الخطة حيث أنها سوف تعبر عن الضمير العام للمجتمع من خلال الحوارات الشعبية والديمقراطية والتي تحاول الإجابة على تساؤل رئيسي مفاده ماذا يريد المجتمع من النساء؟.

-**ثانياً** : يربط سانكارا بين هذا الاقتراب متعدد الأبعاد لتحرير المرأة وبين الهدف الكلي العام للثورة. وهو بناء مجتمع جديد خال من كافة مظاهر الاستغلال والهيمنة، وعليه فإن قضية تحرير المرأة تقع في القلب من مسألة النضال الثوري. وقد أكد سانكارا على أن عملية تقويم الأداء الحكومي لكافة الوزارات والدوائر الحكومية سوف تأخذ بعين الاعتبار مدى النجاح في تنفيذ خطة تحرير المرأة.

-**ثالثاً** : دور مرافق التعليم والثقافة في إتاحة الفرصة أمام المرأة من أجل التعليم والتخلص من مفاهيم التعليم الذكوري. ولعل ذلك يستوجب عقلاً جديداً وفكراً منفتحاً في العلاقات الاجتماعية، بالتنسيق الكامل مع اتحاد بوركينا فاسو النسائي. ولعل هذه المسيرة في معركة النضال من أجل المرأة تستلزم ضرورة تغيير الإطار القانوني السائد والذي يكرس من وضعية عدم المساواة بين الرجل والمرأة. وعليه فقد رأى سانكارا ضرورة وضع قانون جديد للعمل بما يضمن تحطيم الأساس الاستعماري الجديد لجهاز الدولة الذي يعكس مصالح القوى الرجعية والمعادية للثورة.

وقد وضع سانكارا أهمية كبرى على ضرورة تغيير الصور الذهنية الموروثة وكذلك أهمية تغيير السياق الاجتماعي السائد والذي يكرس من هيمنة الرجل وخضوع المرأة. يقول في ذلك:

« إن عملية تغيير العقول سوف لا يكتب لها الكمال إذا قبلت المرأة الجديدة العيش مع رجل من الطراز القديم. هل يمكن أن نجد مكاناً يكون فيه هذا التفوق الذكوري المقيت حاسماً وواضحاً أكثر من البيت الذي تقوم فيه الأم، التي يتملكها إحساس بالدونية، بتعليم قواعد عدم المساواة بين الجنسين؟ المرأة هي المسئولة عن إدامة العقد الجنسية منذ بداية تعليم الطفل وتشكيل ثقافته. أضف إلى ذلك، ما الجدوى الذي يمكن أن نجنيها من وراء جهود دفع شخص ما للمشاركة في النشاط السياسي نهاراً بينما يجد نفسه ليلاً بين يدي امرأة رجعية لا تؤمن بأهمية العمل التعبوي»[1].

يتضح لنا من خلال قراءة نصوص الخطاب السياسي لتوماس سانكارا بخصوص قضية تحرير المرأة ولاسيما تلك الواردة في خطبه وأحاديثه؛ أنه كان على وعي كبير بمكانة المرأة في الطليعة الثورية. لقد شرح سانكارا من خلال خبرته الثورية وإلمامه بأدوات التحليل الماركسي الجذور التاريخية لقهر وإذلال المرأة، وأهمية النضال الثوري للتخلص من بنية القهر تلك في المجتمع. أضف إلى ذلك فإنه أعطى اهتماماً خاصاً لقضية تحرير المرأة في أفريقيا بشكل عام. ويمثل خطاب سانكارا في اليوم العالمي للمرأة عام 1987 علامة بارزة في مسيرة النضال من أجل تحرير المرأة. ولا تزال القضايا التي طرحها هذا الخطاب في موقع القلب بالنسبة لنضال المرأة من أجل الانعتاق في بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بل وبالنسبة لجميع الرجال والنساء الذين يناضلون من أجل التحرير الكامل للمرأة في جميع أنحاء العالم.



(1) المرجع السابق، ص ص 54-55.

ملحق (4)

من قتل توماس سانكارا؟

لقد أثيرت كثير من التكهنات والمزاعم حول حادثة اغتيال توماس سانكارا عـام 1987. وعلى الرغم من تعدد الروايات بشأن مقتله وتورط أطراف إقليمية ودوليه في ذلـك فـإن الفيلم الوثائقي الذي بثته القناة العامة الإيطالية RAI3. بعنوان «الظلال الأفريقية» يُلقي مزيدا من التفاصيل على عملية الاغتيال. يؤكد الإعلامي الإيطالي سيلفسترو مونتانارو تفاصيل الصلات المزعومة بين كل من المخابرات الأمريكية والفرنسية وقتلة سنكارا ودور الرئيس المعزول بليز كومباوري. ويضم هذا الفيلم الوثائقي شهادات لشخصيات ليبيرية معروفة وبارزة مثل السيناتور جويل هوارد تايلور،الزوجة السابقة للرئيس تشارلز تايلور،الذي أدين من قبل المحكمة الخاصة بسيراليون بارتكاب جرائم ضد الإنسانية. وفيما يلي نص الحوار الذي تضمنه الفيلم الوثائقي الايطالي كما نقله موقع بمبازوكا[1]:

**سيلفسترو:** هل تعتقدي أن هناك من يؤرقه قول تايلور«الحقيقة»؟،الشخصيات البارزة .

**السيدة** :نعم، بالتأكيد. أنا متأكدة من ذلك...

**سيلفسترو:** الأشخاص المهمين جدا؟

**السيدة:** بالتأكيد. هناك جزء من هذه القصة ظل خافيا وغير معلوم، حتى بالنسبة لي. وأنا على يقين أنه لا يزال يحمل العديد من الأسرار. كيف تمكن تايلور

(1)Silvestro Montanaro, Italian revelations on the assassination of Thomas Sankara, Pambazuka, 2009-09-03, Issue 446 . http://pambazuka.org/en/category/features/58463. (ترجمة المؤلف)

من مغادرة الولايات المتحدة؟. ما هي الصفقة التي أبرمها مع القذافي من أجل التدريب في ليبيا؟. من هم أصدقاؤه، وما هي المعلومات التي قدموها إليه؟.

**مومو:** كان لديه الكثير من الأصدقاء في الولايات المتحدة...

**سيلفسترو:** أشخاص مهمون؟

**مومو:** نعم، بالتأكيد، رجال أعمال.

**سيلفسترو:** هل يمكن أن تعطيني أي أسماء؟

**مومو:** آه، لا. لا أستطيع الكشف عن أسمائهم. أنا لست أحمق ... كان لديه أصدقاء في الدوائر الدبلوماسية، اختفوا تماما كأن الأرض ابتلعتهم، ولكني أعرف من هم، وأنهم لن يكونوا سعداء إذا تحدثت عنهم. إن تايلور لم يهبط من السماء ببساطة. فجأة من السجن إلى ليبيريا. هم الذين أرسلوه إلى ليبيريا، وأنهم يدركون جيدا هذه الحقيقة!

**المعلق:** يعتبر هذا الرجل، أيضا مجرم حرب من قبل الأمم المتحدة، فقد كان مساعد تايلور كقائد ميداني. إنه، الجنرال مومو جيبا – أحد أولئك الذين يعرفون القصة الحقيقية - والذي يعطينا لمحة عن ما كان يجري في عهد تشارلز تايلور.

**سيلفسترو:** من الذي أرسله إلى هنا؟.

**مومو** :الذين أرسلوه يعرفون أنفسهم. قدموا له كل العون. إنهم يعرفون كل شيء. إنه لم يأت إلى هنا وحيدا. لقد كان تايلور سجينا في الولايات المتحدة ... وفجأة، وجدناه في مونروفيا. كيف استطاع الخروج من سجن أمريكي؟ كيف تمكن من الهروب؟.

**سيلفسترو:** وكالة المخابرات المركزية؟.

**مومو** :أي هيه ... لا أستطيع أن اقول ذلك ... إنها شخصية كبيرة.

**مؤرخ:** ما حدث في الولايات المتحدة مع تشارلز تايلور يعبر عن قصة رائعة.

**المعلق:** الوزير الليبيري ماركوس دهن، هو أيضا أحد المؤرخين البارزين في البلاد يعتقد بوجود طرف ثالث وراء هروب تايلور.

**المؤرخ**: لقد فر تايلورهاربا من ليبيريا بعد أن اتهمه الرئيس صمويل دو بسرقة ملايين الدولارات من خزينة الدولة. ألقي القبض عليه وكان من المقرر تسليمه إلى ليبيريا. ومن الجدير بالذكر أن محامي تايلور، رمزي كلارك، كان يُعد واحدا من أفضل المحامين في الولايات المتحدة، حيث شغل منصب المدعي العام في ظل إدارة جيمي كارتر. لقد كان تايلور نزيلا في سجن اتحادي حصين في ولاية ماساتشوستس. لقد كان الهروب صعبا ولاسيما من سجن اتحادي...

تمكن تايلورمن الهرب، وجاء إلى هنا لتدشين ثورة من أجل الإطاحة بصامويل دو.

**موس بيليه**: من المستحيل الهروب من هذا السجن دون مساعدة شخص ما. لم يكن تايلور طائرا صغيرا يطير بجناحين. ولم يكن إلها، أو روحا خفية.

**المعلق**: كان موس بيليه نائب الرئيس تايلور، وأحد كبار مساعديه. وعندما هرب تايلور، أصبح بيليه رئيسا انتقاليا لبضعة أشهر.

**بيليه** :كثير من الناس، بما في ذلك بعض المسئولين الذين يشغلون حاليا مناصب مهمة في الحكومة، قدموا لنا يد العون. حتى الرئيسة الحالي لدينا اعترفت بأنها ساعدت تايلور، و أعطته مساعدة مالية في ذلك الوقت.

**سيلفسترو**: ولكن كان معظم من ساعده من الأميركيين...

**بيليه** :بالتأكيد ... نعم...

**سيلفسترو**: إلى أي حد؟.

**بيليه**: كيف أستطيع أن أشرح لكم هذا ... لدينا عراب قام بمساعدتنا، نظرا لأن البعض منا يعتبر ليبيريا مقاطعة أمريكية. لقد وافقت الولايات المتحدة على أن يصبح تايلور رئيسا.

**ألين**: يجب أن نفهم أن قادة الجبهة الوطنية القومية لليبيريا اختاروا تايلور زعيما. وقد ضمت قيادة الجبهة الوطنية القومية شخصيات أخرى أمثال السيدة إلين سيرليف، الرئيسة الحالية.

**المعلق:** كان سيريل ألين قياديا بارزا في حزب تايلور،كما شغل منصب الرئيس لشركة البترول الوطنية ، وهو ضمن القائمة السوداء للأمم المتحدة .

**ألين:** كانوا يطلبون المساعدة في إسقاط صامويل دو. لذلك سأل الأميركيين عن الشخص الذي وقع عليه الاختيار لقيادة الثورة. كانت الاجابة فورية وقاطعة. لدينا شخص بينه وبين صامويل دو عداء شديد. هذا الرجل لديه عقل عسكري رائع، إنه ذكي وشجاع ...ولكن للأسف، هو نزيل أحد سجونكم. وعليه نطلب منكم السماح له بالذهاب حتى يتمكن من قيادة الثورة. تمت الاستجابة لهذا المطلب، وهكذا أصبح تايلور حرا طليقا......

**سيلفسترو:** وهل تم الاتفاق؟

**ألين** : بطبيعة الحال، لقد ساعدوا تايلور على الهرب.

**الوزير دو:** أنت بحاجة لمعرفة ما حدث من وزارة الخارجية، ومن أعلى المستويات في وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي، والمؤسسة السياسية ...إنهم يعرفون ما حدث بالضبط. اسمع، أنا لا أريد أن أجد نفسي نزيلا في أحد السجون الأميركية. من المستحيل عمليا الهروب. ومع ذلك تمكن تايلور بشكل لا يصدق من الفرار. من هو محامي تايلور؟ إنه رمزي كلارك، المدعي العام السابق في الولايات المتحدة ، والذي يعد واحدا من أكثر الرجال نفوذا في العالم. هرب تايلور من السجن في بوسطن ، ثم فجأة وجدنا تايلور في أفريقيا. عندما حضر تايلور إلى هنا، كان لديه حقائب مملوءة بالمال. ونحن نتحرى أصول مبلغ 25 ألف دولار؟. كنت أمتلك كل هذه المعلومات على جهاز الكمبيوتر الخاص بي، ولكن قام مجهولون بتدمير كافة الملفات الموجودة عليه. لكن لحسن الحظ، وجدت نسخة مع أحد الأصدقاء. لقد كانت أحد التوقيعات على الوثيقة من السيدة إلين سيرليف ، والتوقيع الآخر لشخص أمريكي.

**سيلفسترو:** أين تلقيتم التدريب والإعداد؟؟

**مومو:** تم التدريب ...

**سيلفسترو** مقاطعا : أرجو أن تكون صادقا.

**مومو** :نعم ... في ليبيا.

**سيلفسترو:** من قام بتدريبك؟

**مومو** :انه، سؤال جيد...

**سيلفسترو:** من هم المدربون؟ ومن أين أتوا؟ من أي بلد؟ أرجو أن تكون صادقا.

**مومو** :أنا لا يمكنني البوح عن أسمائهم أمام الكاميرا، إنه أمر سري للغاية. لكنهم كانوا بالتأكيد مدربين.

**سيلفسترو:** من قام بتزويدكم بالأسلحة؟

**مومو** :للقتال؟

**سيلفسترو:** نعم.

**مومو:** إنهم.

**سيلفسترو:** نفس الأشخاص؟

**مومو** :لا، لا، لقد كانت ثورة، وفرنا الأسلحة لأنفسنا. وقدم كل واحد منا أي شيء يقدرعليه. كما استخدم الرئيس تايلور مصادره الخاصة.

**المعلق:** في هذه المرحلة، أطلب من طاقم التصوير المغادرة والعودة مع كاميرا التلفزيون المخفية.

**سيلفسترو:** من الذي قام بالتدريب؟

**مومو** :إنهم ... حسنا، لا أستطيع أن أقول لك ... بالإضافة إلى أنهم يعرفون أنفسهم بالفعل...

**سيلفسترو:** وكالة المخابرات المركزية؟

**مومو** :نعم، وكالة الاستخبارات المركزية قامت بتدريبي.

**سيلفسترو:** وماذا عن القذافي ... ليبيا.

**مومو** :لا تذهب بعيدا، إنها السياسة...

**سيلفسترو:**إنه أمر لا يصدق.

**مومو** :دعونا لا نخوض في ذلك، وهذه هي السياسة.

**سيلفسترو:** وأعطوا لك المال...

**مومو** :المال، وكل شيء.

**سيلفسترو:** الأسلحة؟

**مومو** : كل شيء، كل شيء.

**سيلفسترو:** وكالة المخابرات المركزية.

**مومو** :لا تذهب بعيدا ...إنها السياسة.

**سيلفسترو:** يا إلهي.

**مومو:** أنت تعرف، أنها خطرة ... الآن يريدون منك الصمت ... إنهم يُقدرون عدم الخوض في هذا الأمر. إذا كشفنا عن هذه الأسرار، فإنه سيكون من الخطورة بمكان عليهم ...

**سيلفسترو:** كيف ساعدت السي أي إيه تايلور على الهروب من السجن؟

**السيدة** :أنا واثقة من أنهم لم يشاركوا.

**سيلفسترو:** ولكن بعد ذلك، قال إنه كان في ليبيا للتخطيط من أجل الحرب ضد دو. كانت ليبيا عدوا للولايات المتحدة.

**السيدة:** أعتقد أن تايلور لم يكن سوى أحد أدوات هذه اللعبة. لقد كانت الولايات المتحدة ضد ليبيا، ولكنها في نفس الوقت كانت حريصة على إسقاط صامويل دو. ولهذا السبب كانت في حاجة إلى حليف، والسماح لتايلور بالذهاب إلى ليبيا للتدريب لمحاربة هؤلاء الناس. ولم يخف تايلور ذلك أبدا حتى قبل

وصوله للسلطة، قال إنه كان على اتصال دائم مع الولايات المتحدة. وكان جزءا من مخطط للإطاحة بالرئيس دو. إنها ، أي الولايات المتحدة، بحاجة إلى التعرف على أولويات تايلور: المسألة الليبيرية، وتوجهاته بخصوص العلاقة مع الولايات المتحدة، والموارد الطبيعية ، وخاصة النفط، والتي يمكن أن تستفيد منها الولايات المتحدة. كانت ليبيريا هدفا استراتيجيا، ولهذا السبب، كانت أكثر أهمية من المسألة الليبية.

**المعلق**: كما يقول الجنرال مومو، كان تايلور في هذه المرحلة عميلا لوكالة المخابرات المركزية، ويتجسس على القذافي ويخترق حركات التحرر الأفريقية التي تتلقى التدريب في ليبيا.

**مومو** :كانت عملية لصالح السي أي إيه.

**سيلفسترو**: وحقيقة الأمر هي أن تايلور كان يعمل لوكالة المخابرات المركزية، حيث جندته صراحة لاختراق حركات التحرر الأفريقية التي يتم تدريبها في ليبيا.

**مومو** :تلك هي الحقائق.

**سيلفسترو**: هل أنت متأكد من ذلك؟

**مومو**: بالتأكيد. كنت أعمل معه، وتحدثنا حول هذه القضايا. أنا لست أكذب في العادة .

**سيلفسترو**: وكيف توجه تايلور للتجسس على القذافي لصالح وكالة المخابرات المركزية؟

**مومو** :أولا ... أحد الميادين الرئيسية كانت بوركينا فاسو.

سيلفسترو: مسارالهروب الغامض لتايلور يرتبط بمصير توماس سانكارا، رئيس بوركينا فاسو الفتي. منذ بعض الوقت، اعترف عضو مجلس الشيوخ الليبيري وأمير الحرب السابق برنس جونسون، أمام لجنة تقصي الحقائق أنه وتايلور قد شاركا في قتل سانكارا. لقد تواصلت معه من أجل سماع روايته حول هذا الموضوع.

**برنس** :ولكن هذا ليس جزءا من الأسئلة التي تم الاتفاق عليها مسبقا ...

**سيلفسترو:** إنه جزء من السؤال الأخير.

**برنس** :لا، إنها ليست كذلك. وعلى أي حال، يجب التمسك بجدول الأعمال المعد سلفا ...

**سيلفسترو:** عفوا؟

**برنس** :لا يمكن إثارة قضية جديدة لم تذكر من قبل.

**سيلفسترو:** هل من الصعب عليك الإجابة على السؤال؟.

**برنس** :لا، لا، إن الأمر ليس هكذا.

**سيلفسترو:** إذن، ماذا حدث فعلا في بوركينا فاسو؟

**برنس** :لا، نحن ... طرحنا أكثر من قضية...

**سيلفسترو:** إنها قضية توماس سانكارا؟.

**برنس** :إنها قصة مملة.

**سيلفسترو:** عفوا؟.

**برنس:** لقد ذهبت إلى لجنة تقصي الحقائق، وأعطيت مقابلات مع وسائل الإعلام الفرنسية تم بثها في جميع أنحاء العالم، وسوف أكرر ما قلته حول بوركينا فاسو.

**سيلفسترو:** أفهم ذلك، ولكن أرجوك الإجابة على السؤال.

برنس :لقد واجه رئيس بوركينا فاسو جميع أنواع المشاكل، وأنا لا أريد الخوض في ذلك مرة أخرى. الى جانب ذلك، إذا كنت تريد حقا أن تعرف ما حدث في بوركينا فاسو، لماذا لا تذهب هناك وتسأل الرئيس بليز كومباوري ... أنت جزء من وسائل الإعلام الدولية، فأنت مثل الطبيب، الذي يجب أن يصل إلى الحقيقة. لذلك، اذهب إلى بوركينا فاسو ... (نوبة هستيرية من الضحك) .

**المعلق:** بعد ذلك، تبدو الكاميرا ظاهريا مغلقة...

**برنس** :لقد كانت هناك مؤامرة دولية للتخلص من هـذا الرجـل، واذا قلـت لـك كيـف حدث هذا، فهل تعلم أن حياتك قد تتعرض للخطر على أيدي أجهزة المخابرات ؟.

**سيلفسترو**: مؤامرة دولية. لأن الحقيقة سوف تؤثر على الرئيس بليز كومبـاوري. ففـي عام 1987 عندما اغتيل سانكارا، كان كومباوري أفضل صديق له. والطريف أنه بعد وفـاة سانكارا مباشرة ، قال كومباوري «كنت مريضا».

**المعلق**: لقد سرد كل من مومو وألين أمامي ما حدث بالضبط.

**ألـين** : لقـد كـان رئـيس غامبيـا يحيـى جـامع، وبليـز كومبـاوري، وتومـاس سـانكارا، ودومينغو جونجوريه، و ... فـودي سـنكوح، فضـلا عـن رجـل مـن تشـاد، لا أذكـر اسـمه، يتدربون جميعا في ليبيا وكانوا جميعـا أصـدقاء. إنهـم هـم الـذين قـادوا في الواقـع ثـورة بوركينا فاسو وثبتوا سانكارا رئيسا للبلاد. وفور اعتلائـه سـدة السـلطة، عـزم عـلى تحقيـق أهدافه وتنفيذ خططـه. وكـما تعلمـون فـإن الولايـات المتحـدة اخترقـت حركـات التحـرر وقررت الإطاحة بسانكارا، الذي ذهب بميوله اليساريه حدا بعيدا جدا. لم يكن الأميركيـون سعداء بتوجه سانكارا. لقد كان يتحدث عن تأميم موارد بلاده ليستفيد منها شـعبه. كـان الرجل اشتراكيا حتى النخاع.

**مومو**: لقد طلب مني تايلور الاتصال بـالرئيس سـانكارا للمسـاعدة في الاسـتيلاء عـلى السلطة في ليبيريا. في مقابل ذلك ، نقدم فرص أعـمال مربحـة.بيـد أن تومـاس سـانكارا لم يكن مهتما وطلب منه مغادرة البلاد. قال له إنه لن يساعده وطلـب منـه أن يجـد نقطـة انطلاق أخرى لتمرده. جونجري ، وزير دفـاع بوركينـا فاسـو ، وبليـز كومبـاوري، وتشـارلز تايلور، والرئيس التشادي الحالي ... تعلمون من هو؟

**سيلفسترو**: نعم.

**مومو** :نعم، هو أيضا.

**سيلفسترو**: نعم.

**مومو**: اجتمع هؤلاء جميعا في موريتانيا لمدة يوم كامل وقد انضم إليهم لاحقا رجل أبيض من باريس.استمرت المناقشات، ومن ثـم كـان هنـاك اجـتماع آخـر في

ليبيا، حيث تمت مناقشة مشكلة سانكارا بتفصيل أكثر. لقد كان واضحا ضرورة الانطلاق من بوركينا فاسو، وهو ما يعني حتمية التخلص من سانكارا، وأن يصبح بليز كومباوري رئيسا، وهو ما يعني توفير يد العون لنا..

**سيلفسترو:** وهل كان القذافي موافقا على هذه الخطة؟

**مومو** :نعم، نعم ... من فضلك تذكر، يجب أن تظل هذه المعلومات سرية.

**سيلفسترو:** نعم، نعم...

**مومو:** إذا ساعد القذافي تايلور، وتعهدت فرنسا بدعم الانقلاب ... بل والأفضل من ذلك، إذا قدمت فرنسا الأموال وأشارت إلى أنها ستعترف بحكومة كومباوري، فإن كل شيء يصبح على ما يرام. لقد أمر بليز الجنرال جونجري بتجهيز مجموعة من القوات الخاصة، ويساهم تايلور بمجموعة أخرى، وهكذا تم تدبير الانقلاب.

**سيلفسترو:** هل كانت فرنسا هي الدولة الوحيدة المشاركة؟

**مومو:** كانت فرنسا متورطة تماما .

**سيلفسترو:** وماذا عن الولايات المتحدة ووكالة الاستخبارات المركزية؟

**مومو** :أنا لست متأكد من ذلك ... أنا لا أريد أن أقول لكم أكاذيب.

**ألين** :الأمريكيون والفرنسيون دعموا الخطة. كان هناك أحد عملاء السي آي إيه ، كما أن السفارة الأمريكية في بوركينا فاسو كانت تعمل بشكل وثيق مع الاستخبارات في السفارة الفرنسية، واتخذ الجميع قرارا حاسما.

**سيلفسترو:** حتى وكالة المخابرات المركزية والمخابرات الفرنسية...

**ألين** : لقد قرر جهاز المخابرات الفرنسي القضاء على سانكارا. تلك هي الحقائق.

**مومو:** أرسلوا رجالهم، وبعض القوات الخاصة، وبعد ذلك كان هناك برنس جونسون، وأنا. كنا نتواصل باستخدام جهاز اتصال لاسلكي، كان لدينا كل المعلومات عن سانكارا ... عندما غادر المنزل، وعندما عاد ... كان كل شيء مخططا.

**سيلفسترو:** هل كنت هناك معهم؟

**مومو** :بالطبع، كنت في بوركينا فاسو، وكنت جزءا من هذه العملية.

**سيلفسترو:** وهل كنت موجودا عندما اغتيل سانكارا؟.

**مومو:**بالطبع، كنت في الغرفة عندما تم اغتياله.

**سيلفسترو:** ماذا تتذكر عن تلك اللحظة؟.

**مومو:** ضاحكا.

**سيلفسترو:** هل كان سانكارا ينتظر لقاء بليز كومباوري؟

**مومو:** لا، لم يكن لقاء ... كانت هناك مناقشات مهمة تجري.

**مومو:** عاد بليز كومباوري إلى الوطن في تمام منتصف الليل، ولكنه كان حاضرا، وعلى استعداد للعمل مع الآخرين ... دخل الغرفة وأطلق النار.

**ألين:** لقد أطلق الرصاصة الأولى ... كان سانكارا جالسا وتحدث لبعض الوقت مع كومباوري الذي وقف على الطرف الآخر من الطاولة. ثم انطلقت الرصاصة الثانية، عندها سقط سانكارا في كرسيه وفارق الحياة .. ...

**مومو:** كنت حاضرا عندما قال توماس سانكارا: «بليز، لقد كنت أفضل صديق لي، وأنا أدعوك أخي، ولكنك اليوم تقتلني». التفت إليه بليز بغضب وقال شيئا له باللغة الفرنسية - أنا لا أفهم الفرنسية بشكل جيد جدا - ثم أطلق رصاصة واحدة.

**ألين** :إذا لم يطلق بليز كومباوري النار على سانكارا، لفعل جونجري ذلك، ولأصبح هو رئيس بوركينا فاسو. لقد كان هذا كله جزءا من سياسة أمريكا في السيطرة على بوركينا فاسو.

**المعلق:** على كل حال، هناك شيء واحد مؤكد: ذهبت محاولة سانكارا بناء دولة مكتفية ذاتيا لتعود بوركينا فاسو مرة أخرى واحدة من أفقر البلدان في العالم.

ملحق رقم (5)

أنا أفريقي[1]

ثابو مبيكي

أنا مـدين بكيـاني إلى الـتلال والوديـان، والجبـال، وأراضي الغابـات الواسـعة، والأنهـار، والصحارى، والأشجار، والزهور، والبحـار والفصـول المتغـيرة باسـتمرار والتـي تحـدد وجـه الوطن.

تجمد جسدي في الصقيع وفي الثلوج التي هطلت في اليوم الأخير. بيد أن أشعة شمسنا أذابت ذلك كله، أذابتـه حـرارة الشـمس في منتصـف النهـار. أصـوات دوي رعـد الصـيف هادرة. ضربات البرق المفزعة كانت سببا للخوف والأمل معا.

العطور الطبيعية فواحة فهي على مقربة من الزهور البرية لمواطني هضبة الترنسـفال الخضراء.

الأشكال المثيرة للدراكنزبرج (جبال التنين) والمياه الملونة بلون التربة في ليكـوا وايجـيلي وثوكيلا ورمال كغالاغادي، تشكل جميعها لوحات على مسرح الطبيعية والذي نؤدي عليـه الأفعال الحمقاء بشكل يومي.

في بعض الأحيان،وفي لحظات الخوف، أتساءل عما إذا كان ينبغي لي أن أتنازل عن حق المواطنة المتساوية في بلادنا إلى النمر والأسد، والفيل والظبي، والضـبع، والأفعـى السـوداء والبعوض المزعج.

(1) ألقي خطاب أنا أفريقي« من قبل ثابو مبيكي، نائب رئيس جنوب أفريقيا في ذلك الوقت ،نيابة عن المؤتمر الوطني الأفريقي في كيب تاون يـوم 8 مـايو عـام 1996، بمناسـبة إقـرار الدسـتور الجديـد لجنوب أفريقيا. وكان مبيكي خطيب التحرر الوطني الذي شـبه في براعتـه الخطابيـة بمـارتن لـوثر كينغ (ترجمة المؤلف بتصرف).

الوجود الإنساني بين كل هذه المخلوقات علامة على وجه أرض الوطن، وبالتالي هو أمر محدد، وأنا أعلم أن لا أحد يجرؤ على أن يتحداني عندما أقول : أنا أفريقي!

أنا مدين بكياني إلى خوي وسان[1] التي تخيم أرواحهم البائسة على مساحات كبيرة من الكيب الجميلة - إنهم وقعوا ضحية أكثر نظم الإبادة الجماعية التي لا ترحم على الإطلاق في أرض الوطن، وهم كانوا أول من يفقدون حياتهم في النضال للدفاع عن حريتنا واستقلالنا، إنهم ،كشعب، هم الذين لقوا حتفهم في النهاية.

إننا اليوم، كدولة، نلوذ بالصمت تجاه هؤلاء الأجداد من الأجيال التي عاشت، خائفة من الاعتراف بهول الفعل السابق، ونسعى لأن نطمس من ذاكرتنا حدثا قاسيا، يجب أن يعلمنا تذكره أن لا نكون أبدا غير إنسانيين مرة أخرى.

إنني أنتسب إلى مهاجرين تركوا أوروبا بحثا عن منزل جديد في أرض الوطن. مهما كانت تصرفاتهم الخاصة، فإنهم لا يزالون جزءا من كياني.

تجري في عروقي دماء عبيد الملايو الذين جاءوا من الشرق. كرامتهم التي كانت موضع فخر بها أهتدي، وتشكل ثقافتهم جزءا من تكويني. ولاتزال آثار ضرب سيد العبيد على أجسادهم محفورة في وجداني تذكرني بما لا ينبغي القيام به.

أنا حفيد المحاربين من الرجال والنساء تحت قيادة هينتسا وسيخوخوكي، والوطنيين الذين دفع بهما ستشوو ومفيفيو إلى المعركة، وجندية موشوشو ونجوجوياني،والذين علمونا أن لا نخجل أبدا من قضية الحرية[2].

لقد تشكل عقلي وفكري من خلال الانتصارات التي هي بمثابة جواهر تاجنا الأفريقي ،الانتصارات التي كسبناها من إيزندالوانا إلى الخرطوم، سواء باعتبارنا أثيوبيين أو أشانتي في غانا، أو باعتبارنا بربر الصحراء.

---

(1) هما من شعوب البانتو ، وبينما يطلق على السان من الناحية الثقافية اسم البوشمن فإن الخوي رعاة هوتنتوت.

(2) أسماء زعماء تقليديين.

أنا الحفيد الذي يضع الزهور النضرة على قبور البوير في سانت هيلانة وجزر البهاما، الذي يرى بعين الاعتبار ويعاني معاناة بسطاء الفلاحين، والموت، ومعسكرات الاعتقال، والمساكن المدمرة، والحلم الذي لم يتحقق.

أنا طفل نونجكوسي .أنا الذي جعل بالإمكان التجارة في الأسواق العالمية للماس، والذهب، وفي نفس الطعام الذي طالما كانت تتوق له نفسي.

أنا سليل أولئك الذين تم نقلهم من الهند والصين، والذى ارتبط وجودهم فقط بحقيقة أنهم كانوا قادرين على توفير العمل البدني، الذين علموني أننا يمكن أن نكون داخل الوطن أو أجانب في نفس الوقت ، الذين علموني أن الوجود الإنساني نفسه يتطلب أن تكون الحرية شرطا ضروريا له.

نظرا لكوني جزءا من كل هؤلاء الناس، ومع العلم بأن لا أحد يجرؤ على تحدي هذا التأكيد، سوف أصدع قائلا : أنا أفريقي .

لقد رأيت بلادنا ممزقة إربا ، وهؤلاء جميعهم من أبناء شعبي، يخوضون ضد بعضهم البعض معركة جبارة، أحدهم يصلح الخطأ الذي وقع فيه آخر، والثاني يدافع عن ما لا يمكن الدفاع عنه.

لقد رأيت ما يحدث عندما يمتلك شخص قوة تفوق الآخر،عندما يحاول الأقوى الحصول على امتيازات لإبطال سنة اللـه في خلقه حيث خلق الرجال والنساء على صورته.

إنني أعلم ماذا يعني استخدام العرق واللون لتحديد من هو الإنسان، ومن هو الأقل مرتبة في الإنسانية.

لقد رأيت تدمير كل إحساس باحترام الذات، وهو ما يعني أن يصبح المرء على غير حقيقته، فقط لمجرد الحصول على بعض الفوائد التي استطاع أولئك الذين ميزوا أنفسهم باعتبارهم سادة التمتع بها.

لدي خبرة بالحالة التي يستخدم العرق واللون فيها لإثراء البعض وإفقارالبقية.

لقد رأيت فساد العقول والنفوس في السعي حثيثا وبطريقة وضيعة لارتكاب

جريمة حقيقية ضد الإنسانية.

لقد رأيت تعبيرا ملموسا عن حرمان الإنسان من كرامته ناشئ من الوعي جراء الأنشطة المنهجية والقمعية للبعض الآخر من بني البشر.

هناك موكب الضحايا دون أدنى قناع لإخفاء الحقيقة - المتسولون، والعاهرات، وأطفال الشوارع، وأولئك الذين يسعون لتعزية أنفسهم بتعاطي المخدرات، وأولئك الذين يدفعهم الجوع للسرقة، وأولئك الذين يتخلون عن سلامة عقولهم لأن العقل هو مدعاة للألم.

ولعل الأسوأ من بين هؤلاء، الذين هم شعبي، أولئك الذين تعلموا القتل مقابل أجر. فالموت بالنسبة لهؤلاء يتناسب طرديا مع رفاهيتهم الشخصية.

وهكذا، مثل الأحجار علي رقعة الشطرنج، يكونون في خدمة النفوس المريضة، يقتلون لتعزيز العنف السياسي في كوازولو ناتال. إنهم يقتلون الأبرياء في حروب سيارات الأجرة[1].

إنهم يقتلون ببطء أو بسرعة من أجل تحقيق الأرباح من التجارة غير المشروعة في المخدرات. إنهم تحت الطلب عندما يريد الزوج قتل زوجته أو الزوجة قتل زوجها.

إن التسكع من أجل البحث عن فريسة بيننا هو نتاج لواقع الماضي غير الأخلاقي - القتلة الذين ليس لديهم الشعور بقيمة الحياة البشرية والمغتصبين الذين لديهم ازدراء مطلق لنساء بلادنا ، والحيوانات الذين يسعون للاستفادة من ضعف الأطفال، والمعاقين وكبار السن والمحبين للمال الذين يسعون لإثراء أنفسهم مهما تحملوا من صعاب.

كل هذا وأنا أعلم وأعرف أنه صحيح لأنني أفريقي!

بسبب ذلك، أستطيع قول هذه الحقيقة الأساسية أيضا ،وهي أني سليل

(1) يطلق اصطلاح حرب سيارات الأجرة على النزاعات التي تحدث بين روابط سيارات الأجرة ومالكي حافلات الأجرة من الأفراد.

الأبطال.

أنا سليل أناس لن يتسامحوا مع الظلم.

أنا من أمة لن تسمح بأن يـؤدي الخـوف مـن المـوت والتعـذيب والسـجن والنفـي أو الاضطهاد إلى إدامة الظلم.

إن الجماهير العظيمة المؤلفة من أبائنا وأمهاتنا لن تسمح بأن يؤدي سلوك البعض إلى وصف بلدنا وشعبنا بالهمجية.

تصبر لأن التاريخ إلي جانبهم، هذه الجماهير لا تقنط لأن الطقس اليوم سيئ كما أنهـا لا تتحول للانتصارات عندما تشرق الشمس غدا.

لقد عاشوا مهما كانت الظروف من خلال وبسبب تلـك التجربـة، إنهـم عـازمون عـلى تعريف أنفسهم من هم وما ينبغي أن يكونوا عليه.

نجتمع هنا اليوم للاحتفال بانتصارهم في اكتساب وممارسة حقهم في صياغة تعـريفهم بأنفسهم : ما الذي يعنيه أن تكون أفريقيا.

يؤكد الدستور الذي نحتفل بإقراره، بأسلوب لا لبس فيه، أننا نـرفض قبـول أن تتحـدد أفريقيتنا استنادا على العرق أو اللون أو الجنس أو الأصول التاريخية.

إنه التأكيد الحازم الذي قطعناه بأنفسنا على أن جنوب أفريقيا تنتمي إلى كـل البـيض والسود الذين يعيشون على أرضها.

إنه يعطي تعبيرا ملموسا عن مشاعرنا المشتركة كأفارقة، وسوف ندافع حتى آخر رمـق عن حق الشعب في الحكم.

إنه يعترف بأن كرامة الفرد هـي عـلى حـد سـواء هـدف موضـوعي يجـب أن يسـعى المجتمع إلى تحقيقه، وهدف لا يمكن فصله عن الرفاهية المادية لهذا الفرد.

إنه يسعى إلى خلق وضع يكون فيه جميع أبناء شعبنا متحـررين مـن الخـوف، بمـا في ذلك الخوف من بطش جماعة وطنية معينة على جماعة أخرى، والخوف من عـدم تمكـين نظام اجتماعي من قبل نظام آخـر، والخـوف مـن اسـتخدام السـلطة الدولـة لحرمـان أي شخص من حقوقه الإنسانية الأساسية، والخوف من الطغيان.

إنه يهدف إلى فتح الأبواب حتى يتمكن أولئك الذين كانوا محرومين من تبوأ مكانهم في المجتمع على قدم المساواة مع إخوانهم في الإنسانية دون النظر إلى اللون أو العرق أو الجنس أو السن أو المكان الجغرافي.

إنه يوفر الفرصة لتمكين كل واحد وللجميع من التعبير عن آرائهم، وتشجيعهم ، والسعي من أجل تحقيقها في عملية الحكم دون خوف من أن الرأي المخالف سوف يتم قمعه.

إنه يؤسس المجتمع الذي يحكمه القانون والذي يجب أن يكون معاديا للحكم التعسفي.

إنه يمكن من حل النزاعات بالوسائل السلمية بدلا من اللجوء إلى القوة.

إنه يعبر عن الفرح بتنوع شعبنا ويخلق مساحة بالنسبة لنا جميعا للتعبير عن أنفسنا طوعا كشعب واحد.

باعتباري أفريقي، فإن هذا هو الإنجاز الذي أفتخر به، أفتخر دون تحفظ وأفتخر دون أي شعور بالغرور.

إحساسنا في هذه اللحظة بالارتقاء عاليا مستمد أيضا من حقيقة أن هذا المنتج الرائع صنعته ببراعة الأيدي والعقول الأفريقية .

ولكنه يحذرنا من عواقب الغرور، على الرغم من إغراء الذات باعتبارنا جزءا استثنائيا من الإنسانية، ويمكننا من الاعتماد على الخبرة المتراكمة والحكمة البشرية جمعاء، لنحدد لأنفسنا ما نريد أن نكون.

جنبا إلى جنب مع أفضل ما في العالم، فإننا عرضة أيضا لصغائر الأمور،والمكابرة والأنانية وقصر النظر.

ولكن يبدو أننا نظرنا إلى أنفسنا وقلنا إن الوقت قد حان كي نبذل جهدا يفوق قدرة البشر، ولكي نخلق لأنفسنا مستقبلا مجيدا، ونذكر أنفسنا بالمثل اللاتيني القائل بأن المجد يتحقق لاحقا!

من الجيد اليوم أن تكون أفريقيا.

إنه شعور جيد أن أقف هنا باعتبارى جنوب أفريقي وكجندي في الجيش الأفريقي العملاق، والمؤتمر الوطني الأفريقي، لأقول لجميع الأحزاب الممثلة هنا، وللملايين التي أسهمت في هذا الحدث الذي نشهده ، ولمواطنينا الشرفاء الذين تحملوا عبء ميلاد هذه الوثيقة المؤسسة لدينا، وللمفاوضين الذين شحذوا ذكاءهم الواحد ضد الآخر،وإلى النجوم غير المرئية الذين أشرقوا دوما ، مثل تنظيم وإدارة الجمعية الدستورية، والمستشارين والخبراء ومسئولي الدعاية، وإلى وسائل الاتصال الجماهيري، ولأصدقائنا في جميع أنحاء العالم - التهاني وأحسنتم !

أنا أفريقي .

أنا سليل شعوب قارة أفريقيا.

آلام الصراع العنيف الذي تعاني منه شعوب ليبيريا والصومال والسودان وبوروندي والجزائر هي آلام ينبغي أن أتحملها كذلك.

عار الفقر المذري والمعاناة والتدهور البشري في قارتي هي أنواء نتقاسمها.

هذه الآفة التي تعكر سعادتنا تستمد من هذا ومن الانجراف لمحيط ترتيب الشؤون الإنسانية تاركة لنا حالة من استمرار اليأس.

هذا هو الطريق الوحشي الذي لا ينبغي أن يدان به أحد.

هذا العمل الذي قمنا به اليوم، في هذه الزاوية الصغيرة من القارة العظيمة التي ساهمت بشكل حاسم في تطور الإنسانية يقول بأن أفريقيا تؤكد مواصلة صعودها من تحت الرماد.

مهما كانت النكسات في هذه اللحظة، لا شيء يمكن أن يمنعنا الآن ! مهما كانت الصعوبات، يجب أن تكون أفريقيا في سلام! ومع أن ذلك قد لا يبدو واردا من قبل المشككين، فإن أفريقيا تزدهر!

على الرغم ممن نكون، ومهما كانت مصلحتنا المباشرة، ومهما كان حجم ما نحمله من ميراث ماضينا، ومهما كنا نعاني من وجود السخرية وفقدان الثقة في قدرة الشعب، دعونا نخطئ اليوم ونقول - لا شيء يمكن أن يوقفنا الآن!

# نبذة عن المؤلف





د . حمدي عبد الرحمن حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعتي القاهرة وميرلاند الأمريكية بنظام الإشراف المشترك عام 1990.

- يعمل حاليا أستاذا للعلوم السياسية بمعهد دراسات العالم الإسلامي في جامعة زايد، دبي منذ عام 2002 ، وهو أيضا أستاذ العلوم السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. وقد أسس وأدار برنامج الدراسات المصرية الأفريقية بجامعة القاهرة خلال الفترة من 2000- 2002.

-حائز على جائزة الدولة المصرية في العلوم السياسية عن كتاب 'قضايا في النظم السياسية الأفريقية ، مركز دراسات المستقبل الأفريقي ، القاهرة ، مصر ، 1998.

- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسية في

مصر وخارجها.

- نائب رئيس الجمعية الإفريقية للعلوم السياسية في بريتوريا (2001-2005)، وهو أيضا عضو المجلس الاستشاري للشبكة السويدية لدراسات السلام والصراع والتنمية.

-شارك في العديد من المؤتمرات الدولية وله العديد من الدراسات والكتب المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية، منها: - الاختراق الإسرائيلي لإفريقيا، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1 ،2015-مصر والتنافس الدولي في أفريقيا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2014،- « الحركات التبشيرية في أفريقيا: رؤية معرفية»في كتاب المسبار:التبشير في المشرق وأفريقيا: مراجعة نقدية ورؤية متعددة الأبعاد،مركز المسبار للدراسات والبحوث ، نوفمبر 2014.- القوة الناعمة الآسيوية: هيمنة جديدة في أفريقيا؟، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد 246، مجلد 23 ، 2013. الاتحاد الأفريقي والنظام الأمني الجديد في أفريقيا( أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 162 من دراسات إستراتيجية، 2011 ) ؛ العرب وأفريقيا في زمن متحول ( القاهرة : دار مصر المحروسة للنشر والتوزيع، 2009)؛ الاتجاهات الحديثة في دراسات النظم السياسية: أفريقيا نموذجا ( عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية ،2008)؛ أفريقيا وتحديات عصر الهيمنة: أي مستقبل؟ (القاهرة : مكتبة مدبولي،2007).

